الدوحة





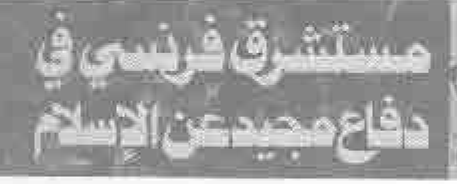
عمامة الشيخ محمد عبده



عفواً أبا هريرة

بقلم الدكتور محمد عبده يماني





مستشرق فرنسي في دفاع مجيد عن الإسلام

لماذا الإلحاد؟.. بقلم: خالد محمد خالد



بيروت

القصة الكاملة للمدينة الصامدة

من أقدم العصور إلى حصار شارون

عفوًا.. أبا هُرَيْرَة



بقلم :
الدكتور محمد عبده يماني

عندما يسود الساحة الثقافية مناخ عقلانى يتعامل مع عناصر الفكر والثقافة بأسلوب علمى راشد ، فان ذلك يعد من الظاهرات الصحية التى تزود عالم الأفكار بالعمق والاتساع ، وتصبح الاصالة أكثر رسوخا ، وتتبدد من سماء الحياة العقلية المتصلة على الزمن ، غيوم اظلم بها الماضى ، وغابت فى ظلها نصاعة التراث بكل ما يمثلة للتاريخ ، والحاضر والمستقبل .

والمتتبع للتراث الفقهى والعلمى والفكرى للامة الاسلامية ، يشعر بما يختزنه من كنوز ومعارف ، تعكس صورة الحضارة الاسلامية وتطورها منذ البداية والانطلاق والجمود ، والانبعاث ، بكل الموجات والمراحل التى شملتها كل حقبة منها .

وسوف يلاحظ العقلاء ان هذا المد الحضاري كان يتعرض دوما ، وحتى فى أوقات العنفوان ، إلى محاولات كابحة ، تستهدف ايقافه او النيل منه او تشويهه او الانتقام مما يمثله ، وسوف يرون ذلك واضحا منذ الاسرائيليات القديمة ، وحتى « الاسرائيليات المعاصرة » ابتداء من الطعن على المنطلقات والروافد ومروراً بمحاولات النيل من الاعلام والعلماء الذين كانوا رواد تلك الحضارة وعمدها ورسلها ثم بمحاولات وأده صليبيا .. ثم انكار الدور الاسلامي نهائياً .

وبعد عصر الاجتياح للعالم الاسلامي ، والتخلص المصاحب له من عقد النقص الغربية ظهرت بوادر الاعتراف بفضل المسلمين على الغرب ، الذى لم يعد يجد غضاضة فى ذلك وإلى جانب الذين انكروا – بالحقد – اي دور للمسلمين ، ظهر من يحصر فضلهم فى نطاق الترجمة والنقل لحضارة اليونان والرومان ، كما ظهر من تحرر من الرواسب والعقد والحقد وتحلى بالانصاف والعدالة ، فوصل إلى حد الاعتراف لهم « بتمدين اوربا » ونقلها من عصور الظلام والهمجية إلى فجر الحضارة ونورها .

واستمر الدور الحاقد ضد الاسلام – حتى وعالمه سادر فى نوم التخلف العميق – باعتبار الاسلام مصدر قوة لهذا العالم المترامي الاطراف ، وغرست بذور الحقد حتى فى مناهج التعليم الأوربية ، بما اضفى على الكراهية الموروثة من الحروب الصليبية طابعاً رسمياً – تشهد اوربا الآن بعض محاولات للتخلص منها – وبعد ان امتزجت تاريخيا بالكراهية « للدين » الذى كان عندهم مسئولا عن التاخر والجمود والعداء للنهضة ، انتقلت العدوى الى شعوبنا المتطلعة الى النهوض من رقادها الطويل فى شكل عداء مماثل للدين باعتباره مقاوما للتقدم ، دون تمييز لدور الاسلام فى

تلقت « الدوحة » من الاديب والعالم الكبير الدكتور محمد عبده يماني ، وزير الاعلام السعودي هذا المقال الهام الذى يناقش جذور الغزو الفكري للشخصية الاسلامية والعربية ، ويتصدى لهذا الغزو باقوى الحجج وأسطع البراهين ... وقد تلقت « الدوحة » مع هذا المقال الهام الذى يسعدها أن تقدمه الى القاريء العربي في كل مكان رسالة كريمة من الدكتور يماني موجهة الى رئيس التحرير يقول فيها : « ابعث أصدق التهاني لكم ولأسرة الدوحة على المستوى الرفيع الذى وصلت إليه ... وأسأل الله لكم مزيداً من التوفيق » ... والدوحة ـ من جانبها ـ تعتز بمشاركة الدكتور يماني فى تحريرها وتعتز بشهادته اعظم الاعتزاز .

رئيس التحرير

صنع الحضارة ، على عكس المسيحية . وعمق هذه الآثار السلبية ان تشربت بها كثير من الشخصيات التى نالت تعليمها فى أوربا ، وعادت لقيادة الحركة التعليمية والثقافية والتشريعية والاجتماعية ، وافرزت من يعتقد أنه لا تقدم لعالمنا الاسلامي إلا بطرح الاسلام جانبا ، او عزله عن الحياة ، ومن يعتقد انه لابد من اتباع مناهج الغرب وحضارته .. بخيرها وشرها وحلوها ومرها .

وكانت الرؤية تشير إلى صعوبة استمرار الاحتلال العسكري لديار الاسلام وكان التخطيط يفضل استمرارية الاحتلال من خلال عالم الأفكار ، بالاستيلاء على العقول ، التى تتولى ـ فى ظل تشويه الاصالة ـ ونيابة عن القوى المعادية للاسلام ، تكريس التبعية والولاء ، وهو ما لا يتاتى تحقيقه إلا باضعاف الاسلام وتحطيم رموزه واركانه ، ابتداء من الطعن على المنطلقـــات والروافـــد منذ « الاسرائيليات » والصليبيات القديمة ، وحتى المعاصرة .

وإذا كان سلاح الفكر ودعاوى العلمية ، وحرية الراي والنقد ، والبحث العلمي وما إليها ، اهم « سواتر » العصر فى محاولة النيل من الاسلام والمسلمين فاننا نلاحظ ـ ونفتح هنا قوسا ـ ان العدوان الاسرائيلي الاخير على الشعبين الفلسطيني واللبناني اثبت ان الغزو والقمع والابادة ، لم تستبعد من اساليب الحقد والعداء المتاصل وإنما كانت تعاد صياغتها بعناية فائقة ، لا لتتستر وراء عبارات عصرية زائفة ، ولكن لتستفيد بمكتسبات التكنولوجيا فى القتل والتدمير والتخريب والتصفية . واصبح وصف الابادة والمجازر الوحشية والهمجية ، بمثابة تبسيط للوقائع والحقائق التى يرقبها العالم المتحضر بدرجات متفاوتة من الرضى والحماس ، او عبارات التنديد والاستنكار الجوفاء ، ونقفل القوس .

ونعود الى سواتر العصر فى التهجم على الاسلام ، ونجتزىء فى هذا المقال بنموذج يتمثل فى محاولة تقويض الشوامخ والاعلام وتجريحهم والطعن عليهم ، مع مثال تطبيقي ، والآثار الخطيرة لذلك .

وبادىء ذى بدء ، فانه من البديهي عندما تتعرض امة لمحاولة اعدائها النيل من ابطالها وشوامخ رجالاتها ، ان تنبري للدفاع عنهم ، فهم يشكلون رمزا لجهادها ومعالم تاريخها وفكرها وتطورها فى كل مجال ، وهذه العملية فى جوهرها هي دفاع عن الذات وتشبث بمقوماتها واعتزاز بهـا ، واي محاولة من هذا النوع تستثير وتستنفر ردود فعل عفوية بدافع الوعي بمقاصد الأعداء . ولكن عندما تتوجه هذه المحاولات ضد الأمة من الداخل ، وبواسطة ابنائها هي ، فانها تكون الخطر واشد فتكا ، فهي تتسلل كالوباء الخبيث والناس عادة لا يتخوفـــون ولا يتحوطـــون اخوانــهم ، ولا يحسبون الماضي والحاضر او المستقبل إلا فى مامن ما امنوا عدوهم ، فاما حين يكون العدو من داخلهم ، فالتنبه لذلك يحتاج الى وقت ، كما يحتاج المرض الخبيث والعياذ بالله قبل اكتشافه ، وعلى قدر السرعة فى اليقظة والحسم فى المواجهة قبل فوات الأوان يكون الأمل .

وهذا ما ادركه أعداء الامة فاعتمدوا الهجوم من الداخل ، وبعناصر تم الاستيلاء على عقولها وارادتها لتقوم بالدور المرسوم نيابة عنهم . وسوف أضرب مثلا واحداً بالتطبيق لهذه القضية وتوضيحا لها .

هذا هو الصحابي الجليل الورع ابو هريرة رضي الله عنه ، لا يوجد مسلم إلا ويحفظ لهذا اليماني الدوسى العالم فضله بما حفظ من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو الى ذلك من هو فى صدق الايمان والتقوى والمروءة ورفيع الاخلاق والتادب بادب الله ورسوله ، وهو فى التعفف بما لا مزيد عليه بعد شهادة القرآن لأهل الصفة « يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف » وربما لم يتعرض احد من الصحابة لمثل ما تعرض له أبو هريرة من السباب والطعن والتجريح ، حتى لم يدع بعضهم نقيصه ولا جارحة من القول إلا لصقها به وحاول بها النيل منه . وهذه الحملات المتحاملة قديمة منذ « النظام » وامثاله ، قيض الله لها ابن قتيبة رحمه الله الذى استعمله الله سبحانه فى خدمة كتابه كما فى تاويل مشكل القران واستعمله فى خدمة سنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما فى كتابه « تاويل مشكل الحديث » الذى ذب فيه عن المحدثين وعن ابى هريرة على وجه الخصوص ورد عنهم غائلة المبتدعة واعداء الدين . والحق ان امثال اولئك القدماء ، افرزوا مادة اخصبتها احقاد وعداوة للاسلام تاصلت فى نفوس بعض الزنادقة ، ونفخ فيها المستشرقون وتابعهم عليها اسرى الغزو الفكري والتبعية وعقد النقص . حتى لقد تطاول من لا نسميه إزدراء لشانه فسماه شيخ المضيرة تهكما عليه . ولا يحسبن احد ان ذكرنا لما تهجم به البعض على أبي هريرة ترويج له حاشى لله ، فان من كان فى علو منزلته وسموق شانه لا ترتفع تلك الترهات الى مواطىء قدميه ، وإنما اردنا ان يعلم الشباب على وجه الخصوص ان الطعن باسم العلمية او حرية النقد وما إلى ذلك ، ما هو إلا تستر زائف يخفى البغض للاسلام . وماذا على انسان من كان أن يعجبه لون من الطعام . مـاذا لو كان ابو هريرة تعجبه المضيرة وهي مريقة تطبخ باللبن المضير اي الحامض وقد تخلط بالحليب . اللهم لا شيء إلا ان تكون مدخلا للمبغضين حين يقولون :

« فياكل مـع معاوية فـاذا حضرت الصـــلاة صلى خلف علي ، فاذا قيل له فى ذلك قال : مضيرة معاوية ادسم واطيب والصلاة خلف علي افضل . » او يقولون انه كان يصلى فى جماعة علي ، وياكل فى جماعة معاوية ، فاذا حمى الوطيس (فى وقعة صفين) لحق بالجبل ويقول : على اعلم ومعاوية ادسم والجبل اسلم . وليس هذا كلاما او نقدا علميا لنتساءل كيف كان يتسنى لابى هريرة ان ياكل المضيرة فى الشام ويصلى خلف على فى العراق بينما

عفوًا.. أبا هُرَيْـرَة

هو يعيش فى الحجاز وكيف استطاع ان يصانع متحاربين فى موقعة لم يشهدها حتى لو كان شهدها (دفاع عن السنة – لفضيلة الشيخ محمد ابو شهبه) .

المسالة ليست نقدا او بحثا علميا ، لكنها فى المنطلق الطعن على واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لماذا ؟ تلك هى البداية فى محاولة تقويض الاسلام وليس فى ذلك ادنى مبالغة . لقد علمنا الاسلام ان نحترم الصحابة الذين كان لهم شرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم عدول لا يتعمدون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لهم خيرية وسبقا ثابتين بالقران « كنتم خير امة اخرجت للناس .. » والاية تشملهم « والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار » وعلمنا رسول الله ان نعرف لهم كرامتهم ومكانتهم « لا تسبوا اصحابى ، فو الذى نفسى بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه» .

وقال : « الله .. الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا ، فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم . ومن اذاهم فقد اذانى ، ومن اذانى فقد اذى الله ومن اذى الله فيوشك ان ياخذه » .

والهجوم على واحد من الصحابة تقويض لهذه الدعامة ، ينفتح معها الباب على الفور للانقضاض على غيره من الصحابة وهذه هى الثانية ، والثالثة ان تجريح هؤلاء يمتد بالضرورة الى ما نقلوه الينا ورووه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا قوضت السنة بالمطاعن على رواتها وثقاتها انهار الاساس الثانى للاسلام ، والسنة شارحة ومبينة للقران ومشرعة ، فقد بلغ الرسول عليه الصلاة والسلام كتاب ربه ، وبين للناس ما نزل عليهم . انزل الله عليه الكتاب ، وانزل عليه الحكمة اى ان السنة منزلة كذلك كما اشار الى ذلك الاستاذ المحدث الشيخ السيد صقر فاذا جرحوا الشوامخ من حفاظها ورواتها ونقلتها الثقات والمحققين من الافذاذ الذين نذروا حياتهم لحفظها وصيانتها ، فقد جرحوا شهودنا لابطال الكتاب والسنة ، وما ادق ما أورده فضيلة الشيخ ابو شهبه فى كتابه القيم « دفاع عن السنة » حين نقل مقالة الامام ابو زرعة الرازى حيث يقول : اذا رايت الرجل ينتقص اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه زنديق ، وذلك لان الرسول حق ، والقران حق ، وما جاء به حق وانما ادى ذلك الينا كله الصحابة وهؤلاء يريدون ان يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم اولى وهم زنادقة » .

وليس غريبا ان الذين بدأوا بالهجوم على شخص ابى هريرة ، ثنوا بالتهجم على احاديث رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وثلثوا بالهجوم على السنة ذاتها والتشكيك فيها ، ثم انكشفوا نهائيا حين انتقلوا الى التهجم على القران الكريم وما زعموه فيه من الشعر ، الى غير ذلك من السفاهة والجهل وسوء الادب ، ليس غريبا ان تتناغم هذه الهجمات مع اكثر من « مايسترو » من المستشرقين على راسهم بعض اليهود ، لتتواصل الاسرائيليات القديمة والاسرائيليات الحديثة وان اختلفت الاسماء .

ونسى هؤلاء جميعا ، او تناسوا ، ان الامة الاسلامية ، كما يقول د . محمد زيان عمر ، « لم تكن متاثرة بمجرد عاطفة النقل والرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم وانما كان الهدف صيانة الحديث من التحريف وذلك عن طريق اتباع قوانين الرواية والتشديد على تقليل النقل والتثبت من الرواية ، وبذلك نشا ميزان علم الرواة – الجرح والتعديل – الذى يعتبر العمود الفقرى لعلم مصطلح الحديث وذلك عن طريق دراسة السند والمراد به المحدثون الذين نقلوا الحديث واحدا ، واحدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١) .

وقد وضع علم مصطلح الحديث شرائط صارمة لتحقيق صحة المتن على اساس ميزان الجرح والتعديل للرواة ، اى اثبات جرحهم والتوائهم او عدالتهم واستقامتهم ، وايضا على اساس توافق المتن مع النصوص القرانية وعدم مخالفته لروح الاسلام . وتعتبر هذه الشرائط اقوم فى اثبات صحة التاريخ من مناهج المؤرخين المحدثين التى تقوم على اساس اجتهاد المؤرخ ذاته ، وفلسفته ، والمعايير والقيم التى يؤمن بها بحيث انه يمكن القول ان التاريخ قابل لاعادة كتابته من جديد ولكن نتائج واستخلاصات مختلفة ، لان الاحداث الثابتة تجوز عليها التفسيرات المختلفة اذا ما وضعت فى سياق جديد ، واعيد ضبطها ضمن اطار يختلف باختلاف نظرات المؤرخين . ولا هكذا الحال فى علم الحديث ورواته وضبط متونه . فالرواية يحكمها الاسناد ، وقانون « الجرح والتعديل » وهو قانون صارم عادل لا يجرح به احد بغير سند ، ولا يعدل به راو بغير استحقاق والرواية الصحيحة تؤدى الى متن صحيح ولكن علم الحديث لا يكتفى بهذا وانما يحكم على النص بذاته ، ويقيمه بمضمونه وبمدى اتفاقه او انحرافه عن النص القرانى الكريم الذى لا ياتيه باطل ، او عن روح الاسلام كما يفهمها ويتشربها الجلة والثقات من علماء المسلمين .

وما دمنا بصدد ابى هريرة ، وهو الصحابى الجليل ، فلابد ان نشير الى ان ثمة ايات كثيرة تشير الى عدالة صحابة الرسول الكريم فى القران الكريم ، وهى تجمع على طهارة الصحابة والقطع بتعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج احد منهم الى تعديل بعد تعديل الله تعالى المطلع على بواطنهم .

فلا يبقى بعد هذا الا ان التشكيك صادر عن هوى وليس عن اى تقييم موضوعى للمناهج الاسلامية فى التثبت من الاحاديث اسنادا ومتنا ..

ثم اليس غريبا ان يؤخذ على ابى هريرة انه اكثر من رواية الاحاديث فقد احتوى سند بقية بن مخلد على ٣٧٤ هـ من حديث ابى هريرة (المرجع السابق) بلى ان هذا يستوجب عداء خصوم الاسلام بقدر ما روى .

ويجب علينا ، فى هذا الصدد ان نؤكد على امرين يجعلان هذا الاتهام لغوا لا نفع فيه او دسا قائما على الهوى والغرض .

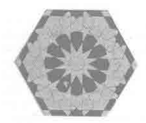
أولهما : أن أبا هريرة كان الزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بانه نشأ يتيما وهاجر من اليمن مسكينا وبقى أعزبا ، وظل ضيفا على رسول الله وملازما له طيلة ثلاث سنوات . وعلى ضوء هذه الظروف فليس غريبا ان يكون ابو هريرة اوفر حظا من سائر صحابة الرسول رواية للاحاديث النبوية الشريفة . وكان ابن عمر يقول له انت يا ابا هريرة الزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واعلمنا بحديثه » .

وثانيهما : اننا كما يقول الأستاذ محمد ضياء الرحمن الأعظمى فى رسالته القيمة عن ابى هريرة لو قسمنا هذه الاحاديث على تلك الأيام التى لازم فيها النبى صلى الله عليه وسلم نجد ان نسبة ما كان يتلقاه فى كل يوم حديثا ونصف حديث بما فيها الصحيح والضعيف . وهذه نسبة معقولة جدا » (٢) .

وفى ضوء هذين الامرين نلاحظ ان تهمة الاكثار لا سند لها ، ولا أساس ثم ان الاكثار لو صح لا غرابة فيه ولا دهشة . على اننا نضيف الى ذلك ان قسطا كبيرا مما رواه ابو هريرة منقول عن غيره من الرواة ، ومسند اليهم،واما الصحيح مما انفرد هو بروايته فلا يتجـــــاوز مائتين وعشرين حديثا (٣) فهل هذا العدد من المرويات يدعو الى اتهام ابى هريرة بالاكثار ، فضلا عن ان يكون هذا الاكثار بالتزيد او لغرض ، او لانحياز وهوى .. ؟ وهذه شهادة لابن عمر عن ذمة ابى هريرة وامانته فى الحديث فقد سئل : هل تنكر مما يحدث ابو هريرة شيئا ؟ فقال : لا ولكنه اجترا وجبنا .

ومع ذلك فالعمدة عندنا صحة الاحاديث وليس عددها ، ولقد كان من نعم الله علينا ان يتفرغ لمثل هذه المهمة الجليلة مثل ابى هريرة فى الوقت الذى شغل فيه غيره من الصحابة بالعمل او التجارة . ولنستمع الى ما رواه البخارى ومسلم عن ابى هريرة فى هذا الخصوص ونحمد الله ان القضية كانت مطروحة لتضمن فى اثارتها فى ذلك الزمان الرد عليها فى هذا الزمان :

« ان الناس يقولون اكثر ابو هريرة ، ولولا ابتان فى كتاب الله ما حدثت حديثا ، ثم يتلو قول الله عز وجل : « إن الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الـــــرحيم » (البقرة ١٥٩ ـ ١٦٠) .



ان اخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وان اخواننا من الانصار كان يشغلهم العمل فى اموالهم ، وان ابا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم لشبع بطنه ، يحضر مالا يحضرون ويحفظ مالا يحفظون .

وكان المسلمون يدققون فى التثبت من صحة حديث رسول الله ولا يجدون فى ذلك ادنى حرج او غضاضة ، وعندما طلب عمر ابن الخطاب رضى الله عنه من ابى موسى الأشعرى ان ياتى بمن يشهد معه انه سمع حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « اما انى لم اتهمك ، ولكنه الحديث عن رسول الله » . وكانى بمروان على نفس النهج . ليس شكا فى ابى هريرة » ولكنه الحديث عن رسول الله كما قال عمر ، يروى كاتب مروان انه ارسل الى ابى هريرة فجعل يحدثه .. » وكان اجلسنى خلف السرير اكتب ما يحدث به ، حتى اذا كان فى راس الحول ـ اى بعد عام ـ ارسل اليه فساله وامرنى ان انظر ، فما غير حرفا عن حرف » . اى امتحان هذا واى دقة هذه ؟ ورضى الله عن ابن عمر يقول له : «إن كنت لالزمنا لرسول الله واعرفنا بحديثه » ورضى الله عن الامام الشافعى حيث يقول « ابو هريرة احفظ من روى الحديث فى عصره » وهذا الغلام الدوسى الذى امن رسول الله صلى الله عليه وسلم على دعائه حين سأل الله علماً لا ينسى كان بـــالغ الرقــة والبر بامــه مما ينبىء عــن عمــق ما في نفســه من الايمـــان والخـــلق ، عــن ابي مرة مولي عقيـل ان ابـا هريـرة كان يســـتخلفـه مروان ، وكان يكون بذى الحليفة فكانت امه فى بيت وهو فى اخر . قال ، فاذا اراد ان يخرج وقف على بابها فقال : السلام عليك يا امتاه ورحمة الله وبركاته . فتقول وعليك يا بنى ورحمة الله وبركاته . فيقول رحمك الله كما ربيتنى صغيرا . فتقول : رحمك الله كما بررتنى كبيرا . ثم اذا اراد ان يدخل صنع مثل . (الأدب المفرد للبخارى) ويروى ان ذلك بعد نزول قوله تعــــالى « ... وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا »

هل هو دفاع عن ابى هريرة ؟ اللهـــم لا فما اغناه عن ذلك ، وانما هى وقفة بين يدى قديم وحديث ، لا يغيب عن البـــال فيه ان الاستيلاء على بعض العقـــول وتوظيفها فى خدمة الاسرائيليـــــــات والصليبيات القديمة والمعاصرة لا يجعـل تشويه الاعلام والشوامخ هدفا فى ذاته .

وانما المستهدف هو ما يمثلونه ، لتتداعى الهزائم النفسية والفكرية ، وتتهاوى اركان الدين ، وتنهار ثقة الامة فى ذاتها وتاريخها ويتم تفكيك مقوماتها ، بعد تذويب الماضى ، وامة لا جذور لها ولا ثقافة ولا أصول ولا معتقد ، هى امة مدمرة لا مستقبل لها ، ومؤهلة للذوبان فى شخصية الغازى الذى اغتال شخصيتها ، ومع ذلك فلن تكون هذه وحدها النهاية « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » .

واذ قد كان الشاهد ذلك الصـــحابى الجليل ، فعفوا ابا هريرة ، لحسبي ان ارجى لك ما اثنى به عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم واورده لنا الامام البخارى فى صحيحه فى باب الحرص على الحديث عن ابى هريرة انه قال : قيل يا رسول الله من اسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد ظننت يا ابا هريرة ان لا يسالنى عن هذا الحديث احد اول منك ، لما رايته من حرصك على الحديث : اسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصـــا من قلبه او نفسه » .

وليس بعد شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قول لقائل او زيادة لمستزيد .

محمد عبده يمانى

هوامش

(١) كتاب « دراسات تاريخية » ص ٣٤ ومابعدهـا .
(٢) ابو هريرة فى ضوء مروياته ـ رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من قسم الدراسات العليا بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .
(٣) المرجع نفسه .

تراثنا الحديث .. من زاوية مختلفة

الأضواء والظلال في صورة "العقاد" المركبة



بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

يلوح لي ان إعادة دراسة العقاد ، بقصد اكتشافه ، تمثل مدخلا طيباً لما نبتغيه من بعث جديد لتراثنا الأدبى والفكرى الحديث يعيننا على الخروج من ازمة العقم التى تمر بها ثقافتنا فى الوقت الحاضر .

فالعقاد ــ بالذات ــ يأتى فى مقدمة الرواد الذين تحتمل شخصياتهم وآثارهم تفسيرات متعددة ، وتقييمات متباينة ، يمكن ان يأتى الحوار حول ابعادهم المختلفة مفيداً ، وخصباً ، وحافلا بشتى النتائج المثمرة ، إذا عرفنا كيف نديره بانفتاح وسعة افق .

وقبل كل شيء اود ان اطمئن القراء ــ القراء المعجبين بالعقاد خاصة ــ بان العقاد علم بارز من اعلام الثقافة العربية وانه مدرسة من مدارس هذه الثقافة . ثم إنه ينتمى للتراث العربى كله وللعرب أجمعين ، لا لبلد بعينه ، ومن حق الناطقين بالضاد فى كل اقطارهم التفاعل مع اثاره بكل حرية ، دون تحرج اقليمى . فالعقاد لم يكن يعترف بالحدود وكان اكبر منها . بل إن العقاد يتجاوز العروبة الى النطاق الاسلامى الانسانى الرحب ، فهو كردى النسب من جهة الام ، وهذا ما يجمع بينه وبين صلاح الدين الأيوبى ، الذى كان كرديا ، وكان عربياً مسلماً عظيماً فى الوقت ذاته . اضف الى ذلك ان العقاد اسلامى انسانى بفكره وروحه وافاقه الرحبة ، وهذا ما يجعله ملكاً لنا جميعاً ــ عرباً ومسلمين ــ بما يتجاوز مدينته اسوان ، وموطنه مصر ، وما يجعل من حقنا ان نتفاعل مع ادبه وتراثه كاهله ومواطنيه ، فلقد كتب لنا جميعاً واسهم بفكره فى تكويننا وصياغة فكرنا جميعاً ، صواباً او خطأ ...

وعليه فإن إعادة تسليط الضوء على شخصه وآثاره بمنظار نقدى صريح لا تعنى



عباس العقاد

مطلوب تسليط الضوء على شخصية واثارة بمنظار نقدى صريح

المس بمكانته او هدمها ، وإنما تعنى الرغبة فى الكشف عن الغنى المتنوع الذى انطوت عليه شخصيته ، واستجلاء مختلف الخطوط التى دخلت فى تكوين ونسج صورته المركبة ، سواء كانت تلك الخطوط متوهجة او خافتة ، مشرقة او داكنة ، ظاهرة او خفية .

فكل شخصية فذة هى ، فى التحليل النهائى ، صورة مركبة ، ومعقدة ومتشابكة ومن السذاجة بمكان ان نظل نطلق عليها الاوصاف التبسيطية دون النفاذ الى ما انطوت عليه من تركيب جدلى (ديالكتيكى)، متفاعل ومتحرك ، بل ومتناقض فى بعض الاحيان .

إن إصرارنا على التمسك بالاحكام التبسيطية ذات البعد الواحد يمثل فى رايى المتواضع سببا من اسباب ضحالة ثقافتنا العامة الحاضرة ، كاكتفائنا بالقول ان هذا كاتب عظيم ، وذاك مفكر رائع الى اخر هذه الأوصاف التى لا تغنى ولا تسمن من جوع ولا تعين على الفهم النافذ الى جوهر الحقيقة الادبية فى تنوعها وتباينها وتشابك ابعادها .

ومثل هذه الاحكام يقع فيها احيانا دارسون كبار من باب المجاملة او التعظيم او المبالغة . يقول الدكتور عثمان امين فى مفتتح مقالة له عن ادب العقاد :

«العقاد اديب وفيلسوف باوسع معانى الادب والفلسفة فى القديم والحديث ...» (راجع : العقاد ، دراسة وتحية ، ص ٤٩)

ومع احترامى لثقافة الدكتور عثمان امين ، صاحب الدعوة الجوانية ، فانى أرى ان مثل هذا الحكم الجارف لا يقدم ولا يؤخر من حقائق الاشياء ، وانه لا يؤثر إلا فى القارىء العامى الذى ينبهر به دون ان يتمثله او يغربله فى ذهنه .

فاذا سلمنا بان العقاد اديب كبير ، ومفكر كبير ، فهل يصح ان نعتبره (فيلسوفا وباوسع معانى الكلمة)؟ فاى نظام فلسفى اقام واى قفزة نوعية اضافها الى تطور الفلسفة ؟ وحتى فى الادب ، فعلى الرغم من كونه ناقداً كبيراً وكاتب مقالة كبيراً ، فانه لم يكن بالفنان الخالق المبدع فى الشعر والرواية والمسرحية وإن تعاطى بعض هذه الفنون الادبية ، لذا فليس دقيقا أن يقال انه أديب باوسع معانى الكلمة فى القديم وفى الحديث ايضاً .. حسب تعبير عثمان امين .. إذا كان لكل كلمة فى البحث الادبى معناها الدقيق المحدد .

وهذا ليس تقليلا من مكانة العقاد الحقيقية فى الادب والفكر . ولكنه تساؤل حول قيمة هذا الحكم الجارف الذى يطلقه الدكتور عثمان امين من باب الحماسة والاعجاب فيما نظن : وهو نهج لا يوصل الى مكان .

مقابل ذلك ، نرى نهجا اخر ، مختلفا تماما ، ينتهجه الأديب الفنان عبد الرحمن صدقى ، وهو ممن صحبوا العقاد صحبة مبكرة طويلة . فنراه يضع يده على جوهر ذلك التركيب الجدلى المتنوع فى الشخصية العقادية المركبة ، حيث يقول ، بعد وصفه لملامح العقاد وتكوينه الجسمانى : «هذه صورة العقاد فى حالة الوحدة والاستقرار لا خلاف فيها . فاذا جالسته لماما دخلت على الصورة عوامل يختلف فيها الناس ، فيحملها كل جليس على المحمل الذى تمليه شتى المدارك والأمزجة ، تحت تاثير الحالات النفسية الطارئة ، فتاخذ الصورة الوانا بحسبها ، وتتسمى الظاهرة الواحدة اسماء عدة بعدادها ، وهذا شان الناس جميعا فى فهم الشخصيات المركبة ، وهذا عذرهم الشفيع فى مغالاتهم وتناقض احكامهم على أصحابها» . ويخلص عبد الرحمن صدقى الى القول : «والواقع ان العقاد شخصية مركبة لانها حية تزدحم فيها كل نوازع الحياة ...»

ثم يوضح معنى التركيب فى شخصية العقاد بقوله : «والذى يلاقى العقاد يشعر لا محالة بعد قليل أن فيه ناحية مبهمة

مجهولة تنطوى على اسرار روحية ، ومطامح دنيوية ، تغيب إحداهما فى الاخرى وتلابسها ، فلا يبين منه إلا الروح القوية العالية» .

أراد ان يقول إن هذه «الروح القوية العالية» التى تبرز للناظر الى شخصية العقاد تخفى وراءها فى الحقيقة ناحية مبهمة مجهولة وجانبا صراعيا بين الأسرار الروحية والمطامح الدنيوية المتمازجة المتلابسة .

وهنا سر «التركيب» فى شخصية العقاد وهنا منطلق الدراسة الخصبة المامولة لهذه الشخصية وآثارها .

ويزيد الاستاذ عبد الرحمن صدقى هذه المسالة الهامة ايضاحا بقوله : «وما من شك فى ان هذه النفس العميقة ، العامرة بالاسرار الروحية والمطامح الدنيوية ، فى التباس وغموض ، هى التى جعلت تلاميذه — حين كان مدرسا للتاريخ بالمدرسة الاعدادية — يلقبونه بالكاهن حرحور .... والكاهن حرحور هو شخصية قوية بين كهنة امون الاقوياء ، وسعت همته السلطة الروحية والسلطة الدنيوية ، فجمع بين السلطتين ، وافتتح عهد الكهنة المتملكين» (راجع مقالة «العقاد كما عرفته فى مطالع القرن العشرين» للاستاذ عبد الرحمن صدقى ، فى كتاب : العقاد تحية ودراسة ، ص ١٠٠ — ١٠٨) .

وهذه الصورة الحافلة لن تكتمل إلا إذا اضفنا اليها ملاحظات عبد الرحمن صدقى حول مزاج العقاد : «ذى الألوان المحددة الحامية ، والظلال المتداخلة الخافية» وما كان يؤدى اليه هذا المزاج من : «ازمات نفسية يكون فيها العقاد — على تماسكه وتلطفه — مهتاج الاعصاب ، سريع الامتعاض ، قليل الاحتمال» . ولا تقتصر هذه الحسلسية على الازمات ، بل تظهر ايضا فى المجادلات الفكرية مع المخالفين : «فلا يمكن القول عن العقاد ان نبضه فى نهاية المناقشة كنبضه عند بدايتهــا» — (راجع المصدر المذكور ذاته) .

إذن فهذه الملاحظات المفيدة والذكية والصريحة لعبد الرحمن صدقى تصلح منطلقا اساسيا لمن يريد دراسة العقاد فى حقيقته المركبة ليكتشف سر ذلك الصراع بين الأسرار الروحية والمطامح الدنيوية ...

من ناحية اخرى ، يسود الانطباع بان العقاد قد ابلى بلاء حسنا فى الدفاع عن القضايا الدينية والايمانية بمنطق قوى متماسك وحجة راجحة بالغة ، ومازال الكثيرون من القراء العرب يستمدون قناعاتهم الفكرية فى الدين من كتاباته الشهيرة الرائجة ..

ولكننا نجد باحثا معاصرا فى قضايا الفكر الدينى هو الدكتور محمد النويهى (استاذ جامعى مصرى) يخرج علينا براى مخالف تماما وتقييم مناقض لهذا الانطباع السائد عن تماسك الفكر العقادى حيث يقول بعد حديثه عن تهافت فكر المعاصرين العرب فى دفاعهم عن قضايا الايمان بنهج لا يتماشى مع تطور العصر ، ولا ياخذ بحقائقه الصلبة المستجدة فى فلسفة الأديان ، متخذا من فكر العقاد بالذات مثالا بارزا على هذا التهافت ..

يقول الدكتور محمد النويهى : «لعل اقسى الامثلة لهذه الظاهرة المحزنة ما فعله مفكرنا الراحل عباس محمود العقاد فى كتابه (الله) . إنه فى سبيل غرضه من إثبات الحقيقة الالهية قد ارتكب — واسفا — من الادعاء ، والاكتفاء بانصاف الحقائق والتهرب والمواربة ، وغمط حجج الخصوم ما يسلب كتابه اى نفع إلا للجهلاء من قرائه ، اما العارفون بمجمل حقائق التاريخ وعلوم الأحياء ، والانثروبولوجيا ، والدراسة المقارنة للأديان ، الذين يلتمسون فى الكتاب مخلصا من الشكوك ، ومنقذا من الضلال ، فقلما سيزيدهم الكتاب اضطرابا الى اضطرابهم واخشى أن ينتهى بعضهم منه الى الالحاد القاطع .» — (راجع ، مجلد «ازمة التطور الحضارى فى الوطن العربى» نشر جامعة الكويت ، ص ٣٨١ ، بالهامش ضمن مبحث الدكتور محمد النـويهى المعنون : «الدين وازمة التطور الحضارى العربى») .

ونحن نضع هذا التقييم للدكتور النويهى امام الباحثين والقراء دون ان نتبناه بحرفيته ، ولكنا نرى فيه ، فى منطلقه العلم ، ما يصلح لغربلة الانطباع السائد حول قوة تفكير العقاد الدينى ، إما باثبات هذه القوة والوجاهة الفكرية لصالح العقاد ، وإما باعادة تقييمها والخروج بحكم اخر عليها ياخذ ببعض ما يطرحه الدكتور محمد النويهى حول طريقة العقاد ونهجه وأسلوبه فى عرض قضايا الدين والدفاع عنها . ولعله من الخير ان نوضح هنا ان نقد الدكتور النويهى لا ينصب على الفكر الدينى من حيث هو ، وإنما يتناول طريقة العقاد ومنهجه فى المجادلة وفرض إرائه على خصومه ، ونسبته هذه الآراء والاجتهادات الى حقيقة الدين ذاته . وغنى عن البيان ان هناك فرقا كبيرا بين الحقيقة الدينية كما هى ، فى اصولها ، وبين ما يطرحه العقاد ، او اى مفكر دينى اخر ، على انه الحقيقة المنسوبة للدين ...

ولعل ما يمكن اضافته هنا الى مسالة منهج العقاد فى عرض القضايا الايمانية ، هو انه يتصدى للدفاع عنها كمحام بارع ، يستخدم مختلف الحجج والبراهين لاسكات الخصوم والمعارضين ، ولكنه مع ذلك يفتقد ، رغم براعة دفاعه ، تلك الحرارة الداخلية التى يبحث عنها المرء فى الكتابات الدينية تلمسا لجوهر الايمان الذى يتعدى الحجج والبراهين وينبثق من القلب انبثاقا .

ولايضاح ما نود قوله تماما ، نلمح إلماحا الى الفارق بين كتابات العقاد الدينية وكتابات سيد قطب الدينية دون ان ندخل فى مجال التفضيل بينهما .

فربما لمست فى كتابات العقاد حجة اقوى ، وفلسفة ابرع ، ولكنك تحس بحرارة الايمان وتوهجه اقوى لدى سيد قطب ، فيما يتعلق بذلك الشعور الداخلى الذى لا يلمس ولا يحدد ، ولا تكفى للتعبير عنه براهين الفكر وحدها ، مهما برعت . ولمزيد من الايضاح بين الرجلين نقول انه اذا كان العقاد يعرض القضية كمحام او متكلم يريد أن يكسب قضيته بالبرهان المنطقى والقانونى ، فان سيد قطب هو القضية ذاتها ، يطرحها بحرارة الدم والشعور ، كداعية ملتزم ، وكشاعر ملتزم ، يسير مع قضيته الى النهاية ، نصرا او استشهادا .

ويرتبط بمسالة فكر العقاد الدينى ،

ويدخل فى صميمه ، قضية تحوله من اللامبالاة بقضايا الدين ، إن لم نقل من الشك والحيرة ، الى الايمان الفكرى الملتزم كما يظهر منذ بداية «العبقريات» حوالى عام ١٩٤٠ مع صعود الموجة الدينية بمصر والعالم العربى .

ويلاحظ الأستاذ فتحى رضوان فى كتابه «عصر ورجال» ان : «العقاد هو ثالث مفكر فى مصر عرفته،بدا حياته وكان العقيدة الدينية لا تشغل مكانا فى قلبه ، ثم ينتهى به الأمر الى الدفاع عن الاسلام فى حماسة وحرارة ، والى الكتابة عنه فى مثابرة ومواظبة» . ثم يورد المؤلف روايات متعددة عن تشكك العقاد فى طوره الاول توحى بطبيعة بداياته الفكرية . (راجع الكتاب المذكور ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠) .

والمسالة هنا لا علاقة لها بالبحث فى ايمان العقاد الشخصى ، فهذه مسالة بين الانسان وربه ، وليس من حق احد ان يبيح لنفسه الخوض فيها من قريب او بعيد . ولكن ما يهمنا كباحثين هو تطور العقاد الفكرى تجاه القضية الدينية .

ويبدو لنا بهذا الصدد ، ان العقاد بدا حياته الفكرية متسائلا ، حائرا كغيره من مثقفى جيله فى تلك الحقبة ذات الطابع العلمانى والتغريبى القوى ، وهذا ما يتطابق مع قول الأستاذ رضوان انه «بدا حياته وكان العقيدة الدينية لا تشغل مكانا فى قلبه» .

ولكنا نجد العقاد ، فيما يشبه التحول الفجائى ، رجلا مؤمنا ، مقتنعا ، واثقا ، وداعيا لليقين فى كل ما يكتب منذ بداية «العبقريات» .

وطبيعى ان يتحول الانسان المتفكر من حائر الى مؤمن الى داعية للايمان . ولكن السؤال المشروع الذى يمكن ان يطرحه الباحث المتتبع لتطور العقاد الفكرى والنفسى فى المسالة الدينية هو : كيف قطع هذه المفازة الطويلة ؟ وكيف اجتاز المسيرة الشاقة من الحيرة الى الايمان ؟ وهل وصل الى ايمانه فجاة ودون مقدمات ؟

وإذا كان إمام دينى سلفى كبير كحجة الاسلام الغزالى قد كشف عن تجربته فى التحول من الشك الى اليقين فى كتابه الشهير «المنقذ من الضلال» الذى يعد من روائع التراث الدينى الاسلامى الى اليوم، فلماذا لم يكشف العقاد فى عصرنا الحديث عن هذه التجربة ، واين هو «منقذ» العقاد ، لماذا لم يكتبه ، ولماذا لم يحدثنا عنه وهو الكاتب المسهب الذى اسهب فى الحديث عن معظم قضايا العصر وخفايا النفس ؟

وهل بامكاننا الآن ، على ضوء الوقائع والوثائق الأدبية والتاريخية ، وباسلوب البحث العلمى ، ان نعيد رسم تلك المسيرة الشائقة بين حيرة العقاد ويقينه ، وان نتعرف بشكل حميم الى دقائق مسارها ... لنضيف الى تجاربنا الروحية تجربة متميزة شائقة كالتجربة العقادية الخصبة؟

والواقع أنه على الرغم من النبرة اليقينية العالية التى تسود كتاباته الدينية فان العقاد ذاته قد كشف لنا فى لمحة عابرة ـ لكنها دالة ـ عن ذلك الجانب الغامض من معاناته الاعتقادية وحيرته بين الشك واليقيـن فى مقدمته لكتاب «عبقرية محمد» الصادر عام ١٩٤٣ ـ وهو الاول فى سلسلة اسلامياته ـ حيث يلمح بايجاز الى مامر به من قلق اعتقادي ، وكانه يعلل لعارفيه باختصـار سبب تحولـه من الكتابـات العصرية غير الملتزمة بالموقف الدينى الى الكتابة اليقينية فى الدين ، ويشرح لمن عرفوا افكاره عن كثب ، سر هذا التغيير ...

يقول فى تقدمته لكتاب «عبقرية محمد» :

«اين كنا قبل تلك السنين الثلاثين (بين ١٩١٣ ـ ١٩٤٣) .. إنها مسافات فى عالم الفكر والروح لو تمثلت مكانا منظورا لاخذ المرء راسه بيديه من الدوار ، وامتداد النظر بغير قرار . كم راى ؟ كم مذهب ؟ كم وسواس ؟ كم محنة ؟ كم مراجعة ؟ كم زلزال يتضعضع له الكيان ، وتميد معه الدعائم والأركان ؟ كم وكم فى ثلاثين سنة مما يطرق نفسا لا تعفيها الحياة من التجارب والعوارض لمحة عين فى نهار . وكم لذلك كله من اثر فى توطيد الراى وتهدئة الثوائر ، وتجلية الغبار» .

هذه السطور الوجيزة ، التى لا تقول اكثر مما تقول ، هى «خلاصة» منقذ العقاد من الضلال ، وهى سطور ترك لنا الامام الغزالى ما يوازيها صحائف طويلة مسهبة.

ولكنها سطور على قلتها تثبت بما لا يدع مجالا للشك ان العقاد مر بتجربة مماثلة ، لكنـه لم يشا ان يتحدث عنها بصراحة ـ كما فعل الامام الغزالى ـ ربما لانه خشي ان يؤثر ذلك على صورته كمفكر مدافع عن الدين . فاكتفى بهذا التلميح ليرضى فضول عارفيه المدركين حقيقة افكاره الاولى وليقطع عليهم طريق التساؤل عن سر التحول . ولكن هذا لا يمنع اهل البحث اليوم من العودة لطرح هذا التساؤل من جديد ... احياء لما نبتغيه من تجديد لحياتنا الفكرية الراكدة .

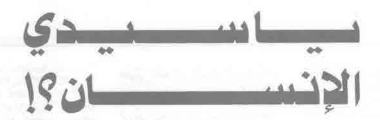
ومازلنا بعد كل هذا فى بداية الخيوط الأولى من الصورة العقادية المركبة . ومازالت امامنا خيوط كثيرة متشابكة : ـ

- لماذا رفض العقاد من منطلقه الروحى المادية الجدلية الماركسية وتقبل ، مع ذلك ، المادية التطورية الداروينية . وماذا يقول تلاميذ العقاد فى هذا القبول ؟ وهل من فارق بين الماركسية والداروينية من حيث المبدا المادى ؟
- هل تثبت الدواوين الشعرية العشرة التى اصدرها العقاد انه كان شاعرا بكل معنى الكلمة ؟
- هل كانت مواقف العقاد ومعاركه السياسية تعبيرا عن نضاله ، ام عن القوى السياسية التى كان ينطق باسمها ؟
- اين نجد العقاد الحقيقى،فى كتاباته النقدية والادبية التجديدية ام فى كتاباته التراثية التقليدية ؟ ام ان هناك حلقة مفقودة بين المرحلتين ، نجد فيها العقاد الذى نبحث عنه ؟
- واخيرا كيف نفسر ظاهرة العقاد المجدد الذى اصبح شديد المحافظة ، والتقدمى الذى انقلب سلفيا ؟

هذه اسئلة نرجو الا يضيق بها صدر اولئك الذين احتفظوا لانفسهم عن العقاد بصورة جامدة ساكنة غير قابلة للتوسيع والتكبير .

وسنكون اكثر من سعداء لو شاركنا المهتمون بدراسة العقاد واحياء تراثه عبء الاجابة عن بعض هذه الأسئلة .

د. محمد جابر الانصارى



بقلم : عبد الله الجفري

● يا سيدى الانسان :

انت ما تزال تنحت قلبى وتقلصه ، فليس سهلا ان يحب الانسان الحياة ويكره الأحياء . فالحب للناس هو الذى يجعل التفاؤل متواصلا والنبض يحلق كما النورس ، والامانى تكبر وتشيع كما الشمس ، وهذا هو الحضور الفعلى فى وريد الحياة الجميلة .. لأن الحب يخلق الفضائل ، ويهذب الاخلاق ، ويصهر السلوك حتى يستقيم ! !

ولكن يا سيدى الانسان :

انت تشق عقلى كما محراث ، وتقلب تربته الأصيلة ، « وتكومها » . وتبعثر كل البذور من الأفكار الصاعدة .. فتشهق الأفكار فى العقل وتموت ! !

ها انذا انسان .. اتصف بصفات الآخرين فى الامانى ، والتطلعات ، والرغبة والذاكرة ، والسأم ، والعبوس ، والضحك ، والاشتعال والانطفاء ، والانانية والتحدث عن الأثرة وحب الناس !

ها انذا إنسان .. اتلفت من خلال افكار العقل ، وحضور الوجدان ..

وفى تلفتى هذا ابحث عن « مستوى » الحياة فى سلوك الأحياء ! !

ولا ادعى اننى الانسان السوي ولكننى الانسان الذى يشعر ان الاشياء التى « تقد » ، من قلبى .. يفعلها الناس بوازع الانانية والأخذ المنحاز .. يتدافع عليها الناس الذين تتجمد امانيهم فى الحياة ، وتكتئب فضائلهم ، فيتشرخ السلوك ويتصدع ! !

اننى اكاد المس صدور الناس .. فاذا هى اسفنجة تمتص الوحشية ، وتمتص الكراهية ، وتمتص القبح ، وتفرغ ذلك الامتصاص كله فى ترسبات النفس ! !

لقد ارتدينا ثوب اللامبالاة ، واعتمرت قلوبنا بالجفاف ، وتنكبت عقولنا الاصرار الأحمق .. انسياقا مع المثل الشعبي القائل : « عنزة ولو طارت » !

● ● ●

● يا سيدى الانسان :

انك تسالنى الان بهذه الغرابة على وجهك : ما الذى تود ان تقول .. ماذا تريد ؟!

اعرف ان ماديات الحياة قد نصبت المتاريس لاقتناص انسانية الانسان فى داخله ، وزرعت الثلوج فى وجدان الانسان .. فتردى مستوى الأخلاق نتيجة لاننا اصدرنا حكما بالاعدام على الشعور بالجمال فينا ..

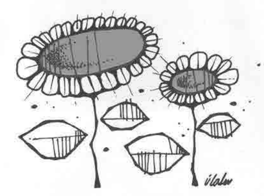
ان « الجمال » موجود فى حياتنا .. من حولنا .. فى الطبيعة . فى الاخلاق ، فى العاطفة . فى الحب العاشق . فى الوسائل التى نطور بها شكل الحياة ، لكن الشعور بهذا الجمال صريع فى داخلنا .. مقتول فى نفوسنا بالمادة ، وبالأنانية ، وبالغرور الحيثى ! !

ولقد قيل : « ان قيمة الفرد لاتقاس بنسبة علمه .. بل بنسبة مستواه الخلقى والعاطفى ، فالعلم لا شىء بلا تهذيب ، والتهذيب هو الذى يكون الخلق ، وانه لمن الميسور ان نعلم رجلا همجيا فى بضع سنين ، ولكن تهذيب هذا الرجل وتكوين خلقه وذوقه قد يقتضى عدة اجيال ، وهذا هو الفارق بين العلم والتمدن » .

وهذه هى المشكلة الحقيقية ..

لقد انتشرت وسائل المدنية والحضارة وتقدمت بالانسان الى سهولة التناول لاشياء كثيرة .. لكن شيئا واحدا يبدو تناولنا له صعبا : وهو السلوك والذوق .. وكان من الممكن ان يشذب العلم الكثير من التهور واللامبالاة وانحراف الذوق ، ولكن ركض المدنية فى متناولاتنا جعلنا لا نقف لحظة للتفكير ، ولا نقف لحظة لتامل جمال الحياة ، والبحث عن مزيد من الشعور بالجمال !

النفس الانسانية قد انغلقت ، فخرير المياه لا يثير الحس بتلك الاثارة العطوف الحانية على نبض القلب : والتفاؤل بالحياة ، وزقزقة العصافير نسيتها اسماع الناس . الذين يصحون مبكرين يركبون سياراتهم ، ويركضون واغلب حوادث



الاصطدام تحدث فى الصباح .. اصطدام السيارات أو اصطدام انسان مع اخر وتلاحيه معه .. فالصباح لم يعد يعنى اليوم الجديد الحافل بالأمانى والتفاؤل ، ولكننا حصرناه فى نقطة محددة .. نجرى اليها برغبتنا المادية لنكسب ، وننتزع ، ونفوز ، ولا نعطى شيئا ولا نتنازل حتى بالغضب ! !

الوجدان الانسانى قد انغلق .. لان شره الماديات طمس العاطفة فيه .. انه لا اكثر من حصد لما فى داخلك ، وحصد ما فى داخلك لطموحك ، وصفائك ونقائك . ونحن الآن ـ بالمثال المباشر ـ تتركز اهتماماتنا كلها على الثروة .. كيف تشترى ارضا وتبيعها بالضعف ، كيف توفر مبلغـــــا وتنميه ؟ وليس هذا عيبا فى التعايش .. ولكن العيب هو ان يشغلنا ذلك فيغمر كل عواطفنا ، وعفويتنا وطفولتنا وأمسنا ، فننسى ذلك ولا نذكر الا المادة التى تهلك نفوسنا ، وتنتصر دائما للوجود الجاف الذى يلغى قيمة وفعالية منظر الشجرة وهديل الحمام ، وتدفق الشلال . وراحة الابتسامة ! !

وهذا هو ضعف الانسان امام البقاء .. فالتكالب على هذا الصراع الذى نعيشه من الاسباب التى تؤدى الى الوفاة السريعة والمفاجئة ودخول الامراض الغريبة الى اجسامنا والى عقولنا وإلى عواطفنا ..

وكيف يمكن لامة ان تبتكر الحياة الاحسن اذا كانت تعانى من امراض النفس ، وامراض العاطفة ؟ !

• • •

لقد فقد الناس طفولتهم ، والذى يفقد طفولته يخسر ماضيه ، وخسران الماضى يعنى ان الانسان لا يحيا الحياة المتواصلة ولكنه يولد كل يوم فى بداية الصـــباح ، ويموت كل يوم حينما ينام .. ويفقد طموحه وقدرته على العطاء لتحسين الحياة !

ان الانسان اصبح لا يشعر بالجمال فى الشارع الذى يمشى فيه ، فهناك الذين يقلعون الاشجار ، ويحطمون التحسين الملموس فى الشوارع الجديدة ، وهناك الذين يركبون عرباتهم كانها صواريخ ويقتلون الآخرين ، ويحطمون الاشكال الفنية التى نزين بها انظارنا .. وهناك الذين يضعون فى عيونهم الهدر ، وفى نظراتهم السفاهة ، ويطاردون الناس ويضربونهم ويشتمونهم .

ولكن .. ما هو العقاب ؟ !

ان العقاب هو فى ان يفهم ذلك اللامبالى انه اخطا وانه لن يكرر سخافاته ومضايقته وان يستعيد لنفسه الشعور بالجمال .. فالحياة الجميلة ليست ان تشتم الناس ، وان تركض فى الشوارع لتشعر الناس أن سيارتك « اخر صرخة » وأن شعرك يصل الى كتفيك .. ثم لا تعرف بعد ذلك ان تتكلم بفهم وتتصرف بذوق ، وتشعر بالحياة !

ان الذين جفت نفوسهم يتطلعون الى الأشياء الجميلة فلا يرون جمالها .. انهم لا يرون شيئا سوى الشىء الواحد الذى حصر كل الشعور فى داخلهم وطمره ! !

وكيف نطالب بالفنون فى حياتنا .. اذا كنا لا نحس بها !؟

كيف نريد أن نحول الشوارع الى حدائق ومنتزهات ، وفرحة وراحة للآخرين ، ولا نحرص ان نظهر امام ادعائنا لانفســـنا بالحضاريين بمظهر الشعب المتطـــور .. المتعلم .. الذواق .. الشاعر بجمـــال الحياة ؟!

• • •

اننى ابحث عن الشعور فى داخل الانسان ، لئلا تتحول عواطفنا وافكارنا واخلاقنـــــا الى شىء من « التنــك » الصدىء ! !

ابحث عن الشعور الذى يرى الجمـــال ويتذوقه ويحسه ، وينميه فى النفس وفى الحياة حتى لا تنغلق نفوسنا وعقولنـــا ووجداناتنا ، واذا انغلقت .. لا نقدر ان نضمن الصحة والعمر الطويل والذكريات الجميلة ، وهى ما يتبقى لنـــا ! !

عبد الله الجفرى



بقلم :
محمود السعدني

الناقد.. القط!

كان الدكتور عبد القادر القط احد مؤسسى ندوة « قهوة عبد الله » .. وكان لقبه العلمي بالاضافة إلى منصبه كاستاذ بجامعة القاهرة يضفى عليه سحراً خاصا . وكان بالاضافة الى وسامته وعنايته بهندامه أطيب اعضاء الندوة قلبا واقلهم طموحا واكثرهم تواضعا ورغبة فى مساعدة الآخرين وكان يقضى بعض الوقت فى مناقشة الأدباء الموجودين ، ثم يستغرقه لعب الطاولة بعد ذلك ، كما انه على عكس انور المعداوي وزكريا الحجاوي ، كان من هواة لعبة كرة القدم ، وكان حريصا على مشاهدة مبارياتها ! ولو ان عبد القادر القط كان حريصا على دخول سوق الادب لكان له شان اخر ، فقد كان فى وقت من الاوقات احد ثلاثة نقاد مسموعي الكلمة فى مصر بعد الدكتور مندور والدكتور لويس عوض ، ولكن بعض النقاد الموسميين مثل الناقد «....» الذى استطاع ان يحتل مساحة فى تاريخ النقد العربي اكبر من حجمه ، وهو لم يصل إلى هذه المكانة بموهبته الادبية ولكن بقوة حنجرته ، ففي العصر الاشتراكي ، كان هو « بابا » الاشتراكية ، وهو مفتي الواقعية الاشتراكية ، واحتل مناصب قيادية عليا فى الدولة ، فلما سقطت دولة الاشتراكية ، آثر الرحيـــل الى الخارج ، ونحى النقد جانبا واصبح الآن واحداً من « المبسوطين » فى مصر !!

ولكن عبد القادر القط ، الصادق مع نفسه ومع الناس ، اثر ان يختفي في زمن الجعجعة بينما تصدر المرحلة عشرات من النصابين ! وظل وفيا لندوة « قهوة عبد الله » ولمنصبه كاستاذ فى الجامعة ، وظل خفيض الصوت ، يتكلم نادرا ، وحتى فى هذه المرات النادرة ، كان يتكلم على استحياء ! ولم تكن له نزوات خاصة او شطحات من اي لون .

كان بيته فى الدقي ومجلسه فى قهوة عبد الله هما كل دنياه . وكان بسيطا وزاهداً على نحو ما . وحتى فى ايام «نعمة» الاذاعة والتليفزيون ومسرح الدكتور حاتم بقى فى الظل مع كتبه ومحاضراته . وحتى عندما فتحت دار النشر ابوابها لاستقبال انتاج جمال الدين الرمادي ، لم يسارع الدكتور القط كغيره الى هذه الاماكن ، مع انه لو فعل لقدم للناس انتاجا عظيما وباهراً ومشرفا له ولمصر ! وكان يكن احتراما عظيما لانور المعداوي ، ولكن نظرته إليه كانت تحمل شيئا من الرثاء ، باعتبار ان المعداوي كان رجلا شديد المثالية فى عصر لا مثالية فيه ! عصر اصبح فيه احمد عبد العاطي صحفيا يشار ليه بالبنـــان ، واسماعيل عبد الجبار مؤلفا يتردد اسمه عبر الاذاعات ! ولم تكن نظرته لما يجري حوله تحمل شعور المرارة الذى كان يحمله انور المعداوي ، كما انه لم يناصب المجتمع العداء كما فعل غيره ، ولكنه اخذ الامور بهدوء ، وعلى ان ما كان سيكون ! وعلى الرغم من ذلك ، كان يحتفل باية موهبة جديدة ، وباية حركة تبشر بخير ، وهو



زكريـا الحجاوي
عبقري أهدر انتاجـه في الكلام !

انور المعداوي
كان رجلا شديد المثالية في عصر غريب

عبد القادر القط
كان صادقا مع نفسه . ففضل الاختفاء في الظل !

يوسف ادريس
احتفل ـ ايضا ـ بباكورة انتاجه

صلاح عبد الصبور
احتفل . القط . بانتاجه المبكر

الذى قدم كتابي الأول « السماء السوداء » وحرض طلبته فى كلية الآداب على قراءته باعتبارهنموذجا من الانتاج الأدبي الجديد . وهو الذى احتفل بانتاج صلاح عبد الصبور المبكر ، وبقصص يوسف ادريس التى نشرت فى السنوات المبكرة في الخمسينات وكان يحب زكريا الحجاوي حبا شديداً ، ويعتبره عبقريا حقا . ولكن سوء حظ مصر ان هذا العبقري اهدر انتاجه فى «الكلام» ، فجاءت اعمله الخالدة مجرد طلقات طائشة فى الهواء ! وكان يحمل للشيخ عبد الحميد قطامش هوى خاصا فى نفسه ، ويعتبره نموذجا للعبقريات التى اهدرتها ظروف المجتمع السيئة .. فلو ان عبد الحميـد قطامش وجد في بيئة اخرى كفرنسا ، لكسبت الانسانية اديبا عبقريا ليس له نظير . وكان يستمتع بمسرح نعمان عاشور ويعتبره ابا للمسرح العربي الحديث . وكان الدكتور القط يتمنى لو اتيحت له فرصة للتاليف ، فهو احيانا كان يقرض الشعر ، ولكنه كان يختص نفسه واصدقاءه المقربين بهذا الشعر ! وقد حاول ان يكتب قصصا ثم اقلع عن ذلك فجاة لسبب لا ادريه ! وعندما انهدمت قهوة عبد الله فى بداية الستينات ، تشاءم الدكتور القط وانتابه هم شديد ! وعندما نقل ندوته مع انور المعداوي كان يزفر احيانا بلا مناسبة ، ويردد فى حزن بالغ « مش دى قهوة عبد الله » ! . وعندما هاجر انور المعداوي الى قريته فى ريف البحيرة ، ادرك ان الحياة قد اصابها حادث مؤسف ، وراح يتردد على المقهى مع محمود شعبان فترة ثم غاب هو الآخر ، ثم اختفى تماما بعد موت انور المعداوي . وكانه متعمد هذا الاختفاء ، تضامنا مع المعداوي الذى اختفى بالموت ، فاختفى هو الآخر بالحياة ! ولكنه عاد يلمع من جديد فى جامعة بيروت العربية ، وترك هناك تلاميذ اوفياء ، وحلقات ادبية شربت حتى ارتوت من ادبه ومن علمه . ثم لمع فى عهد السادات كعميد لكلية آداب عين شمس . ثم عاد من جديد الى الظل فى عصر كان اهم نقاده هو ثروت اباظة ، واعظم مواهبه الجديدة عبد العال الحمامصي !.

والدكتور القط هو اكثر الناس شبها بالكاتب الكبير يحيى حقي . كانما هو حريص على الابتعاد عن دائرة الضوء . وهو مع مندور ولويس عوض يشبه عبد الرحمن شكري مع المازني والعقاد . عاش فى هدوء وذهب فى هدوء ، مع انه كان اغزرهم علما وانعمهم موهبة . وميزة عبد القادر القط انه لم يلتحق بركاب احد ، ولم يمش فى تيار ، ولم يصفق لانتاج دون انتاج كان مع الانتاج الجيد من كل الالوان . وكان مع الأدباء الموهوبين من كل اتجاه . لم ينصب نفسه « بابا » للادب ، ولم يوزع صكوك الغفران على الادباء . وكان يحتفل بكل موهبة ولو كانت ضئيلة . وكان يرى أن الموهبة هي مصدر كل السلطات .. ذات مرة كنت اجلس معه فى المقهى ، وكان المعداوي

يقرا لي قصة قصيرة ، وعندما انتهى منها قال لي وهو يضحك ضحكته الشهيرة «عيبك الوحيد يامحمود إنك مش مدرك قيمة ما تكتبه » !! ورد عليه القط فى هدوء .. « بالعكس ، لعلها ميزة محمود ، لو ادرك قيمة مايكتبه لفسد » !!

وعندما قرات عليه فصول اول مسرحية كتبتها « فيضان النبع » صمت قليلا ثم قال « حوارك ممتاز ، ولكن لابد لك من دراسة قواعد المسرح » ! . وبعد ايام جاءني بكتاب للاستاذ دريني خشبة ونصحني بدراسته ، وللاسف لم استطع ان استفيد من هذا الكتاب في معالجة « فيضان النبع » . ولكنّ تاثيره كان عظيما عندما شرعت فى تاليف مسرحيـــة « عزبة بنايوتي » ! وحضر الدكتور القط المسرحية التى اخرجها الخميسى عدة مرات ، وكتب عنها نقدا وفسرها بشكل لم يخطر على بالي قط ، فقد قال إن العزبة هي مصـــر ، وبنايوتي هو الاجنبي المحتل ، وكان التفسير هو التفسير الوحيد للمسرحية ، والصحيح ايضا ، وعندما صارحته بان هذا الامر لم يخطر لي على بال قط ، قال بهدوء وبالحرف الواحد « انت مالكش دعوة انت تكتب وبس » !! وكان هو الذى نصحني مرات بالا ادع العمل الصحفي يطغى على انتاجي الادبي . وعندما قرأ روايتي « عندما يعود القمر » نصحني بان اكتب رواية اخرى ، وبالفعل شرعت فى كتابة رواية اخرى ، ولكن لم استمر ، فقد استغرقني العمل الصحفي ثم العمل السياسى بعد ذلك ، وكان هذا هو اكبر اخطائي فى الحياة ! .

وهو بالرغم من صحته وزهده وعزلته ، كان شديد المتابعة لما يجرى فى الحياة . كان يسمع الاذاعة ويحضر عروض المسرح ويتردد على السينما ، ويزور الاحتفالات الشعبية ويقرأ الصحف اليومية ، ويتابع الانتاج الادبي الجديد ! وعندما اذاع عبد الرحمن الخميسى « حسن ونعيمة » فى حلقات ، كان شغوفا بها وحريصا على متابعتها بانتظام ، وكان يعدها عملا ادبيا رائعا ، بينما كان يعدها بعض النقاد الموسميين عملا من اعمال الاسترزاق ! . وكان حريصا فى شهر رمضان على الاستماع الى مسلسلة « من قصص القران » ويعدها عملا ادبيا دينيا عظيما ، بينما كان بعض النقاد « الارزقية » يتعمدون الحط من شانها ، ويعدونها لونا من الوان الشعوذة والاحتيال ! وعندما كان عضوا فى لجان القراءة بالمسرح ، لم يرفض عملا مسرحيا لاديب على الاطلاق . وكان يرى ان كل جهد ينبغي ان يقدر ، ولكنه غالبا ما كان يشير باجراء تعديلات على العمل المسرحي ، إذا كان يحتاج الى هذه التعديلات . ولم تستطع الرقابة ان تستخدمه يوما فى قطع الطريق على مسرحية مشاغبة . مع انها استطاعت استعمال غيره من اصحاب الأصوات التى احترفت العواء ! .

وكانت علاقته حسنة للغاية بالطلبة فى الكلية ، وعضوا فى اكثر من اسرة طلابية ، وكان يعقد الندوات لبعضهم في منزله ، ويرى ان العمل فى الجامعة يجرى على نسق العمل فى المدارس الثانوية ، وهو الخطا الاكبر الذى وقعت فيه الجامعات المصرية حتى الآن ! .

وبالرغم من عدم انتمائه إلى مذهب معين ، او حزب من الاحزاب ، إلا انه كان محترما من الجميع ، مهابا بين الكل ، سمعته فى الوسط الأدبي كله « ابيض من اللبن الحليب » . فهو لم يسترزق ابدا ، ولم ينصب نفسه داعية لمذهب ما او شخص ما ، ولم يكن فى ركاب احد ، ولم يحاول أن يجمع ثروة ، ولم يمد يده طالبا منصبا ، وظل حريصا على بقائه فى الجامعة كمجرد استاذ . وهو فى المقابل احتفظ برايه لنفسه ولم يدخل معارك عنيفة ، ولم يعرض نفسه للانتقام الشديد ، ولم يتعقب « الارزقية » ولم يقف فى طريقهم ، ولذلك اسقطوه من حسابهم ، وهم يخوضون معركة الحياة والموت من اجل الاسترزاق ! .

وظل على الدوام راهبا فى دير مصر ، وقد كان دائما مع وطنه لانـــه كان مـــع العـــدل ومع الكرامة ومع الاستقامة ومع الشرف . ولانه لم يتهازل ولم يزايد ، ولم يستخدم حنجرته مطية لبلوغ الاهداف ، ولذلك كان مع مصر ولكن كان على غير المعنى الذى يـــردده « الارزقية » عندما يشرعون فى اغلاق باب الاجتهاد امام المصريين ! ، فقد كان يدعو كل الناس الى الاجتهاد من اجل مصلحة مصر ومستقبل مصر . ولو كانت الاحوال حسنة ، والظروف مواتيـــة ، لكـــان عبد القادر القط هو قاضي قضاة مصر فى محكمة الادب ، وهو اصلح من يشغل منصب سكرتير عام المجلس الاعلى للفنون والآداب . ولكن بعض الظروف التى مرت على مصـــر كانت تجعل من الحيـــاة الادبيـــة قطـــة تـــاكل بنيهـــا ، وخيرهم على الاخص ! .

وقد نجحت هذه الظروف فى ان تاكل الدكتور عبد القادر القط ، فانزوى اخيرا لا ادري اين ، ولكن بقاءه على قيد الحياة يجعله شاهدا على عصره ، واتمنى لو يتفرغ الآن لكتابة ذكرياته عن تلك الفترة المضطربة والقلقة من تاريخ مصـــر ! .

كما انه قطعة حية من ندوة « قهوة عبد الله » فهو احد المؤسسين ، وهو ايضا احد الائمة الذين اشرفوا على الحياة الادبية فى مصر ، وغمروها بالنور فى الاربعينات والخمسينات وجزء من الستينات فى هذا القرن .

وإذا كان انور المعداوي في الحياة الادبية هو ضمير مصر ، وزكريا الحجاوي كان تراب مصر ، فالدكتور عبد القادر القط كان قبســـا مـــن روح مصـــر الناعمـــة والشفافـــة والحانيـــة والمضيئة .

وإذا كان الدكتور القط قد سقط من قائمة المشاهير ، فهي عادة مصرية ، إذ سقط من نفس الكشف عبقريات عظيمة ومواهب فذة ابرزها ابراهيم المازني وزكي مبارك والشاعر اسماعيل صبري والشاعر احمد فتحي ، بينما لمع فى عصرهم من كانوا مثل الطين إذا سقطت عليها الشمس .

اما جيلي فقد عاش مع القط وتتلمذ عليه ، وتعلم على يديه ، وتشرف به ! وستبقى صورة الدكتور القط تلمع دائمـــا فى عيـــون مصـــر . !

محمود السعدني



إعـــــــــلان

مســـابقة لرســـوم الأطفـــال

تعلن وزارة الاعلام ـ ادارة الثقافة والفنون ـ مساهمة منها في اكتشاف المواهب الفنية عن مسابقة لرسوم الاطفال وفق الشروط التالية : ـ

١ ـ المسابقة مفتوحة لكل الاطفال من سكان دولة قطر ومن جميع الجنسيات .
ـ ان تكون الاعمال المشاركة بالألوان .
٣ ـ ان تناسب الاطفال من سن السابعة وحتى سن الخامسة عشرة .
٤ ـ للطفل المتسابق حرية اختيار الموضوع والمقاس .
٥ ـ يحق لكل متسابق المشاركة بعملين فقط .
٦ ـ ترفض الاعمال التي يتدخل في رسمها الكبار .
٧ ـ الاعمال التي تقدم للاشتراك في هذه المسابقة لا تلتزم الادارة باعادتها لاصحابها فازت أم لم تفز .
٨ ـ يحق للادارة المشاركة بالاعمال الفائزة في اي من المعارض الداخلية او الخارجية التي تشارك بها الادارة .
٩ ـ تمنح الاعمال العشرة الفائزة جوائز مالية على النحو التالي : ـ

الجائزة الأولى مبلغ ٢٠٠٠ ريال
الجائزة الثانية مبلغ ١٥٠٠ ريال
الجائزة الثالثة مبلغ ١٠٠٠ ريال
الجائزة الرابعة مبلغ ٨٠٠ ريال
الجائزة الخامسة مبلغ ٧٠٠ ريال
الجائزة السادسة مبلغ ٥٠٠ ريال
الجائزة السابعة مبلغ ٥٠٠ ريال
الجائزة الثامنة مبلغ ٥٠٠ ريال
الجائزة التاسعة مبلغ ٥٠٠ ريال
الجائزة العاشرة مبلغ ٥٠٠ ريال

١٠ ـ ترفق مع الاعمال المشاركة قصاصة مستقلة بها اسم المتسابق كاملا وعنوانه ورقم تليفونه اذا امكن للاتصال به وتسلم لقسم الفنون التشكيليه والمعارض بمبنى ادارة الثقافة والفنون وآخر موعد لقبول الأعمال المشاركة هو ظهر يوم الخميس ١٩٨٢/٩/٣٠ .



إعـــــــــلان

مســـابقة لرســـوم الأطفـــال

تعلن وزارة الاعلام ـ ادارة الثقافة والفنون ـ مساهمة منها في اكتشاف المواهب الفنية عن مسابقة لرسوم الاطفال وفق الشروط التالية : ـ

١ ـ المسابقة مفتوحة لكل الاطفال من سكان دولة قطر ومن جميع الجنسيات .
ـ ان تكون الاعمال المشاركة بالألوان .
٣ ـ ان تناسب الاطفال من سن السابعة وحتى سن الخامسة عشرة .
٤ ـ للطفل المتسابق حرية اختيار الموضوع والمقاس .
٥ ـ يحق لكل متسابق المشاركة بعملين فقط .
٦ ـ ترفض الاعمال التي يتدخل في رسمها الكبار .
٧ ـ الاعمال التي تقدم للاشتراك في هذه المسابقة لا تلتزم الادارة باعادتها لاصحابها فازت أم لم تفز .
٨ ـ يحق للادارة المشاركة بالاعمال الفائزة في اي من المعارض الداخلية او الخارجية التي تشارك بها الادارة .
٩ ـ تمنح الاعمال العشرة الفائزة جوائز مالية على النحو التالي : ـ

الجائزة الأولى مبلغ ٢٠٠٠ ريال
الجائزة الثانية مبلغ ١٥٠٠ ريال
الجائزة الثالثة مبلغ ١٠٠٠ ريال
الجائزة الرابعة مبلغ ٨٠٠ ريال
الجائزة الخامسة مبلغ ٧٠٠ ريال
الجائزة السادسة مبلغ ٥٠٠ ريال
الجائزة السابعة مبلغ ٥٠٠ ريال
الجائزة الثامنة مبلغ ٥٠٠ ريال
الجائزة التاسعة مبلغ ٥٠٠ ريال
الجائزة العاشرة مبلغ ٥٠٠ ريال

١٠ ـ ترفق مع الاعمال المشاركة قصاصة مستقلة بها اسم المتسابق كاملا وعنوانه ورقم تليفونه اذا امكن للاتصال به وتسلم لقسم الفنون التشكيليه والمعارض بمبنى ادارة الثقافة والفنون وآخر موعد لقبول الأعمال المشاركة هو ظهر يوم الخميس ١٩٨٢/٩/٣٠ .

آراء حرة

تؤمن « الدوحة » بضرورة الحوار بين الآراء المختلفة ، فمن خلال الحوار الموضوعي الحر تظهر الحقيقة ، والمفكر الحقيقي الذى يمكن ان يخدم امته هو الذى يقبل « الراي المخالف » ويعارضه بسلاح واحد هو الراي والمواجهة الفكرية الصريحة .

"داروين وفتنته النائمة"

رَدٌّ على الدكتور عبد المحسن صالح

بقلم : الدكتور عبد الله العبادي

نشر مقال للدكتور عبد المحسن صالح في مجلة « الدوحة » العدد ٨١ بعنوان : مات رجل وعاشت نظرية .

نذكر منها مقتطفات ثم نعلق عليها :

جاء في المقال « ورغم مرور مائة عام على موت داروين إلا أن نظريته لازالت حية بل إنها تزيد حيوية واشراقا لا في عقول الناس بل في عقول العلماء الذين يفكرون بطريقة منتظمة مستمدين زادهم الفكري من قوانين الكون وشرائع الحياة ، إذ كلما مرت السنوات وتطورت البحوث ، وزادت حصيلة العلماء من الاسرار الكثيرة التي تنطوي فى خلق الكائنات ، كلما اصبحوا من حقيقة التطور قاب قوسين او ادنى » .

في هذه الاسطر يريد ان يثبت الكاتب ان نظرية داروين حقيقة ، ولها فضل كبير فى تغذية عقول العلماء ، واســتمرار استنتاجاتهم العلمية وتطور البحوث حتى يومنا هذا .

نقول للكاتب وامثاله : لماذ نتشبث بهذه النظرية الخاطئة بالذات دون النظريات الأخرى ، ونريدها ان تكون مثار جدل مستمر فيما بين القراء على صفحات الصحف والمجلات ، لماذا لا نتناول بالدراسة والكتابة النظريات الأخرى التى تفيد مجتمعاتنا ، وشعوبنا ، لماذا لا نتناول مثلا فى كتاباتنا مثلا قصة اختراع السيارات ، وتطوراتها ، ام لماذا لا نتناول دراسة اختراع الصاروخ وتطوراته ، او الطائرة ، وكيف مرت بمراحل إلى ان وصلت ما وصلت إليه اليوم ، بل لماذا لا نتناول صنع الابرة التى هي ابسط شيء فى عالم المصنوعات ، ونحن نستوردها حتى الآن ...

إن الهدف واضح ومرسوم ، وهو شغل المسلمين والعرب فيما لا جـدوى تحته ، ولا فائدة منه ، وإلا فمثل هذه النظرية الخرقاء لا تستحق كلاما ، او كتابة ، او اقلاما سائلة ، فهي فتنة كلما نامت ايقظها المغرضون ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « الفتنة نائمة لعن الله موقظها » .

واي فتنة أشد من هذه الفتنة التى تتعرض للآيات القرآنية والاحاديث النبوية صراحة ، وتمس العقيدة فى الصميم وتستهزيء بعلماء الدين ؟

ثم لنسال الكاتب ماهي الاستنتاجات التى استنتجها العلماء من هذه النظرية حتى يومنا هذا ؟ وماهي الاختراعات التى اخترعوها استنادا على هذه النظرية ؟ وماهي الحقائق التى توصل اليها العلماء من وراء هذه النظرية ؟

لاشيء بالطبع من ذلك كله ، وإنما هو الكلام الذى لا طائل تحته والمراء الذى لا يرجع على هذه الأمة إلا بالخيبة ، والخسران .

ثم قال « والغريب ان جميع من ناقشوا النظرية وفندوها ، وهدموها لم يكونــوا رجال علم ... »

يقصد الكاتب بالطبع الذين ناقشوا النظرية هم علماء الدين الاسلامي ، وان هؤلاء ليسوا رجال علم .

نقول للكاتب إذا كان رجال الدين ليسوا رجال علم ، فمن هم إذا رجال العلم ؟ فلعله يقصد ان رجال العلم هم ايضا هم انصار داروين ، وماعداهم فليسوا بعلماء ، أليس ذلك ما يدعو للسخرية ؟ .

ونحن نرى ان هذه المسالة مسالة دينية بحتة ، وتخص علماء الاسلام وحدهم ، ومن واجبهم الدفاع عن الاسلام وعن العقيدة . إلى ان قال « ولقد كان من الممكن ان تمر هذه الآراء مرور الكرام ، وان يكتفي الجميع بالقول بان نظرية التطور مخالفة لتعاليم الدين ، او هي تناقض ماجاء فى بعض ايات القران الكريم التى تحدثت عن خلق الكائنات عامة ، والانسان خاصة ، هذا رغم ان القران الكريم يحثنا صراحة على البحث فى اصول الخلق ، وفي ذلك تاتي اشارة واضحة « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدا الخلق ... »

ألست معي ايها القارىء ان هذا الكلام فيه تناقض ؟ ، حيث يعترف الكاتب ان نظرية التطور مخالفة لتعاليم الدين ، وهي تناقض بعض ايات القران الكريم ، ومن ناحية أخرى يستدل على نظرية التطور بقوله تعالى « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدا الخلق .. » ، فهل كتاب الله يناقض بعضه بعضاً ، حاشا كتاب الله من التناقض ، اما الكلام بان هذه النظرية تناقض ايات القران الكريم صراحة ، فذلك مما لا جدال فيه ، قال تعالى فى سورة البقرة « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال إني اعلم مالا تعلمون . وعلم ادم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك انت العليم الحكيم ... الى قوله (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا

هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ..) الى اخر القصة .

ويقول تعالى فى سورة الحجر (وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ..)

وقوله تعالى فى سورة (ص) (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ..)

هذه الآيات وغيرها تدل على ان قصة خلق ادم عليه السلام وحواء خلق جديد على صورتهما الآدمية لم يكن لهما خلق اخر قبل ذلك ، وإنهما سكنا الجنة ، ثم هبطا الى الأرض بامر اللــه تعالى .

وكلمة « روحي » هنا ـ كما ذكر المفسرون ـ بمعنى الروح التى املكها ولا يملكها غيري ، والاضافة اضافة ملك كسمائي وأرضي وبيتي ، وناقة الله ، وشهر الله ... ومثله وروح منه فى قصة خلق عيسى عليه السلام .

وقد روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال « خلق الله ادم وطوله ستون ذراعا ، وهو اول مخلوق من هذا النوع . وهو اول انبياء الله ورسله فى الأرض أرسله الى بنيه على الصحيح وهو اول خليفة فى الأرض . فهل نصدق ماجاء فى الكتاب وماجاء عن الرســول صلى الله عليــــه وسلم ام نصدق داروين ومن شايعه ؟ .

ومن الآيات التى جاءت فى تكريم الانسان ، وانه مكرم ومفضل على المخلوقات قوله تعالى (ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) الاسراء اية (٧١)

وقوله تعالى (وصوركم فاحسن صوركم) التغابن اية (٣)

وقوله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم) التين اية (٤) . اما قوله تعالى فى سورة العنكبوت اية (٢٠)

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق .. » فمعناه ـ كما جاء فى القرطبي ـ « قل لهم يامحمد سيروا فى الأرض (فانظروا كيف بدأ الخلق) على كثرتهم وتفاوت هيئاتهم واختلاف السنتهم والوانهم وطبائعهم ، وانظروا الى مساكن القرون الماضية ، وديارهم وآثارهم كيف اهلكهم ، لتعلموا بذلك كمال قدرة اللــه .

فمعناها سيروا فى الأرض وانظروا ماذا فعل الله بالأمم من قبلكم واتعظوا بذلك ، وليس معناها انظروا الى اصل المخلوقات كما فسرها الكاتب .

ثم قال « فالقول بان التطور مجرد نظرية وليس حقيقة علمية قول مجانب للحقيقة ، فالتطور ذاته حقيقة .. الى ان قال ثم ان نظريــة التطــور ليســت إلا واحـــدة مـــن النظريات العلمية التى تناولت فكرة خلق الكائنات .. »

فالكاتب هنا يخلط بين الحقيقة والنظرية ، والفرق ـ كما لايخفى ـ واضح بين الحقيقة والنظرية ، ثم ان كلمة « التطور كلمة حــق اريد بهــا باطل » فالتطور فى خلق الله موجود وثابت ، ولكن ليس التطور الذى يقصده الكاتب ، فالتطور فى خلق الانسان نفسه حاصل لكل فرد إذ يمر فى اطوار من الخلق بحيث يكون فى بطن امه نطفة ثم علقة ، ثم مضغة ثم عظاما .. فهذه تطورات خلق الانسان التى جاء بها القران الكريم . يقول تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين) المؤمنون اية (١٤)

والمعنى لقد خلقنا الانسان وقلبناه فى ادوار الخلقة واطوار الفطرة وكل طور فيها لا يمت إلى الاخر بصلة .

ثم يمر الانسان كذلك باطوار مرحلية اخرى غير تلك الأطوار . يقول تعالى (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) الروم اية (٥٤)

فهذا التطور غير ذلك التطور الذى يقصده الكاتب .

وبعد ان تكلم الكاتب عن نظرية التطور وانها حقيقة علمية وان داروين على صواب فيما يدعيه ياتي ليقول « ويبدو ان الناس قد جبلــوا على القفز الى الاستنتاجات قفزا فهم يخطئون عندما ينسبون الى داروين قوله بان اصل الانسان قرد ، وتطور ، رغم ان داروين لم يذكر ذلك حقا لعلمه بالفجوة الواسعة التى تفصل بين القرد والانسان . ألست معي ايها القارىء ان هذا الكلام يناقض بعضه بعضا ؟ .

فبعد ان دافع الكاتب عن نظرية داروين وانها حقيقة ، وان الناس لا يفهمون ، يرجع ليقرر إن داروين لم يقل بان اصل الانسان قرد ، وانه تطور بعد ذلك . إذا لماذا كل هذا الكلام ، ولماذا كل هذه السخرية بالغير ، ولماذا هذه الردود ؟

إن المعروف ان داروين نادى بهذه النظرية الخرقاء ، وأيده اناس من البسطاء وقصيري النظر ، وإن لم يكن ذلك صراحة فى باديء الأمر ، فانه قد قرر ذلك ضمنا ، وفي المرحلة التالية من دراسته قرر ذلك صراحة . لذلك لاقى انتقادات واعتراضات كثيرة فى زمانه .

ويترتب على هذه النظرية الجوفاء التي بنيت على الحدس والتخمين ـ حسبما يبدو لي ـ أمور منها :

١ ـ تاييد الطبيعيين فى اعتقادهـــم حيث يعتقدون ان كل شيء على وجه الأرض من صنع الطبيعة ، الى ان الاشياء كلها من اصل واحد توالدت من بعضها البعض ، وبالتالي تنفي قدرة الخالق العظيم المبدع الذى خلق كل شيء على حدة ، ومستقلا استقلالا تاما فى خلقه ، وليس له ارتباط بالآخر ، فهذه الأنواع المتباينة من الخلق التى لا تعد ولا تحصى تدل على كمال قدرته تبارك وتعالى ، وعجيب صنعه . يقول تعالى فى سورة « طـه » اية (٥٠) « قال ربنا الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » .

والمعنى ـ كما يقول مجاهد امام المفسرين ـ المعنى انه لم يخلق خلق الانسان فى خلق البهائم ، ولا خلق البهائم فى خلق الانسان ، ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا .

ومنه قول الشاعر :

ولـــه فـــي كـــل شيء خلقـــــه
وكذاك الله ما شاء فعـــل

٢ ـ إن الله تعالى يصرح فى القرآن الكريم انه خلق ادم خلقا مبدعا ليس له مثيل سابق ، وكرمه ، وامر الملائكة لتسجد له تكريما له ، ثم تاتي النظرية لتقول انه تطور عن حيوان حقير ، وهذا هو الالحاد بعينه .

٣ ـ هذه النظرية والتى يسمونها نظرية «النشوء والارتقاء» وهى الارتقاء من الادنى الى الأعلى وليس العكس ، او النظرية التى تولدت من هذه النظرية «البقاء للأصلح» نراها تخالف الواقع وامام اعيننا فاننا نرى أن الانسان نفسه ينزل من أعلى الى ادنى حيث يهبط من نشاط الشباب والقوة الى ضعف الشيخوخة والشيبة ، ثم الموت ، فليس بالضرورة أن يرقى الحيوان دون أن يهبط ، او ان يعلو دون ان ينزل ، ونرى كذلك أن النظرية الثانية «البقاء للأصلح» لا تصلح ان تكون قاعدة لهذا الامر ، ولو كان الأمر كما يزعمون لانمحى وجود القردة من الوجود وبقى نوع الانسان وحده لانه الأصلح ، وهذا ما لا نراه فى عالم القردة .

إن هذه النظرية وما ترمي اليه من ابعاد عقائدية خطيرة جاءت على لسان شخص

اوربى ، فلذلك تشبث بها البسطاء ، ورفعوها ، ونادوا بها ، وصفقوا لها ، وكل يوم يعملون لها عيد ميلاد ، اما لو كانت صادرة من شخص عربى ، او مسلم ، لماتت ، وذهبت مع ادراج الرياح ، ولا غرابة فى ذلك فان البعض منا قد جبل على حب كل ما هو ات من الغرب . ورغم ان الكاتب يرى ان نحيل كل امر الى متخصص فيه إلا انه قد حشر نفسه فيما ليس له فيه اختصاص ، فذهب يشرح الاية الكريمة «قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدا الخلق» حسب ما فهمه وأملت عليه افكاره .

ورغم مرور قرن على هذه النظرية المشئومة والتى فتنت كثيرا من الناس البسطاء فى مجتمعاتنا ، فان علماء الغرب حتى الآن لايثبتون هذه النظرية ، وتلاقى مصادمات ، وتضاربات ، واعتراضات حتى يومنا هـــذا .

وفى ذلك يقول الأستاذ احمد ابو زيد فى مجلة العربى العدد ٢٨٤ ص ٧٢ يوليو ٨٢ « والشيء الواضح من هذا كله هو انه على الرغم من كل ما قاله داروين وكل ما كتبه العلماء التطوريون طوال المائة والعشرين عاما التى انقضت على ظهور كتاب «اصل الانواع» فليس ثمة اتفاق بين العلماء على اصل الحياة وكيف بدات ، وكيف -تطورت فلاتزال النظريات العلمية تتضارب ، وتتعارض الى ابعد حدود التضارب والتعارض» .

وعلمـــاء الغـــرب العصريـــون ، والمتخصصون انفسهم يردون على نظرية داروين ، ويثبتون عدم جديتها ، ومخالفتها للواقع !

فقد قال الأستاذ احمد ابو زيد فى المجلة المذكورة ص ٧١ «كذلك يلقى تصور داروين للتطور على انه عملية متصلة ، ومستمرة ، وإن كانت تتسم بشكل بطيء وتدريجى - اعتراضات كثيرة من جانب عدد من علماء «الانثربولوجيا الفيزيقية» المعاصرين ممن اتيحت لهم الفرصة للبحث الميدانى ، والتنقيب ، والعثور على بعض الحفريات القديمة التى قلبت كل النظريات السابقة راسا على عقب ، ويكاد هؤلاء العلماء يجمعون الآن على ان الانواع الجديدة لم تكن تظهر نتيجة لتراكم «التغيرات الصغيرة» خلال فترات طويلة جدا من الزمن ، كما قال داروين ، ولكنها كانت تظهر فجاة ، ثم تستمر فى الوجود دون ان يطرا عليها اى تغيرات كبيرة حتى تندثر ، وتختفى تماما ، لكى يظهر من بعدها - وبطريقة فجائية ايضا - انواع اخرى تختلف عنها اختلافا كبيرا ، ودون ان يكون هناك مقدمات ، او شواهد فى الانواع القديمة تبشر بظهور هذه الانواع الجديدة الأكثر تطورا ، وتمهد لها ، وقد استند اصحاب هذه النظرية الجديدة الى جانب الحفريات التى عثروا عليها الى وجود فجوات ، وثغرات واسعة جدا فى «السجل الحفرى» يمتنع معها إمكان تصور التطور على انه عملية واحـــدة متصلـــة ، ومستمرة ....» .

ومن الجدير بالذكر ان «كارل ماركس» راس الشيوعية والشيوعيين والذى كان يريد تعميم الالحاد فى العالم كله اراد ان يصدر الترجمة الانجليزية لكتابة «راس المال» بعبارة اهداء الى «داروين» مما يعبر عن مدى اعجابه الشديد بهذا الشخص الجديد الذى خدم قضية الالحاد لاول مرة فى العالم ، ولكن داروين اعتذر عن ذلك وقد ظل «ماركس» متحمسا لكتاب «اصل الانواع» ولنظرية التطور لدرجة انه كتب الى إنجلز يقول «على الرغم من ان هذا الكتاب يعالج التطور باسلوب انجليزى فج فانه يحتوى اسس التاريخ الطبيعى لنظريتنا» .

واخيرا إذا كان هناك من يعتقد جدية النظرية ، ويصر على ذلك اصرارا ، فليعتقد كما يشاء ، وليحبذ تلك النظرية كما يشاء ، ولكن ليس من المنطق ان يفرض ، او يعمم ذلك الاعتقاد ، او تلك النظرية على الآخرين فان الناس ليسوا كلهم على درجة واحدة فى التفكير يقبلون كل ما يقال ، او يكتب ، فمنهم من يكون سطحى التفكير ، ويتجاوب الى ابعد الحدود مع كل ما يسمع ، او يرى ويصفق مع المصفقين دون ان يدرى ما هو سبب التصفيق ، ومنهم من رزقه الله الدقة فى التفكير ، والنضوج فى العقل ، فهو يعرف كيف يفكر ، وكيف يتدبر امرا ما ، ثم كيف يتقبله او يرفضه .

وصدق الله العظيم حيث يقول (فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) الحج ٤٧ .

د. عبد الله العبادى
مشرف عام الشئون الثقافية
جامعة قطـــر

لســت زعيـــمًا للشـــركس في عـــمّان!

لدى تصفحي العدد (٨٠) اغسطس ١٩٨٢ من مجلتكم الغراء ، فوجئت بمقال بقلم الاستاذ ضياء الدين بيبرس تحت عنوان عادات وتقاليد (ص ٥٣) ودهشت من المغالطات التى اوردها عن عادات وتقاليد الشـركس فى الأردن .. لقد قلب الكاتب الحقائق إلى خيال وترك لقلمه العنان ليكتب ماشاء من اخطاء ، وكانه يكتب من جزائر واق الواق ، ونسى ان العالم أصبح صغيرا ، والبعيد صار قريبا والكلمة التى تقال فى ادنى الأرض يسمعها فى حينها سكان الأرض جميعا ..

إنني اقر بكل تواضع خطا ماجاء فى المقال ، فلست زعيما للشركس فى عمان كما ذكر الكاتب ، وكذلك إبنتي ليس لها دخل بالموضوع حتى يحشر اسمها معي ايضا ، وكل مافي الأمر إننى كنت رئيسا للجمعية الخيرية الشركسية بعمان ، ولما انتهت مدة رئاستي انتخب شخص غيري لهذا المركز ، ومدة الرئاسة فيها سنتان ..

ارجو التكرم بتكذيب ماجاء في المقال المشار إليه ، وان هذه العادات والتقاليد قد بادت كما باد الاولون ، وان الشركس ليسوا بجالية كما ذكر كاتب المقال ، وإنما هم جزء لا يتجزا من الشعب الاردني النبيل .

وفى الختام اعرب لكم وللمجلة عن عظيم شكرى وتمنياتي لها بمزيد من الازدهار .

فواز ماهر
الاردن - عمان

المستشرق اليهودي

بول كراوس

بين الفضيحة المالية والفشل العاطفي

اخي رئيس تحرير الدوحة

اهنئكم واشكر لكم مقالكم الذى كتبتموه حول انتحار شاعرنا القومى الكبير خليل حاوى، اشكر لكم هذه الاطلالة على عالم خليل حاوى فى وقت صمتت فيه الكثير من الاقلام عن الكتابة عن هذا الحدث الأليم .. لاعجب فصمت نقادنا عن الحديث عن خليل حاوى هو امتداد لصمت امتنا العربية وتقاعسها عن الدفاع عن مقدساتها وابنائها . ! .. وما هذا الصمت الصغير إلا وليد طبيعى لذلك الصمت الفادح ! .. كان من الطبيعى إذن ان يذهب خليل حاوى صريع صمت هذه الامة قبل موته وبعد موته !

غير انى توقفت طويلا عند مقدمة مقالكم الذى عقدتم فيه مقارنة بين انتحار خليل حاوى وانتحار المستشرق اليهودى بول كراوس ، ويخيل الى ان هذه المقارنة قد يكون فيها شىء من الاجحاف بشاعرنا القومى الكبير . ففى حدود ما اعلمه عن المستشرق كراوس اقرر لكم ان حبه للعروبة ودفاعه عن القضية العربية هما عندى موضع شك كبير على الرغم مما حدثكم به . كما ذكرتم ـ استاذنا الفاضل الجليل الدكتور عبد العزيز الأهوانى . وما وجهة النظر التى نسبتموها إلى الدكتور الأهوانى الا واحدة من وجهات نظر مختلفة لم اجد للاسف ما يؤيدها فيما سمعت من روايات المعاصرين لبول كراوس عن نزعاته واتجاهاته ، اذ تجمع هذه الروايات على انه كان حاقدا على الاسلام فى وقت كان الحقد فيه على الاسلام يعنى الحقد على العروبة ، اذ لم تكن الدعوة الاسلامية والدعوة العربية قد تميزتا كما هما الآن .

ومن ناحية ثانية فان تاريخ انتحار المستشرق بول كراوس كان سابقا لقيام اسرائيل بعدة سنوات وليس لاحقا عليها كما ذكرتم فى مقالكم نقلا عن الدكتور الأهوانى ذلك أن تاريخ انتحاره هو عام ١٩٤٤ كما تذكر فهارس مكتبة الجامعة الامريكية بالقاهرة ، او عام ١٩٤٥ كما يذكر كشاف الاعلام فى ذيل كتاب « اسس الفلسفة للدكتور ـ توفيق الطويل » ، « الطبعة السادسة ـ القاهرة ـ دار النهضة العربية ـ ١٩٧٦ ـ ص : ٤٩٠ » .

اما عن سبب انتحاره كما حدثنى به استاذى الفاضل د . توفيق الطويل فهو فضيحة مالية شهدتها كلية الآداب بجامعة القاهرة (فؤاد الاول فى ذلك الوقت) وكان كراوس هو البطل الوحيد فى هذه الفضيحة ومؤداها ان الدكتور طه حسين عميد الكلية كان قد اوفده الى فلسطين لشراء بعض الكتب والمخطوطات من مكتباتها ، وحين عاد كراوس بالكتب والمخطوطات المطلوبة لاحظت ادارة الحسابات ان كراوس لم يتقدم بفواتير الشراء وابدت قدرا كبيرا من الشك فى صحة الاثمان المزعومة ومن ثم فقد رفعت الأمر الى الدكتور طه حسين لكى يتخذ القرار المناسب ، وكان قرار الدكتور طه حسين هو تكليف رئيس قسم الجغرافيا الدكتور ـ مصطفى عامر ـ الذى كان يتاهب للسفر الى فلسطين لامر ما ـ بمراجعة المكتبات التى اشترى منها كراوس هذه الكتب واحضار فواتير باثمانها وقد كانت المفاجأة .. وهى أن كراوس قد اختلس معظم الثمن لنفسه ! وقد تعاصرت هذه الواقعة مع ما كان يتردد فى اوساط الجامعة من ان كراوس كان يخوض قصة غرام فاشلة فى الوقت الذى خاض فيه الفضيحة المالية .. ولم يحتمل كراوس هاتين المحنتين فيما يبدو فاثر إنهاء حياته وهكذا وجد ذات يوم متدليا من حبل مشنقة هياه لنفسه فى حمام منزله .

وبعد فاننى اذ اتقدم إليكم بهذه الرواية عن انتحار كراوس .. فاننى امل ان اكون قد نفضت عن ذكرى خليل حاوى تراب مقارنة ظالمة فى ارجح الظن .

ولكم منى كل تقدير ...

دكتور نصار عبد الله
مدرس الفلسفة المعاصرة
جامعة اسيوط

تعليق : اشكر الدكتور نصار على هذه الرسالة واعتقد ان شخصية «بول كراوس» تحتاج إلى المزيد من الضوء الذى يكشف الحقيقة حول هذه الشخصية ، واذكر اننى قرات مقالا للدكتور يحيى الخشاب عن « بول كراوس » فى مجلة الثقافة المصرية القديمة ، وكان المقال مليئا بالتقدير والاحترام لهذا المستشرق .. وارجو ان يتفضل الاساتذة العارفون بالقضية إلى كشف الحقيقة الكاملة . وفى مقدمة الذين نرجو منهم ان يتكلموا ، « استاذنا الدكتور توفيق الطويل واستاذنا الدكتور يحيى الخشاب . على ان لي ملاحظة اخيرة هي ان طه حسين لم يكن عميدا لكلية الآداب سنة ١٩٤٥ ، بل لم يكن عميدا للآداب فى اى سنة من سنوات الاربعينات . فقد كان فى ذلك الحين مستشارا فنيا لوزارة التربية والتعليم ، او مديرا لجامعة الاسكندرية . فاين الحقيقة في هذه القضية ؟ .

.. أرجو ان تفتح كلمة الصديق الدكتور نصار بابا لتوضيح الحقيقة الكاملة حول شخصية هذا المستشرق الغامض « بول كراوس » .

ر . ن

بين الشعبين المصرى والفلسطيني

بقلم : اللواء إبراهيم محمد الفحام

يقول الأديب الفلسطيني عمر الصالح البرغوثي في مقدمة كتابه (الوزير البازوري) تحت عنوان (علاقة مصر بفلسطين) :

« إن أكثر من عشر سكان فلسطين يمتون الى أصل مصري ، هاجرت عائلاتهم مع جيش إبراهيم باشا الى فلسطين ، ثم التجأت عائلات أخرى فراراً من السخرة والشدة في حفر القنال ، ولاتزال تحمل الطابع المصري في الاسم ، مثل عائلات المصري ، والدمياطي ، والزعبلاوي ، والشرقاوي ، والانشاصي ، والعرايشي ، وغيرهم . وكذلك اللهجة المصرية ، والطعام المصري ، واللباس الريفي ، والعادات المصرية فهي شائعة في الساحل ما بين خان يونس وعكا» .

وتعرض عارف باشا العارف ، مؤرخ المدن الفلسطينية ، لتلك الظاهرة ، في كتابه (تاريخ غزة) بقوله :

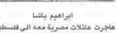
« لقد كان المصريون أهم عنصر من عناصر السكان الذين استوطنوا غزة ، على مر الأحقاب . وإن كنت في شك من قولي هذا ، فما عليك إلا أن تقلب صفحات التاريخ ، أو تقوم بجولة قصيرة في شارع من شوارع غزة في هذه الأيام (سنة ١٩٣٤) .. تشابه في الرداء واللهجة ، وفي العادات والعنعنات ، وفي الأفراح والمآتم ، وفي السحن وتقاطيع الوجه ، وفي الأبنية والمآكل ، وفي كل شيء » .

وأشار عباس العقاد الى تلك المظاهر ، ضمن الفصول التي نشرها عن انطباعاته خلال رحلته في فلسطين في صيف سنة ١٩٤٥ والتي أعيد نشرها في كتابه (حياة قلم) سنة ١٩٦٤ . إذ قال :

« أحسب أن المصريين والفلسطينيين في مجال الهجرة فرسا رهان ، أو فارسان متقاربان ، فمن فلسطين مهاجرون في مصر ومن مصر مهاجرون في فلسطين . وقد يعيش الفلسطيني زمناً في مصر ، ثم يعود الى بلاده . وقد ترى بينهم من يلقب بالانشاصي ، والبلبيسي ، والطنطاوي ، كما ترى بيننا من يلقب بالغزي ، والرملي ، والعكاوي ، وكأنهم يتسابقون ويتلاحقون في حلبة واحدة ، لا يخرجون منها ، ولا يسرعون الى تبديل معالمها ، سواء في التقاليد الاجتماعية ، أو معيشة البيوت ، حتى (الملوخية) وهي صحفة مصرية ، لا يتقنها الطهاة ، من غير وادي النيل ، قد أكلناها في بيت أبي خضرة ، كما تؤكل على أفخر موائدها التي تعتز بتقديمها في بواكيرها أو معقباتها ، لأن أبناء هذا البيت يحافظون على تراثهم القديم مذ كانوا بريف مصر ، ولاتزال لهم قرابة فيه » .

وقال العلامة السوري محمد كرد علي في مقال له عن المصريين الذين توطنوا بلاد





ابراهيم باشا
هاجرت عائلات مصرية معه الى فلسطين



احمد لطفي السيد
تحدث عن تبادل الهجرات بين الشعبين



نابليون بونابرت
وجد اربعمائة مصري فى يافا



محمد علي
طلب من والي عكا إعادة المصريين فرفض

الشام ، نشر فى عدد ابريل سنة ١٩٤٠ من مجلة (الهلال) :

« ترك جيش ابراهيم باشا بن محمد علي الكبير فى الديار الشامية وما اليها ، الوفا من المصريين ، اصبحوا بعد حين من الدهر كاهل الشام ، فى مناحيهم ، على نحو ما كان من بضعة الوف من المصريين ، وردوا على فلسطين قبل الحملة المصرية ، وكانوا السبب الظاهر فى إعلان محمد علي باشا الحرب على والي عكا ، بل على الدولة العثمانية ، لانه طلب إرجاعهم الى مصر ، فابى الوالي على محمد علي إعادتهم ، محتجا بان مصر والشام شىء واحد ، وكلتاهما تابع للدولة . وهؤلاء المهاجرون الأول تفرقوا فى انحاء فلسطين ، واحالتهم شاميين » .

وقد اسهمت الجماعات البدوية ، التى تقيم بعض فروعها فى مصر والبعض الآخر فى فلسطين ـ والتى تنتمى الى قبائل السواركة والتياها والترابين والأخارسة والمساعيد والسماعنة والرميلات والوحيدات والرتيمات ـ فى توطيد روابط القرابة بين الشعبين المصرى والفلسطينى حتى بعد ان تحضرت اعداد كبيرة من عائلاتها فى المدن والقرى المصرية والفلسطينية ، إذ ظلت زيارات التعارف والمجاملة ، وعلاقات التآزر فى السراء والضراء بين هذه العائلات البدوية منها والمتحضرة ، باقية الى عهد قريب ، بل وظلت باقية بين بعضها حتى الآن .

الروابط الوثيقة

وقد ذكر لي صديق شرقاوى ، تنتمى عائلته الى قبيلة السماعنة ، انه حتى زمن غير بعيد كانت تفد الى قريته جماعات عديدة ، من العائلات الفلسطينية لمشاركة ابناء عمومتهم المصريين احتفالاتهم بالمناسبات المختلفة كالزواج ، وختان الأولاد ، واداء فريضة الحج ، وللعزاء والمواساة فى حالات الوفاة ، كما كانوا يتشاركون جميعا فى تحمل الالتزامات التى يفرضها العرف البدوى ، فيما يتعلق بحماية المستجيرين وإيوائهم ، ومؤازرة الأقارب والحلفاء ، وذلك برغم تخليهم عن مظاهر الحياة البدوية ومن اظهرها الزى البدوى ، واندماجهم الكامل فى خضم المجتمع الريفى المصرى .

وقد شجعت تلك الروابط الوثيقة ، بين العائلات المصرية والفلسطينية ، التى تنتمى الى اصول قبلية مشتركة ، على تبادل الهجرة ، كلما تطلبت الظروف ذلك .

وتحمل بعض القرى المصرية ، والتجمعات السكانية الصغرى التى تتبعها (كالعزب والكفور) اسماء قرى او عشائر فلسطينية ، وفدت بعض عائلاتها اليها وتوطنت فيها .

وقد ذكر محمد رمزى بك فى كتابه (القاموس الجغرافى للبلاد المصرية) فى معرض حديثه عن قرية (السماعنة) بمحافظة الشرقية : « والسماعنة جماعة من عرب فلسطين ، نزلوا بهذه الناحية ، فعرفت بهم ، كما ورد فى تاج العروس » .

وذكر استاذ الجيل احمد لطفى السيد ، فى كتابه (قصة حياتى) ان قريته (برقين) بمحافظة الدقهلية ، يحتمل ان تكون قد سميت باسم قرية (برقين) الفلسطينية .

ولم يكن تبادل الهجرات بين العائلات المصرية والفلسطينية مقصورا على الجماعات البدوية الأصل ، بل شمل جماعات اخرى كثيرة ، تحت وطأة ظروف واحداث مختلفة .

ففى بداية الحملة الفرنسية على مصر ـ وخاصة بعد انتصار الفرنسيين فى معركة إمبابة ـ لجا كثير ممن خشوا بطش القوات المحتلة بهم ـ الى فلسطين . وعندما استولى نابليون على يافا فى مارس سنة ١٧٩٩ وجد بها اربعمائة مصرى ، من بينهم نقيب الأشراف السيد عمر مكرم ، فاعاده الى مصر ، وحاول إلحاق الباقين بصفوف جيشه ، ولكنهم رفضوا ، فامر باعادتهم الى مصر ، ولا يبعد ان بعضهم ـ ومعهم أعداد اخرى وفيرة من مواطنيهم كانوا فى انحاء اخرى من تلك البلاد ـ لم تتح لهم فرص العودة الى مصر .

وعندما اخمد الفرنسيون حركة المقاومة المسلحة ، التى قادها حسن طوبار فى بحيرة المنزلة بالدقهلية ، نزح الى غزة ، والتف حوله كثير من رجالهالمتعطشين للنضال ، حتى بلغ سلطات الاحتلال الفرنسى انه يعد بتلك المدينة قوة ينوى نقلها فى خمسين سفينة الى دمياط

بين الشعبين المصري والفلسطيني

لاحتلالها ، واستئناف اعمال المقاومة فى شواطىء دمياط وبحيرة المنزلة ، ولكنه لم ينجح فى العودة الى مصر إلا بعد جلاء المحتلين .

وكان نزوح الالاف من الفلاحين المصريين الى فلسطين ـ تخلصا من الأعباء التى القتها على عواتقهم انظمة السخرة والضرائب والتجنيد التى استحدثت فى عهد محمد علي ـ السبب المباشر الذى تذرع به لشن حملته على بلاد الشام فى سنة ١٨٣١ ، وخاصة عندما طلب من عبد الله باشا والى عكا إعادتهم الى مصر فرفض ذلك .

وقد اشار عبد الرحمن الجبرتى فى الجزء الرابع من تاريخه المسمى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) ضمن حوادث صفر ١٢٢٥ هـ . الى ما عاناه الفلاح المصرى من قسوة الأساليب التى اتبعت فى تحصيل الضرائب منه ، وقال .. « فربما اداه الحال إن كان خفيف العيال والحركة ، الى الفرار والخروج من الاقليم بالكلية . وقد وقع ذلك حتى امتلات البلاد الشامية والرومية من فلاحى قرى مصر ، الذين جلوا عنها ، وخرجوا منها وتغربوا عن أوطانهم ، من عظيم هول الجور » .

وعندما اعاد محمد علي جيشه الى مصر سنة ١٨٤٠ تخلف الآلاف من جنوده عن العودة . ويقدر موريبه فى كتابه (تاريخ محمد علي) عدد افراد ذلك الجيش ، ومن كان ملحقا بهم من المدنيين قبل الانسحاب ٢٠٠ الف نسمة ، بينما لم يصل منهم الى مصر سوى ٦٠ الفا فقط ، واندمج من كتبت له الحيـــاة من الباقين فى ابنـاء البلاد ، وإن ظلوا محتفظين بالكثير من عــــاداتهم وتقاليدهم الموروثة ، فاضفوا بعض السمات المصرية ، على ملامح المجتمعات التى عايشوها .

من مصر الى فلسطين .. وبالعكس

وتكرر نزوح الفلاحين المصريين الى الاراضى الفلسطينية ، عندما ارهقتهم اعمال السخرة فى حفر القناة ، وإقامة بعض المنشآت الاخرى المتعلقة بها .

وكانت قد استقرت فى ارجاء الريف المصرى ، كثير من الأسر الفلسطينية التى استعين بخبرتها فى زراعة اشجار الفاكهة ومن اصلابهم انحدرت كثير من الاسر الريفية المصرية التى استمرت تمارس حتى الآن هذا الضرب من التخصص الزراعى .

وقد صادفت ـ اثناء عملى بالشرطة فى شمال الدلتا ـ اسرا كثيرة ، من هذا القبيل يشكل بعضهم سكان قرى باكملها ، ويشكل البعض الاخر نسبا متفاوتة من سكان قرى اخرى ، وقد نسى افرادها من الجيل المعاصر ـ فى غمار انشغالهم بمتاعب الحياة واحداثها المتوالية والمتراكمة ـ كل شيء تقريبا عن اصولهم ، ولكن تلك الاصول ظلت من الذكريات العريقة ، التى يعيها كبار السن ، وخاصة من يتمتعون بقدر من الثقافة التقليدية التى ترهف وعيهم التاريخى ، ويحتفظ بعضهم بما يؤيد ذكرياتهم هذه من الوثائق ، كما تؤيدها بعض الشواهد المتبقية ، كملامح الوجوه ، والأسماء والكنى والألقاب ، واللهجات والامثال والاغانى ، والحكايات ، والملابس والأطعمة ، وسائر العادات الاجتماعية ، وإن كانت هذه السمات تبدو باهتة فى الغالب ، تحت الصبغة المصرية الغالبة ، التى اكتسبوها مع الزمان .

وفى القاهرة ، وغيرها من المدن المصرية ـ وليس فى الريف وحده ـ تتوطن منذ اجيال عديدة ، كثير من الأسر الفلسطينية الأصل ، التى تمتهن التجارة ، واغلبها من سلالة (النابلسة) و (الخلايلة) ـ اي ابناء نابلس والخليل ـ الذين كان اسلافهم يترددون على هذه المدن فى مواسم معينة للاتجار فى الصابون وزيت الزيتون ، ثم طاب لهم الاستقرار فيها ، وجمعتهم بمن خالطهم من المصريين روابط البيع والشراء من جهة ، والمصاهرة من جهة اخرى .

وقد دعيت منذ سنوات قليلة ، لحضور احتفال بعقد زواج يجمع بين فتاة مصرية وشاب فلسطيني من الخليل ، وحضر الحفل بعض اقاربه ، وكلهم من تجار القاهرة . وكانوا من الكثرة بحيث غلب على ظني أن تعداد ابناء الخليل فى القاهرة وحدها ، لايقل عن تعدادهم فى موطنهم الأصلي .

وفى مقابل ذلك فقد استــقر فى المدن الفلسطينية ، كثير من التجار المصريين ، الذين كانوا يترددون عليها ، للاتجار فى المحاصـــيل والمصـــنوعات المصرية والفلسطينية معا . وخاصة (البلابسة) اي أبناء مدينة (بلبيس) بمحافظة الشرقية ، الذين يقال انه لا تكاد تخلو مدينة فلسطينية من اسرة او اكثر تنتمي إليهم .

وكانت هنالك روابط تجارية واجتماعية وثيقة بين ابناء مدينتي يافا ودمياط ، اللتين لم تنقطع بينهما رحلات السفن ، للتجارة او حضور مجالس العلم .

ويرجع الفضل فى توطيد اواصر الاخوة الصوفية بين ابناء المدينتين إلى الســيد قطب الدين عمر بن محمد البكري اليافي الدمياطى من ابناء الطريقة الخلوتية ، وقد ولد فى يافا ، ووصل إلى مصر فى اواخر القرن الثامن عشر ، اســتقر فى دمياط فاكتسب فيها كثيرا من المريدين والاتباع ، ثم عاد إلى موطنه ، وتوفى بدمشق فى سنة ١٨١٨ وتاثرا بتلك الروابط ، اثر الاقامة فى يافا بعض المصريين الذين ابعدوا من بلادهم لادانتهم بالاشتراك فى احداث الثورة العرابية ، كما حرص على التردد عليها الذين كتب عليهم ان يقضوا مدة النفى من بلادهم فى بيروت ، وذلك للالتقاء بمواطنيهم المقيمين فيها ، أو بابنائها الذين تربطهم بمصر اوثق الصلات .

وقد تحدث الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي فى كتابه (نفحة البشام فى رحلة الشام) ـ الذى ضمنه ذكرياته خلال اقامته فى منفاه ببيروت بصحبة الشيخ محمد عبده ـ عن رحلة قام بها إلى مدن فلسطين ، والتقائه ببعض شخصياتها التى رحبت بمقدمه ، ومنهم الشيخ خليل التميمي الخليلي ، كما قابـــل في يافــا مصطفى افندي الارناووطي المصري الدمياطي ، الذي اقام له ـ ولمن معه ـ احتفالا دعا لحضوره عددا من العلماء والتجار والاعيان . وذكر الشيخ القاياتى عنه انه (من جملة المنفيين معنا فى الحادثة المصرية ـ يقصد الثورة العرابية ـ واقام ببندر يافا لقربها من ثغر دمياط ، حتى يكون ذلك انجز لمقصوده فى إدارة حركته التجارية ، واقرب المواصلات اللازمة لتلك الجهات ، فضلا عن ذلك ، فقد نال من لطف هؤلاء الســـادة ، ما اذهب عنه وحشة الغربة وانساه بلاده) .

عبد الله النديم .. فى الشام

عندما تقرر نفي السيد عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية إلى بلاد الشام سنة ١٨٩١ ابحر من الاسكندرية إلى يافا ، فاستقبله فى مينائها حشد كبير من العلماء والاعيان ، واستضافه مفتى المدينة السيد على ابو المواهب ، فاقام فى بيته



عبد الرحمن الجبرتي
أشار إلى أسباب هجرة بعض الفلاحين لبلاد الشام .



عبد الله النديم
أبحر من الاسكندرية الى يافا ليستقبله حشد من كبار العلماء .





سعد زغلول
أطلق أهل القدس اسمه على مواليدهم الجدد إعرابا عن حبهم له

طلعت حرب
استقبله الشعب الفلسطيني بترحاب شديد عندما زار فلسطين

شهرا ، ثم استاجر دارا خاصة لم تلبث ان صارت منتدى لعلماء المدينة وادبائها .

وقد أشاد النديم فى مقال نشر له فى عدد ٢٣ مايو عام ١٨٩٣ من مجـــلة (الاستاذ) بما لقيه المصريون الذين نفوا إلى بلاد الشام من ترحيب أهلها وتكريمهم ويقصد ببلاد الشام مفهومها المصري الفسيح ، الذى يشمل كل ما يلي حدود مصر الشرقية حتى نهاية الحدود السورية فى أقصى الشمال ، كما أشاد بما لقيه هو شخصيا من حفاوة طوال مدة نفيه التى قضاها فى ربوع فلسطين ، فقال :

« إن كثيرا من المصريين ابعدوا إلى سورية والشام ، فما وجدوا غير إخوان كرام ، قابلوهم بوجوه مستبشرة ، ونفوس طيبة ، واحلوهم محل الكرامة والتجلة ، حتى قضى الكل مدته ، وهو فى أحسن مايكون من الانس والراحة ، ومنهم هذا الضعيف محرر الأستاذ ، فقد غمره اهل يافا والقدس الشريف بفضلهم ، واروه من مكارم الاخلاق ، ما لا يحصى الثناء عليه ، فقد اجلوه وكرموه ، وبادلوه الزيارة والضيافة ، وساعدوه فى تنقلاته وخدموه ، بما زادهم شرفا وفضلا . ولم يقصر المسيحيون فى مشاركة المسلمين فى الزيارة والمودة ، حتى جئت ولساني يرطب بالثناء عليهم » .

وهكذا كان الشعب الفلسطيني شديد الانفعال باحداث مصر ، كما كان من اكثر الشعوب العربية تاثرا بالحركة الوطنية المصرية . وكان من مظاهر هذا التاثر اطلاق الوطنيين الفلسطينيين لقب (الزعيم الجليل) على اسحاق موسى الحسيني باشا ، رئيس الوفد الفلسطيني إلى لندن فى سنة ١٩١٩ وهو نفس اللقب الذى اطلقه الوطنيون المصريون على سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصري ، كما تذكر فرنسيس إميلي نيوتن فى كتابها (خمسون عاما فى فلسطين) أن الوطنيين الفلسطينيين رفعوا فى سنة ١٩٢٠ علما يشبه العلم الذى كان يرفعه الوطنيون المصريون فى ثورة ١٩١٩ والذى يضم هلالا يحتضن الصـــليب . وكان تقـــدير الفلسطينيين لزعامة سعد زغلول يضارع تقدير اخوانهم المصريين لها .

يروى إميل الغوري فى كتابه (فلسطين فى ستين عاما) الذى صدر فى عام ١٩٧٢ بعض ذكرياته عن فجر الحركة الوطنية الفلسطينية فيقول :

« كنا نحن معشر الطلبة فى ذلك العهد (يقصد سنة ١٩١٩) نفاخر بسعد زغلول ونعتبره زعيما عربيا عظيما ، وتعلقنا به منذ ان بدانا نسمع عن حركته ومواقفه ، وكثيرا ما كنا نهتف باسمه وباسم الوفد المصري فى المظـــاهرات والمـــواكب والاحتفالات التى كنا نشترك فيها . واذكر أن صور سعد زغلول هو ورجال الوفد مثل مكرم عبيد ، ومصطفى النحاس ، وحمد الباسل ، ومرقص حنـــا ، وواصف غالى ، ومحمود البسيونى ، واحمد ماهر ، ومحمود النقراشي ، وغيرهم ، كانت ترفع فى البيوت والمخازن والمقاهي العامة ، رغم اوامر السلطات البريطانية بعدم رفعها ، وان الكثير من أهل القدس كانوا يطلقون اسم سعد زغلول على مواليدهم الجدد ، إعرابا عن تقديرهم وحبهم له » .

وأشار إلى تألم الفلسطينيين لتصدع الحركة الوطنية المصرية ، ومعاداة بعض الساسة المصريين لسعد زغلول ، وشبه ذلك بما اصاب الحركة الوطنية الفلسطينية من انقسام . ووصف موقف الرأي العام الفلسطيني من ذلك فقال :

« ومما هو جدير بالذكر أن القيادة الوطنية الفلسطينية التى كان الشعب باكثريته الساحقة يؤيدها ، ويلتف حولها ، التزمت جـــانب سـعد زغلول والوفـد المصري ، فى حين التزمت جبهة المعارضين فى فلسطين جانب الجماعات التى خرجت على سعد وحزب الوفد » .

وروى الغوري واقعة من ذكرياته ، تصور مدى حدة التاثر التى كان يتسم بها الشعور الوطني الفلسطيني نحو الظروف التى كانت تجتازها الحركة الوطنية المصرية ، وما تمخضت عنه من صراع حزبي عنيف ، فيقول :

حفلة تكريم فى القدس

« واذكر ان اسماعيل صدقي ـ وكان من زعماء مصر المعارضين لسعد زغلول ـ زار فلسطين ، وكان رئيسا للوزارة المصرية ، وحل ضيفا على المندوب السامي البريطاني فاحتفى به المعارضون حفاوة عظيمة ـ يقصـد معارضى الاتجاه الشعبي السائد



اسماعيل صدقي
استقبله الشعب الفلسطيني وهو يهتف بحياة سعد والوفد المصري .



عمر مكرم
اعاده نابليون إلى مصر عندما وجده في يافا .

بين الشعبين المصري والفلسطيني

في فلسطين ـ ، واعد له رئيس بلدية القدس راغب النشاشيبي زعيم المعارضين حفلة تكريم كبرى ، في قاعة المجلس

البلدي . فلما وصل اسماعيل صدقي إلى دار البلدية ، هاجمه الشعب وهو يهتف بحياة سعد والوفد المصري . وقذفه بالبيض والبندورة (اي الطماطم) فاضطر

إلى العودة من حيث اتى ، ولم تقم الحفلة»
وذكر ان الشعب الفلسطيني أعلن ـ عند وفاة سعد زغلول في سنة ١٩٢٧

الحداد عليه ثلاثة ايام ، وارسل زعماؤه ومختلف مؤسساته وهيئاته ونواديه وجمعياته برقيات العزاء إلى ام المصريين

وحزب الوفد ، وجللت صوره في كل البيوت والمتاجر والأماكن العامة بالسواد ، وأرسل وفد يمثل الجميع إلى القاهرة لتقديم

العزاء ، والمشاركة في حفل التابين ، الذى أقيم بالنادى السعدى ، فلقى الوفد حفاوة عظيمة ، وخصص لاعضائه الصف الأول . والقى إميل الغوري كلمة عبر فيها عن مشاعر الفلسطينيين .

ويمثل تلك العاطفة استقبل الشعب الفلسطيني طلعت حرب مؤسس بنك مصر عندما زار بلادهم في العام التالي (١٩٢٨).

وفي الحفل الذي اقامته له الغرفة التجارية بيافا ، ابديت له رغبة الشعب الفلسطيني في انشاء بنك مصري فلسطيني بفلسطين ، يشترك في تمويله بنك مصر والفلسطينيون فرحب بتلك الفكرة ، كما ايدها اعوان طلعت حرب . ولكن الجهود التى بذلها

اثرياء اليهود في مصر ، حالت دون إنشاء ذلك البنك ، كما تعرض المولون الفلسطينيون لضغوط شديدة بددت حماستهم لذلك المشروع .

وكانت فلسطين ـ استجابة لرغبة شعبها واصراره ـ من أولى الاقطار العربية التى انشئت فيها فروع لجمعية الشبان المسلمين ، بعد إنشائها في مصر سنة

١٩٢٧ . ولم يقتصر إنشاء تلك الفروع على المدن الفلسطينية الكبرى ، بل امتد إلى بعض القرى الصغيرة ايضاً . وكان لتلك

الفروع فضل عظيم في توثيق روابط الفكر القومي بين الشعبين المصري والفلسطيني وبين هذين الشعبين وسائر الشعوب العربية والاسلامية ، فبدات حكومة

الانتداب البريطاني ، تعارض جهودها ، ووجهت منشورا إلى دواوين الحكومة ، يدعو إلى منع الموظفين من الانتماء إلى

تلك الفروع ، كما اغلقت فرعي الجمعية بكل من يافا وغزة .

وكانت تلك التصرفات من اهم الموضوعات التى ناقشها المؤتمر العام الذى عقدته الجمعية بالقاهرة في يولية ١٩٣٠ ، وقررت ابلاغ احتجاجها على ذلك للمندوب السامي البريطاني في فلسطين ، وإلى الحكومة البريطانية ، وعصبة الامم ، والصحف العربية والانجليزية .

وكانت معالم الحياة في مدينة يافا ـ بوجه خاص ـ مرآة صادقة للترابط الوثيق بين الشعبين المصري والفلسطيني ، بفضل الصلات التجارية المستمرة والعريقة بين ابنائها وابناء الثغور المصرية وخاصة دمياط . وقد عبر المحامي المصري

الأديب عبده حسن الزيات في كتابه (من يوميات محام) عن بعض الانطباعات العميقة التى خلص بها خلال زيارته لمدينة يافا سنة ١٩٤٤ وابدى تاثره من اطلاق أسماء مصرية على بعض مؤسساتها مثل

« سينما فاروق » و « فندق رمسيس » و «الجمعية المصرية» كما تاثر برد الفعل الحماسي الذى بدر من المستمعين له ، اثناء القائه محاضرة عن المحاماة . وخاصة عندما تحدث فيها عن سعد زغلول كمحام .

مشاعر شعبين

وقد ظل الشعب المصري بدوره ـ وسيظل دائما ـ بالغ الحساسية ، شديد الانفعال بالظروف والأحداث التى يستهدف لها الشعب الفلسطيني . وقد تجلى ذلك

دائما في مواقف الحكومات والهيئات والجماعات الصادقة التعبير عن مشاعر الشعب المصري وارادته .

وليس في هذا ما يثير العجب ، فالرابطة بين الشعبين المصري والفلسطيني ليست من قبيل الروابط التى تستمد وجودها من الاتفاقات او السياسات الرسمية للدول ،

وحدها ، بل هي رابطة واقعية بين شعبين يسهم كل منهما بنصيب وافر في النسيج الاجتماعي للشعب الآخر ، فضلا عن إدراكهما الواعي لوحدة المطامح والآمال والمصائر .

ابراهيم محمد الفحام



مسابقة
بمناسبة افتتاح
مركز الخور الثقافي

بمناسبة افتتاح مركز الخور الثقافي ـ يسر وزارة الاعلام ـ ادارة الثقافة والفنون ـ الاعلان عن المسابقة الآتية :

أحسن صورة فوتوغرافية لمدينة الخور

شروط المسابقة :

١) الاشتراك مفتوح للجميع .
٢) ان تظهر الصورة جوانب الاصالة بمدينة الخور والذخيرة .
٣) ان تكون الصورة بالالوان الطبيعية .
٤) يحق للمتسابق الاشتراك بثلاث صور مختلفة .
٥) ان يكون مقاس الصورة ١٤ × ١١ بوصة ويرفق معها نسختين بالمقاس العادى .
٦) الصور لا ترد لاصحابها فازت ام لم تفز .
٧) يكتب اسم المتسابق وعنوانه على ورقة منفصلة على ان تحمل الصورة اى اشارة او رقم ويذكر بها وقت التقاط الصورة .
٨) آخر موعد لاستلام الصور هو يوم الخميس ١٤/١٠/١٩٨٢ م .
٩) ترسل الصور بالبريد المسجل على العنوان التالى :

« ادارة الثقافة والفنون ـ ص . ب : ٣٣٣٢ ـ الدوحة »
« مسابقة احسن صورة »

الجوائز :

الجائزة الأولى	٣٠٠٠	ثلاثة الاف ريال قطرى .
الجائزة الثانية	٢٠٠٠	الفين ريال قطرى .
الجائزة الثالثة	١٠٠٠	الف ريال قطرى .

كما انه سيقام معرض يضم جميع الصور المشتركة وذلك بقاعة المعارض بالمركز الثقافى بمدينة الخور بعد اعلان النتائج .

والله ولى التوفيق ..



مسابقة
بمناسبة افتتاح
مركز الخور الثقافي

يسر وزارة الاعلام ـ ادارة الثقافة والفنون الاعلان عن المسابقة التالية :

" أحسن مقال أو دراسة أو بحث يخص أحد معالم مدينة الخور "

شروط المسابقة :

١) الاشتراك مفتوح للجميع .
٢) ان يكون الموضوع فى احد الجوانب التالية :
أ ـ دراسة أو بحث عن حياة شاعر من شعراء الخور .
ب ـ دراسة او بحث عن تاريخ المدينة .
جـ ـ دراسة او بحث عن احد الحرف الشعبية التى كانت تمارس بمدينة الخور .
د ـ دراسة او بحث فى نواحى الحياة بمدينة الخور .
٣) ان لا يقل الموضوع عن عشر صفحات فولسكاب .
٤) ان يكتب بخط واضح او مطبوع على ثلاث نسخ .
٥) ان يكتب اسم المتسابق على ورقة منفصلة .
٦) يحق للمتسابق الاشتراك باكثر من مقال .
٧) الموضوع لا يرد لصاحبه فاز أم لم يفز .
٨) ترسل المواضيع على العنوان التالى (ادارة الثقافة والفنون ص . ب ٣٣٣٢ ـ الدوحة)
« احسن مقال »
٩) آخر موعد لاستلام المواضيع يوم الخميس ١٩٨٢/١٠/١٤ .

الجوائز :

الجائزة الأولى	٣٠٠٠ ثلاثة آلاف ريال قطرى .
الجائزة الثانية	٢٠٠٠ الفين ريال قطرى .
الجائزة الثالثة	١٠٠٠ ألف ريال قطرى .

هذا وسوف تضمن هذه المقالات كتاب عن مدينة الخور تصدره الادارة .
والله ولى التوفيق ،،

بسم الله الرحمن الرحيم



دولة قطـــر
وزارة الإعـــلام
إدارة الثـقافـة والفنـون

تعلن ادارة الثقافة والفنون ـ قسم الفنون والصناعات الشعبية عن رغبتها فى اقتناء المصنوعات الشعبية . فكل من يمارس او يمتلك قطعة مصنعة محلية من الصناعات التالية :

١ ـ النقش على الجبس .
٢ ـ الحفر على الخشب .
٣ ـ صناعة السفن الخليجية .
٤ ـ صناعة النسيج بالأساليب الشعبية .

وكل ما له علاقة بالصناعات الشعبية يتقدم بها الى رئيس قسم الفنون والصناعات الشعبية بمبنى ادارة الثقافة والفنون .

والله ولي التوفيق ،،،،

مع تحيات

وزارة الاعلام

ادارة الثقافة والفنون

جدع .. وابن بلد

شعر: أحمد دحبور

جدع ، وابن بلد
عندما يلقى التحية
يلتقى فى صوته المعدن ، والخبز ،
وجلابية السوق ،
واسمنت البناء
فاذا ساءلته عن نفسه ،
بش طويلا ، وانفرد :
ـ عندما جئت من الاسماعيلية
جبهتي كان اسمها « تحرير سيناء العربية »
أصل سيناء شرفي ، والاعتداء
لم يكن ضد رمال وميادين فقط
غلط هذا ، غلط
فاحتلال الأرض يعني العرض ..
يعني ..
كيف يبقى ، بعد ، فى الوجه شوارب
والعدو احتلنا ..
قلنا نحارب

• • •

جدع ، وابن بلد
يوم خاض العملية
لمعت في راسه ايامه الأولى وعادت فكرة :
سيناء ايضا عربية
حيث لا يقتصر الأمر على هذى الرمال
انها الجرح الذى يمتد من جرح فلسطين ـ الشمال
ويوافي بالسؤال :
اي معنى للمحارب
ان يكن يجهل أن الجرح أرض عربية

• • •

وبهذى الروح جاء
لم تكن صيدا سوى قاعدة ،
والعمق ميدان الفداء
عندما تساله عن صحبه فى القاعدة
ينتخي وهو يجاوب :
إنهم أهلي .. فلسطين بلادي ،
والأعادى .. كل من يجهل هذى القاعدة

جدع ، وابن بلد
... وارى بين الفدائيين ،
مالم يره مثلي احد
فى البداية
كنت اخشاهم !!
فقد كان اعتقادي ..
انهم اقسى من الصخر ،
ولم لا ؟ انهم قد ياكلون الصخر إن جاعوا
ولكن حدثت هذى الحكاية :
مرة مر علينا الطيران
فانتشرنا ـ
ورأيت « الشبل » ينقض على المدفع ،
اعصابا حديدا ..
فاعترى قلبي شعور بالامان
ثم إني مرة ،
شاهدت فيه الخوف حتى الارتجاف
(عجبا ! « شبل » يخاف !)
كان هذا عندما كدنا بسيارتنا ندهس طفلا
ثم ماذا .. ؟
جدع وابن بلد

• • •

ـ سقطت صيدا ، وما كنت هناك
كنت في ..
(يلعنها من ساعة ووفق لي فيها على هذى الاجازة)
ثم ماذا ؟
كان ، سيجارته تلسعه في فمه حين رماها ،
لم يكن يحمل حتى ثمن الوجبة
او حتى الدخان
وهو ، فيما كان يبدي عذره لي ، عن قبول
الدعوة المرتجلة
قال : كل الأسئلة
لا توازي واحدا ..
كيف أعود الآن يا صيدا اليك
وعلمنا ، بعد هذا ، إنه حقق بالفعل الجواب .



بقلم : خالد محمد خالد

على الرغم من ان موجة الايمان عالية ، تحمل فوق ثبجها الكثير من المؤمنين والمتدينين على اختلاف منازعهم ومشاربهم .

على الرغم من ذلك ، فان موجة الالحاد عالية هى الاخرى ، تحمل فوق ثبجها الكثير من المنكرين والملحدين .

وفى عصرنا هذا تتبنى الالحاد وتحض عليه منظمات كبرى ودول شاهقة ، وتسرى سمومه فى اوصال ذويه مجرى الدم ، ويجد فيه الكثيرون راحة من الضوابط التى يفرضها الايمان على سلوك الانسان ، او راحة من المعاناة الفكرية التى تجعل الانسان حائراً صغيراً بين الايمان واللاإيمان ..

وفى رايى ان الالحاد موقف فكرى بيد انه يتسم بالاحباط والضلال .. ومادام موقفا فكريا حيث يعجز عقل الملحد عن إدراك وجود الله : فان طريقة التفاهم معه ينبغى ان تكون الحوار والمناقشة ..

إنه منذ تبين الرشد من الغي صار الاكراه على الايمان امراً غير مرغوب فيه .

يقول الله سبحانه : «لا إكراه فى الدين . قد تبين الرشد من الغي» ويقول مخاطبا رسوله عليه السلام . وكانه يعاتبه : «افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين»؟!

إن الامر يبدو سهلا ويسيراً إذا كانت الخلافات بين المؤمن والمنكر ترجع الى الرغبة الصادقة فى الوصول الى الحقيقة لكنها تبدو عكس ذلك إذا كان الملحد يصدر فى إلحاده عن عناد ومكابرة ورغبة مضحكة فى تحدى الله العلي الكبير .

● ● ●

ومع تقدم الكشف العلمى ظهرت اسئلة كثيرة عن الله . هل هو موجود ؟ وكيف وجد ؟ وحسب كثير من المتعلمين ان العلم سيجهز على الايمان ، وسيرفع راية الالحاد لاسيما وهو يسال بصوت مرتفع وبكلمات كبار إذا كان الله خلق الكون . فمن خلق الله ؟

ونسي هؤلاء ان الله ليس مادة ؛ ومن ثم فمن غير المستطاع ان تصل اليه بالطرق المادية ، كما انه من المؤكد الذى لا يتطرق اليه الشك انه ليس هناك شيء مادى يستطيع ان يخلق نفسه ، والذين يقولون إن الكون خلق نفسه ، يصفون الكون بالالوهة ، ومعنى ذلك انهم يعترفون بوجود إله .

يقول عالم الطبيعة الكبير «جورج إيرل دافيز» فى كتاب «الله يتجلى فى عصر العلم» :

«إنه كلما ارتقى وتقدم تطور المخلوقات ، كان ذلك اشد دلالة على وجود خالق مدبر وراء هذا الخلق .. وإن التطور الذى تكشف عنه العلوم فى هذا الكون ، هو ذاته شاهد على وجود الله ، فمن جزيئات بسيطة ليس لها صورة معينة وليس بينها فراغ نشات ملايين من الكواكب والنجوم والعوالم المختلفة لها صور معينة واعمار محددة تخضع لقوانين ثابتة يعجز العقل البشرى عن الاحاطة بمدى إبداعها ، وقد حملت كل ذرة من ذرات هذا الكون ، بل كل ما دون الذرة مما لا يدركه حس ، ولا يتصور صغره وضالته عقل قوانينها وسننها وما ينبغى لها ان تقوم به ، او تخضع له» ..

اجل .. تلك من ايات ربنا الكبرى ان كل شيء فى هذا الكون حتى ما هو دون الذرة قد اعطاه الله قانونه ومنهجه ووظيفته .

يقول القران الكريم : «... ربنا الذى

اعطى كل شيء خلقه ، ثم هدى» أى اعطى كل شيء قانونه وجعل له وظيفته ثم هدى واعطاه المقدرة على تنفيذ هذا القانون وانجاز تلك الوظيفة .

وفى رايى ان قضية الايمان ليست موضوع الدين وحده ، بل هى كذلك موضوع العلم والفلسفة والفكر والفن ، وموضوع الحياة كلها .

فجميع الكائنات العليا فى هذا الكون الكبير ، وبالتالى فى كوكبنا الصغير تدفعها قوى باطنة الى استشراف الغيب ، وتتبع الخيوط التى تهدى الى السر الاكبر ، سر القوى الاعلى الذى خلق عالمنا الفذ ، والهمه سننه وقوانينه ونظامه المحكم الوثيق .

كل انسان تناديه هذه الأسرار .. فمنا من يسير اليها متتبعا خطى العلماء .. ومنا من يسير متتبعا خطى المرسلين والانبياء .

ليس معنى ذلك ان الايمان فى غنى عن الدين ، بل معناه ان كل ما فى عالمنا الانسانى من فكر وعقل وروح يهدى الى الله ويدل عليه .

وإذا ضـــل انسان طريقه فليس العيب ماثلا فى عدم وجود الادلة الكافية . بل العيب فى المنظار الذى يبصر به الحقائق ، وحين يضبط منظاره فانه يصادف حينئذ الكثير من الوضوح .

ولطالما نادى الله سبحانه قوانا المفكرة لتصل اليه وتراه من خلال عظمته وقدرته المتبديين فى الارض وفى السماء .

يقول سبحانه : «اولم يسيروا فى الارض فينظروا ...» .

«قل سيروا فى الارض ، فانظروا كيف بدا الخلق» ..

«من يرزقكم من السماء والارض ، ام من يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحي» ..

«ام من جعل الارض قرارا ، وجعل خلالها انهارا ، وجعل لها رواسى ، وجعل بين البحرين حاجزا» ..

«وترى الجبال تحسبها جامدة ، وهى تمر مر السحاب ، صنع الله الذى اتقن كل شيء» ..

«إن فى خلق السماوات والارض ، واختلاف الليل والنهار ، لآيات لأولي الألباب» ..

«وضرب لنا مثلا ونسي خلقه . قال من يحيي العظام وهى رميم ؟ قل يحييها الذى انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم» .

ايات كثيرة خاطب الله بها العقل ليهديه بها اليه ، ويدله عليه ، وهذا يعنى أن الايمان تجربة قبل ان يكون إذعانا ، ونظر بالعقل قبل ان يكون تلقيا بالشعور .

ومن اجل هذا ترك الله رسوله ابراهيم أبا الأنبياء يعانى بواكير التجربة وحده قبل ان يتلقى من الله وحيه .

«فلما جن عليه الليل راى كوكبا ، قال هذا ربى .. فلما افل قال لا احب الآفلين .. فلما راى القمر بازغا قال هذا ربى . فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين .. فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربى ، هذا اكبر . فلما افلت ، قال يا قوم إنى برىء مما تشركون . إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والارض حنيفا وما انا من المشركين» .

وهكذا يضع «ابراهيم» عليه السلام الفروض ثم يناقشها ويفحصها .

اى انه سلك طريق العلم اليوم . إذ العلم يقوم على الفروض لانها توجه العمليات التى تكشف عن الحقيقة ..

والفروض ــ كما يقول جون ديوى ــ ليس هناك حدود لمداها ولا لعمقها ــ فمنها فروض ذات مجال محدود تكتيكى . ومنها فروض تنبع من النسخة اتساع الخبرة نفسها .

وقد يسال سائل : كيف نصل الى الله عن طريق العقل ، والشك اول وسائل العقل وادواته ؟

والجواب : نعم والشك نفسه طريق الايمان .. لقد سال ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى .. فساله الله : أولم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبى .

ويخبرنا الله سبحانه عن الأزمات النفسية العاتية التى كانت تلم بالرسل انفسهم فيقول سبحانه : «حتى إذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كُذِبوا ــ بضم الكاف وكسر الذال ــ » .

ولقد شكا بعض أصحاب النبى ما يعتورهم من شكوك فى وجود الله . فقال لهم الرسول مطمئنا : «هذا محض الايمان» اى قبل أن تقول الفلسفة : شك لتعرف ، بقرون طويلة جعل الرسول الشك طريقا الى اليقين .

وهذا حق ، فالشك إنما ينبىء بوجود يقين يحاول اكتشاف نفسه . بل إن الشك كثيرا ما يفجره زحام اليقين !!

● ● ●

ولكن كيف ياتى الالحاد ؟!

إن له خلفيات كثيرة تدفعه الى إغراء النفس وإغوائها .

● من هذه الخلفيات والدوافع اننا تعودنا ان نسمع اسم الله مقرونا بالأمر والنهى .. فكل دعوة الى فضائل يشق على النفس إتيانها ، والى رذائل يشق على النفس تجنبها . إنما تبعث من الله ..

ونحن بني الانسان عالم نموج بالشهوات موجا ، وكل قوة تحاول صدنا ، والوقوف فى وجه غرائزنا لا تقابل منا بالارتياح .

ومادمنا نفهم ان الله هو الذى وضع الشكائم لنا ، فهو إذن المسئول عن التناقض الوبيل الذى نعانيه فى علاقتنا بهذه الأخلاقيات فاذا استجبنا لها مزقتنا الشهوات المكبوتة المهتاجة ، وإذا انكصنا عنها حطمنا عذاب الضمير والخوف من عذاب الله ..

ودحض هذه الخلفية يسير ، فالاخلاق ليست وصية الدين وحده . بل إن الحياة الانسانية منذ وعت نفسها وهى توقن ان الاستمرار بلا اخلاق محال .

فهى ــ مثلا ــ لكى تنمو وتطرد لابد ان تمجد العدل وتضع الظلم .. تمجد الامانة ، وتسقط الخيانة .. تحترم الصدق وتمتهن الكذب .. وتقاوم القتل والسرقة والفاحشة..

والقانون الخلقى ضرورة الحياة الانسانية . والكفر بالله لا يخلى من تبعات هذا القانون ومسئولياته .

وإنكار وجود الله لن ينجيك من العقاب الذى سينزله بك مجتمعك إذا خنت ، او سرقت ، او قتلت ، او انتهكت حرمة ثابتة .

● من هذه الخلفيات ايضا ، ارتباط الايمان بالدين . فالدين وإن لم يكن الصوت الأوحد الداعى الى الله ، إلا انه اول الاصوات وأعلاها ولأن الدين قد تعرض لازمات كثر ، وتطفلت عليه كثرة هائلة من الاكاذيب والخرافات ، فقد أصيب الايمان معه . وصار كثيرون ممن يرفضون الدين يرفضون الايمان ايضا .

وهذا جهل بَيِّن وحيف عظيم ، فالفلسفة والفن ، والعلم وكل تراث العقل الانسانى قد تقحمه وتطفل عليه ما ليس منه ، ولم يكن ذلك يعنى إنكارنا لاهداف هذا التراث وغاياته وحقيقته !!

لقد سبق الدين الى الهتاف بوجود الله ودعوة الناس الى الايمان به لكى يبلغوا بهذا الايمان اعلى مستويات الخير ورفعة النفس .

ولئن كان هناك تطفل على الدين من الاكاذيب والاساطير ، فان هذا التطفل لم ينل من الدين إلا بعض اشكاله الخارجية . اما روح الدين فقد بقي زاهيا صافيا نقيا ..

وروح الدين يتجلى فى الايمان باله واحد ، لا يحابى ولا يظلم .. وذلك يعنى تحرير الانسان وعقله من عبادة الآلهة المنحوتة والمصنوعة ، كما يعنى تحريره من ارباب الارض الذين طالما ساموا الناس خسفا ورهقا ، وملأوا حياتهم فسادا وبغيا .

وروح الدين يتجلى فى الهتاف بخلود الروح الذى هو اعظم تكريم للانسان . إذ معنى هذا الخلود أن الانسان ليس مخلوقا عاديا ، وان الموت ليس فناء كليا له .. بل هو انتقال الى عالم البقاء والخلود .

وروح الدين يتجلى فى اعلانه ان الانسان مستخلف فى الارض إذ هو ارتفاع بالانسان الى اعلى مقامات الخلق وإرهاص بان هذا الذى نفخ الله فيه من روحه سيذهب صاعدا حتى يبلغ فى معراج الارتقاء ما لا يخطر ببال .

وروح الدين يتجلى فى دعوة الانسان الى الايمان بالغيب . إذ فى هذا الايمان تحطيم لقوى الحجر على المستقبل ، وتشجيع الانسان على اقتحام المجهول وكشف ما وراءه من اسرار .

● ومن الخلفيات ايضا زحف العلم وتفوقه فكثير من الناس يظنون ان العلم قد ورث الدين ولم يعد للدين دور يؤديه . وهذا جهل فاضح بقدر ما هو واضح ، لان العلم فى مفهومه الحقيقى تزكية للدين وتفسير له .

ولنطالع إذا شئنا كتاب «العلم يدعو للايمان» وهو لعالم يهودى شغلته قضية العلاقة بين العلم والدين فقال فى هذه العلاقة رأيا حصيفا .

وهناك واحد وثلاثون عالما من كبار علماء اوربا قد التقوا فى كتاب «الله يتجلى فى عصر العلم» واثبتوا جميعا ان العلم ليس ضد الايمان . بل هو صديق له وزميل .

● ● ●

وبعد . فقد حدثنا عن الله كثيرا . الأنبياء والمرسلون ، وهم اناس عاشوا حياتهم فى اعلى مستويات الصدق والخلق الرفيع . لماذا نصدق الذين يحدثوننا عن القوى النووية ، ونحن لم نر شيئا من اشيائها ؟!

ولماذا نصدق الذين يحدثوننا عن الاشعة «تحت الحمراء» ونؤمن بوجودها ونحن لم نرها ؟!

لماذا نصدق الذين يقولون لنا : إن سرعة الضوء هى ١٨٦٠٠٠ ميلا فى الثانية الواحدة ونحن لم نشترك فى هذا القياس لماذا ؟ ولماذا ؟ ولماذا ؟

قد يقول قائل إن الامر مختلف لانك تستطيع التاكد من هذه الحقائق إذا اخذت مكانك فى اى معمل او مرصد .

وهذا حق - بيد انا نستطيع ايضا ان نتاكد من صدق الذين يدعوننا الى الله إذا اخذنا مكاننا فى معاملهم ومراصدهم ، ومعاملهم ومراصدهم من نوع اخر .نوع يستطيع كل انسان ان يمتلكه إذا جلا روحه وايقظ كل قوى نفسه الفاضلة ، واستخدم المناطق المخبوءة من عقله وبصيرته .

إن الايمان الدينى كالايمان العلمى . كل منهما نوعان : إيمان رؤية .. وإيمان تصديق ..

فايمان الرؤية فى العلم ، هو إيمان العلماء الذين اكتشفوا النظريات والحقائق بانفسهم .

وإيمان التصديق فى العلم ، هو إيمان الملايين من البشر الذين لم يمارسوا التجربة بانفسهم ولكنهم صدقوها لانها تحمل دلائل التصديق . كذلك إيمان الرؤية فى الدين هو إيمان الانبياء والمرسلين والهداة الذين عاينوا ، وشاهدوا ، وذاقوا .

وإيمان التصديق فى الدين ، هو إيمان الكافة ، فاذا صممت على أن يكون إيمانك الدينى إيمان رؤية ، فاصنع إذن ما يجب عليك صنعه حين تريد ان يكون إيمانك بحقائق العلم إيمان رؤية .

مارس تجربة الايمان والعبادة بنفسك وتبتل اليها بكل قلبك وروحك . وابذل جهودا مثابرا دءوبة ، فسوف يتجلى لك الله كما تجلى لغيرك !!

إن آلاف العصور والاحقاب التى عاشتها البشرية فوق هذه الارض قد شهدت حنينا دائبا من الناس ، وتطلعا مستمرا الى الله

وفى كل فرد منا - إلا من شذ وابق - نزوع يذكرنا بان لنا خالقا وبارئا ومنشئا .

اولا يدل هذا النزوع على شىء ؟ الا يدل تصميم الخلق مذ وجدوا على ان هناك قوة عليا ، عليهم ان يبحثوا عنها ويشدوا رحالهم اليها .. الا يدل ذلك على شىء ؟!

سيقال : لقد ظل الناس مذ وجدوا مصممين على ان الارض مركز الكون حتى جاء يوم تخلوا فيه عن زعمهم وتصميمهم .

اجل .. ولكنهم تخلوا عن زعمهم القديم لان العلم قدم لهم يقينا عرفوا به حقيقة وضع الارض .. فهل قدم العلم يقينا مماثلا ينفى وجود الله .. ؟!

كلا .. بل إن العلم كلما امعن فى فتوحاته ازداد انبهارا وازداد تواضعا ، وازداد إيمانا بان ما يجهله اكثر مما يعلمه وان الاسرار الكبرى التى تتكشف له اكبر من ان تكون تلقائية النشاة عفوية المسير .

وبعض العلماء الذين تعجلوا الراى وافتاتوا على الحق لم يزيدوا على ان اخذوا كل الصفات المنسوبة لله ،ونسبوها للمادة .. !!

فلماذا يسهل عليهم - وهم يرفضون الصدفة كمحرك للكون - ان يؤمنوا بمادة عليمة حكيمة قادرة ، ويصعب عليهم الايمان باله عليم حكيم قدير .. ؟!

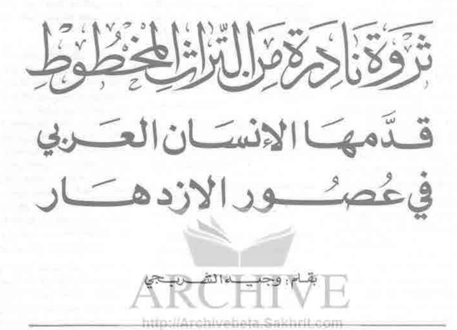
● ● ●

إننا لا ندرك جمال الحياة وسموها إلا فى تلك الاوقات التى نحس فيها اننا مسيطرون تماما على انفسنا ، وحياتنا ، ومصايرنا

ومن عجب انه لا شىء يتيح لنا ذلك مثلما يتيحه الايمان بالله وفق المفهوم الصحيح لهذا الايمان .

وإن فقدان الايمان بالله يدل - اول ما يدل - على فقدان الاستنارة والفهم ، وفقدان استقامة التفكير والضمير .

خالد محمد خالد



ثروة نادرة من التراث المخطوط قدمها الإنسان العربي في عصور الازدهار

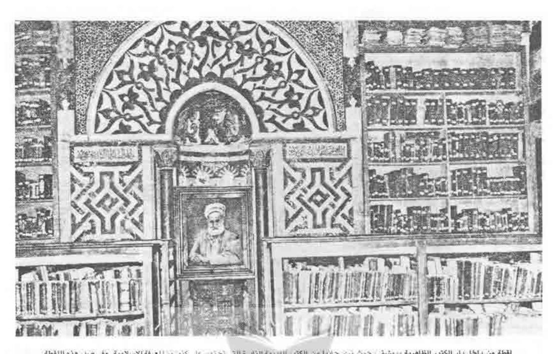
بقلم: وجيه الشربجي

تجاوزت دار الكتب الظاهرية بدمشق العام المائة من مسيرتها فى خدمة التراث العلمي العربى وحمايته ووضع اوثق مصادره واقدمها بين ايدي الأجيال المتوالية من مختلف الجنسيات . واصبحت مركزاً عربياً وعالمياً للمعرفة والاطلاع والتوثيق . يلجأ اليه كل باحث عن التراث ، أو مهتم بالغوص فى أعماقه المحتوية على كنوز المعرفة الاسلامية ، او مؤلف يبحث عن مصادر نادرة لا سبيل الى الاطلاع عليها فى المكتبات والمراجع الميسورة .

وبعد أن كانت دار الكتب الظاهرية فى نظر بعضهم مكتبة قديمة تحتوى على كميات غامضة من الكتب الصفراء ، اصبحت محجة عربية تشتمل على ثروات ضخمة من التراث المخطوط الذى مازالت فى الجانب الأكبر منه ابعاد مجهولة من العلم والمعرفة . صنعها الانسان العربى خلال قرون الازدهار والابداع .

وقد أدى تسليط الأضواء على التراث العربى والاعتراف الانساني بعمقه واهميته واتساع آفاقه الى بروز القيمة الكبرى لثروة دار الكتب الظاهرية من المخطوطات والكتب واعتبارها جزءاً عظيماً من الثروة الثقافية العربية والعالمية عبر العصور .

من هنا ..... تستحق دار الكتب الظاهرية فى ضوء التركيز الانسانى المعاصر على أهمية التراث العربى التعريف بها . وعرض لمحة عن تاريخها وكنوزها الضخمة من المخطوطات والمصادر والوثائق ، اضافة الى الحديث عن بناء دار الكتب الظاهرية نفسه بوصفه واحداً من أهم المباني الأثرية فى مدينة دمشق القديمة . التى ترك المجد الاسلامى بصماته العميقة عليها .. فلا غرابة . فدمشق فاتنة التاريخ .



لقطة من داخل دار الكتب الظاهرية بدمشق ، حيث نرى جانباً من الكتب القديمة النادرة التي تحتوي على كنوز من المعرفة الاسلامية . وفي صدر هذه اللقطة صورة للمرحوم الشيخ طاهر الجزائري وهو من اوائل مؤسسي هذا الصرح الثقافي العظيم (١٢٩٨ هـ)

لابد لمن يؤرخ لدار الكتب الظاهرية بدمشق من ان يستهل حديثه عن البناء الأثرى الرائع الذى اتخذته مقرا لها . فقد اقيم هذا البناء المشيد بحجارة صلدة فى منطقة اشبه بما يسمى فى عصرنا بالمدينة الجامعية . نظرا لكثرة ما يوجد فيها من مدارس ومساجد ودور الحديث وحلقات العلم . وهى منطقة باب البريد الملاصقة للجامع الاموى الكبير والتى اشتهرت تاريخيا لكونها منطقة تدريس وعلم . كانت دائما تعج بالطلبة من اقطار عديدة وتوجد فيها (المدرسة الصادرية) و (المدرسة الجقمقية) و (المدرسة العزيزية) مرقد السلطان موسى الأشرف . اضافة الى دار الحديث الأشرفية . ويحيط بالظاهرية هالة من الاوابد الأثرية العزيزة على الزمان . فعلى بعد خطوات منها تتعالى مآذن جامع بنى امية الكبير الذى بناه الوليد بن عبد الملك وبقربها يرقد البطل العظيم صلاح الدين الأيوبى فى قبر متواضع مهيب . ويرتفع قبالة الظاهرية بناء المدرسة العادلية التى دفن بها الملك العادل شقيق صلاح الدين والتى اضحت منذ اثنين وخمسين عاما اول مقر للمجمع العلمى العربى بدمشق .

وفى غربى الظاهرية وعلى مرمى سهم منها فقط . تربض قلعة دمشق الشهيرة فهى تضم فى كبدها محطات هامة من تاريخ القطر السورى القديم والحديث . فكل ركن منها يحكى قصة قائد من قواد الأيوبيين او المماليك او التتر او العثمانيين وابطال الثورة السورية عام ١٩٢٥ .

بذلك اكتسب قيام المكتبة الظاهرية فى دمشق القديمة التى تتصل قلاعها ومساجدها ومدارسها ببعضها على شكل حلقات دائرية . اهمية خاصة حيث اصبحت جزءا حيا من هذه البيئة العلمية التى تتمتع بهالة دينية وتاريخية عريقة كما تكتسب من جوار الجامع الأموى الكبير تلك الروحية المتجلية على سائر المنطقة المحيطة بالأبدة الأموية الشامخة . فهى من روائع الخلود فيها الجمال والجلال يلتقيان .

الظاهر بيبرس ينقل سرا الى الظاهرية

الظاهرية قبل عام ٦٧٦ هـ كانت قصرا للأيوبيين وشهدت مدارج صبا القائد الخالد صلاح الدين الأيوبى إذ كانت ملكا لأبيه ومرتعا لطفولة قاهر الصليبيين . فابتاعها السلطان السعيد ناصر الدين بركة بستين الف درهم . وباشر بعمارتها عام ٦٧٦ هـ لتكون مدرسة للشافعية والحنفية ودارا للحديث الشريف وضريحا فوقه قبة سامقة ليكون المثوى الاخير لوالده الظاهر بيبرس البندقدارى ابرز ملوك الدولة البحرية المملوكية ، تولى الملك عام ٦٥٨ هـ

وقد جاء فى بعض الروايات ان الظاهر بيبرس توفى مسموما ودفن فى قلعة دمشق فطلب ابنه السلطان السعيد بركه الى نائب دمشق ان ينقل جثمانه الى المدرسة الظاهرية . فحمل تابوته سرا فى الليل وصلى عليه فى الجامع الاموى ودفن فى

ثروة نادرة من التراث المخطوط
قدمها الانسان العربي في عصور الازدهار

شهر رجب عام ٦٧٦ هـ في الضريح الذي اقيم خصيصا له في المدرسة الظاهرية .

وفي منتصف شهر ذي القعدة من عام ٦٧٨ هـ توفي السلطان السعيد بركه ودفن الى جوار والده الظاهر بيبرس في التربة الظاهرية . ومنذ ذلك التاريخ عرف هذا البناء بـ (المدرسة الظاهرية) .

من مفاخر البناء المملوكي

تعد المدرسة الظاهرية التي الت إلى دار الكتب فيما بعد ، من اجمل ما بناه المماليك في دمشق . وقد شيد مدخلها الرئيسي بصفوف متعاقبة من الحجارة البيض والحجارة الوردية يعلوها نصف قبة من المقرنصات الرائعة ، وفوق الباب ثلاثة أسطر نقشت بالخط النسخي المزهر . ويعد المدخل باحة مربعة تطل عليها أبواب القاعات الكبيرة ذات السقوف الشامخة وتكسو جدرانها من الداخل الواح مزخرفة من المرمر الملون والمجزع وقطع من الفسيفساء الزجاجية المشجرة بالنقوش العربية التي تشير الى رقي المسلمين وعمق تفننهم في هندسة ابنيتهم وزخرفتها .

مرحلة الشباب في عمر الظاهرية

ما إن اكتمل بناء الظاهرية وتم افتتاحها حتى انطلقت بخطى جادة وقوية نحو تادية رسالتها الثقافية مستقطبة فئة متميزة من فقهاء دمشق قد تصدوا للتدريس فيها بكل عزيمة واخلاص .

وكانت عبر ستة قرون وئيف منبرا لتدريس المذهبين الحنفي والشافعي ومنارة لكثير من علوم الدنيا والدين .

ومن أوائل الرواد الذين تحلق حولهم المريدون في قاعات الظاهرية واروقتها قاضي القضاة صدر الدين الأذرعي إمام الحنفية وصاحب الجامع الصغير ، والعلامة ركن الدين السمرقندي وهو ممن له حلقة في جامع بني امية الكبير .

وتعاقب على إيوان الشافعية المفتي أبو حفص الفارقي الدمشقي والامير عز الدين الظاهري .

وتولى مشيخة دار الحديث الشريف ائمة أعلام انفردوا بعلو الرواية ابرزهم ابو اسحاق الحنبلي الواسطي (٦٠٢) هـ والشيخ عز الدين ابو العباس (٦١٤) هـ .

وفي اوائل عام ٧٣٩ هـ دوى في رحاب الظاهرية صوت الفقيه الكبير جلال الدين القزويني الشافعي خطيب دمشق وعالمها الجليل صاحب التلخيص والايضاح في البلاغة العربية .

وواصلت الظاهرية وثبتها العلمية والثقافية الى ان اطل القرن الثالث عشر الهجري وحكم الترك دمشق فتضاءل شانها وتقلصت اهميتها وآلت الى كتاب لتعليم الصبية . واقامت الحكومة العثمانية فيها مدرسة ابتدائية للصغار بعد ان كانت جامعة شهيرة تدرس فيها علوم الفقه واصول الدين واللغة والتاريخ .

وحينما أشرف قرن العجمة والنكبات والامية على نهايته وكادت الظاهرية تلفظ انفاسها الاخيرة ، اعاد الله الحياة اليها بثوب لغوي وعلمي متين واصيل على يد فئة من المفكرين المخلصين فنهضت من جديد وتخلصت من سباتها العميق وتابعت مسيرتها الثقافية بعد ان تحولت الى دار كبيرة لكتب التراث الاسلامي يقصدها طلاب العلم من كل حدب وصوب .

المدرسة الظاهرية تصبح مكتبة عامة

في مطلع القرن الرابع عشر الهجري لاحظ فريق من كبار علماء دمشق وفي مقدمتهم الشيخ سليم البخاري والشيخ طاهر الجزائري تفـوق المخطـوطات الاسلامية القيمة والكتب النادرة في مكتبات دمشق الخاصة ومساجدها ودورها وراعهم ما شاهدوه من فقدان بعضها وتسرب القسم الاخر الى جهات اجنبية . فانطلقوا بحملة واسعة لجمعها وانتشالها من أيدي الاختلاس والعبث والتهاون ولاقوا مقاومة عنيفة بلغت حد التهديد بالقتل من قبل اناس اباحوا لانفسهم الاستيلاء على الكتب والمتاجرة بالمخطوطات الثمينة .

على أن هذا الفريق من العلماء الغيورين على التراث العربي ونفائسه الحضارية مضوا في عمليه جمع المخطوطات الى ان تم لهم ما ارادوه فاحصوا ما جمعوه فبلغ ٢٤٥٣ مخطوطة ومطبوعة فسجلت في سجل خاص جاء فيه (أنشئت المكتبة العمومية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وواليه حمدي باشا عام ١٢٩٨ هـ) ثم اودعت في خزانة داخل قبة المدرسة الظاهرية .

المكتبة بين الأوقاف والمعارف والمجمع

بعد أن تقرر تاسيس المكتبة العمومية الظاهرية عام ١٢٩٨هـ ربطت بدائرة الأوقاف الاسلامية بدمشق . ولما جاءت الحكومة العربية السورية الحقتها بديوان المعارف وسمتها (دار الكتب العربية) . وفي آذار عام ١٩١٩م عهد الى المجمع العلمي العربي بدمشق بادارة شؤونها ، ووضعت تحت اشرافه العلمي والاداري والمالي .

وانصرف المجمع بكل طاقاته ومن موقع المسؤولية القومية إلى رفع المستوى العلمي والفني لدار الكتب . ولم يتوان عن مدها بنفائس المخطوطات والمطبوعات والحوليات . وارسل المجمع البعثات إلى اقطار عديدة بحثا عما يفيد الظاهرية واستبدل بالفهارس القديمة فهارس حديثة وفي عام ١٩٦٧م اصدر المجمع نظاما لدار الكتب العربية يوضح فيه سير العمل وصلاحيات الموظفين والمراقبين وسماهـا (دار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق) وهو الاسم المعروفه به الآن .

دار الكتب الظاهرية في يومنا الحاضر

في حوار مع السيد الاستاذ ماجد الذهبي المدير الحالي لدار الكتب الظاهرية بدمشق حول اهمية التراث المخطوط او المطبوع وحجم ما تحتفظ به الظاهرية . قال : إن خزائن الظاهرية تحتوي على (١٢) الف مخطوط و (٦٦) الف كتاب مطبوع و (٤٤) الف دورية عربية واجنبية .

وتابع يقول : وتمتاز اكثر المخطوطات الاسلامية التي نقلت الى الظاهرية بانها مصححة بايدي علماء مشهورين وبعضها كتب بخط مؤلفيه .

ومن اقدم المخطوطات التي تحتفظ بها الظاهرية :

ـ مسائل الامام احمد بن حنبل كتب في عام ٢٦٦ هـ .

ـ سنن النسائي كتب عام ٣٥٥ هـ .



وثيقة منقوشة عمرها ١٠٤ سنة .. وهي تتحدث عن واقعة تحويل المدرسة الظاهرية الى مكتبة .

ــ معاني الشعر لسعيد الاشناداني كتب قبل عام ٤١٠ هـ .
ــ غريب الحديث لقاسم السرقسطي كتب قبل عام ٤٩٩ هـ .

اخر مخطوط حصلت عليه الظاهرية

وسالت الاستاذ الذهبي عن اخر مخطوط حصلت عليه الظاهرية . اجاب : خلال عملية البحث والتوثيق التى تجريها الظاهرية عثرنا اخيراً على مخطوطة فى اللغة عمرها نحو ٧٣٠ عاما وهي من كتب العلامة الجواليقي حققت فوراً ونشرت لأول مرة على عالم المكتبات والمراكز الثقافية العربية . واضاف السيد مدير الظاهرية : هناك مسودات مخطوطة تحتفظ بها الظاهرية كثروة فريدة لكونها كتبت بايدي العلماء انفسهم منهـا :

ــ حديث ابو الفتوح الهروي (لمحمد بن عساكر ٥١١ هـ) .
ــ مسودة الامام ابن تيمية كتبت بيده عام ٧٠٠ هـ .
ــ كتاب المسلسلات لعبد الرحمن الجوزي كتب بخطه سنة ٥٨١ هـ .
ــ كتاب الاغراب فى احكام الكلاب ليوسف عبد الهادي كتبت بيده سنة ٨٩٧هـ

مكافات تشجيعية للباحثين

يزداد اهتمام الظاهرية بالتراث الاسلامي المخطوط القابع فى خزائنها لتحقيقه ونشره من جديد . فتمنح المكافات المعنوية والمادية للباحثين العرب الذين يقومون بتحقيق كتب التراث ونشرها ضمن مطبوعات المجمع وتبذل جهداً مستمراً لفهرست التجمع المخطوطي وترقيمه . وإلى جانب الكتب المخطوطة تضم الظاهرية مجموعة ضخمة من امهات الكتب المطبوعة النادرة والتى طبعت منذ عهد الطباعة الأول فى العالم العربي . كما انها تقتني عدداً كبيراً من المعاجم العربية والأجنبية والموسوعات العلمية والتاريخية وكتب التراجم .

قسم تصوير المخطوطات وترميمها

قطعت الظاهرية شوطا واسعا فى ميدان التصوير ، فهى تمتلك الأجهزة الحديثة لتصوير الكتب والمخطوطات على الميكروفيلم وعلى الفوتوكوبي وهي جادة فى تصوير كل رصيدها المخطوط للاحتفاظ بنسخة ثانية عنه . وقد اقتنت اجهزة خاصة لقراءة الأشرطة (قارئة) وقسم التصوير فى الظاهرية يلبي جميع طلبات الباحثين فى العالم بتصوير ما يحتاجون إليه من وثائق ومخطوطات ، ولاسيما طلاب الجامعات .

وقد ندبت الموظفين المختصين من اجـل المخطوطات والمحافظة عليها من العوارض الطبيعية ومعالجتها بالوسائل الفنية لانقاذها من خطر التمزق والتلف .

مديرو الظاهرية منذ عام ١٩١٩م

تعاقب على ادارة دار الكتب الظاهرية بدمشق اساتذة باحثون لهم باع طويل في التقصي والتاليف . فمنذ عام ١٩١٩م تولى ادارتها العلامة الشيخ سعيد الكرمي وتبعه الشيخ حسني الكسم ، والاستاذ المحقق عمر رضا كحالة ، والدكتور يوسف العش ، والدكتور عبد الهادى هاشم ، والدكتور عزة حسن ، وتلاهم الدكتور عبد الرحمن الباشا ، والسيدة الاستاذة اسماء الحمصي ، والاستاذ ماجد الذهبى المدير الحالي .

وهكذا ... جاء قيام دار الكتب الظاهرية بدمشق حماية لكنوز خلفها اجدادنا وصونا لوثائق الحضارة العربية الإسلامية من التبديد والعبث .

وكانت الظاهرية ولاتزال إلى يومنا هذا مفتاح المعرفة لرواد العلم فى مشارق الأرض ومغاربها . وهي ماضية فى احياء هذا الجانب الحضاري من تراثنا الخالد تمهيداً لتوظيفه فى إطار قضية نشر التراث والافادة منه فى الثقافة المعاصرة .

وجيه الشربجي

المراجع

ــ كتاب (دمشق الشام) لجان سوفاجيه .
ــ الدارس فى اخبار المدارس : للنعيمي .
ــ السلوك لمعرفـــة دول الملوك : للمقريزي .
ــ دار الكتب الوطنية : للسيدة اسماء الحمصي .
ــ حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر : للبيطار .

في الذكرى الخمسين لرحيل أمير الشعراء :

شذرات من الفكر الاقتصادي والاجتماعي في شعر شوقي

بقلم : كمال النجمي

في رائعتـــه التى نظمهـا فى دمشق ، ومطلعها :

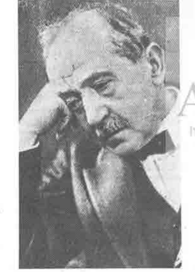
قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا .. مشت على الرسم احداث وازمـان

يقول احمد شوقي :

والشعر مالم يكن ذكرى وعاطفة .. او حكمة ، فهو تقطيع واوزان .

فجعل شوقى الشعر ثلاثة أبواب : الذكرى ، والعاطفة ، والحكمة . ولو اتسعت تفعيلات بحر « البسيط » الذى نظم منه هذه القصيدة ــ وهو بحر واسع اصلا ــ لتفنن شوقي فى إضافة ابواب اخرى إلى اغراض الشعر ، يملأ بها شطري البيت . ! ..

ومع ذلك ، فأن الذكرى والعاطفة والحكمة ، ابواب كبرى ، تدخل فيها جميع معاني الشعر إلى الشاعر مادام قادراً على استقبالها . فكل شيء فى الكون يمكن أن يوحي بالشعر .. وما أكثر ما قيل ويقال عن الشعر وأغراضه من عهد ارسطو إلى عهدنا ، بل من عهد بنتاءور إلى عهدنا وما بعد عهدنا .. فمن الالياذة والشهنامة إلى مسرحيات شيكسبير وراسين ، إلى مسرحيات شوقى .. إلى قصائد الشعر العربي من عهد امرىء القيس إلى يومنا هذا ، مما اعتاد النقاد العرب فى الزمن الأخير أن يسموه « الشعر الغنائي » .. ترجمة غير دقيقة ، ولا صحيحة ، لكلمة شائعة فى اللغات الأوربية .



الشاعر احمد شوقي
كان فكره الاقتصادي والاجتماعي في شعره ، متكاملا ، ثابتاً ، واضح المعالم ..

وكانما كان شوقي « يشرح » هذا كله ، إذ قال فى إحدى قصائده :

والشعر فى حيث النفـــوس تلـــذه
لا في الجديد ولا القديم العادي

وهذا معنى واسع جدا للشعر ، وتعريف فضفاض لا يضيق بشيء فى القول كله شعراً ونثراً .. فيدخل فيه على الرحب والسعة الشعر التفعيلي الجيد « الذى تلذه النفوس » .. ويدخل فيه الشعر المنثور العالي الطبقة ! .. ولا احد يدري ماذا كان شوقى يفعل لو امتد العمر به عشرين سنة اخرى حتى ادرك عصر الشعر التفعيلي ! ..

ولشوقى « تعريفات » اخرى للشعر ، ولكنها لا تخرج عما تضمنه هذان البيتان : بيت الذكرى والعاطفة والحكمة .. وبيت ما تلذه النفوس ! ..

ومن باب « الحكمة » ادخل شوقي إلى شعره شذرات غير مسبوقة فى الشعر العربي ، من الفكر الاقتصادي والإجتماعي

دعك من الفكر السياسي ، فانه وإن اتسع فيه شوقى ، لكن غيره من معاصريه يشاركه فيه ، وإن فاقهم بالاجادة .. بل يشاركه فيه الشعراء القدماء على امتداد عصور الشعر العربي .

والمجتمع كما يراه شوقي ويصوره في الشعر ، هو الطابق العلوي للصرح

الاقتصادي .. او « المال » على حد قوله : « بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم » ..

وهذا تصور للمجتمع والاقتصاد ، يقره عليه علماء الاجتماع والاقتصاد سواء تذوقوا شعره او لم يتذوقوه . إلا ان شوقى لا يتصور على وجه الدقة علاقة الحياة الاجتماعية للناس ـ وبخاصة حياتهم اليومية ومعضلاتها ـ بذلك السقف الاقتصادي للبيت ، او المجتمع الذى يضمهم جميعا ، اغنياء وانصاف اغنياء وفقراء ومساتير يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ! .

فان شوقى الذى ولد فى عهد الخديو اسماعيل سنة ١٨٦٨ وعاش إلى اواخر عهد الملك فؤاد سنة ١٩٣٢ .. لم تتح له ظروف مجتمعه أن يرى حركة المجتمع إلا فى تلك الصورة التى تبدو بسيطة كبساطة الأشياء فى عصرها ، لكنها عميقة وحكيمة!

فى عهد اسماعيل باشا صار محصول القطن المصري اعظم محصول للقطن فى العالم ، فقد انهمكت أمريكا فى حربها الاهلية « لتحرير الزنوج ! .. » فانخفض الانتاج الامريكي من القطن انخفاضا حادا ، وقفز التجار البريطانيون إلى مصر يشترون لمصانع لانكشير قطن مصر كلها ، باعلى الأسعار .. فتدفقت ملايين الجنيهات الذهبية الى خزينة الدولة وخزائن الناس .

هذا الثراء الذى جاء به محصول القطن خلال الحرب الامريكية ومقدماتها وعقابيلها هو الذى بنى مصر الحديثة التى وصفها اسماعيل باشا بانها « قطعة من اوربا » .

والقطن هو الذى حفر قناة السويس ! .. والقطن هو الذى جاء بالاحتلال البريطاني لأن اسماعيل باشا لم يقنع بما افاءته عليه حقول القطن الذهبية الفضية ، فاستدان ، وامعن فى الاستدانة ! ..

والقطن ، وقناة السويس ، والاحتلال .. ثلاثة اسباب تاريخية صنعت الأوضاع الاجتماعية في مصر وظلت حارسة امينة عليها حتى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م .

وهذا الثلاثي التاريخي هو صانع التكوين السكاني ، وبخاصة فى المدن الكبرى : القاهرة والاسكندرية وغيرهما من المدن الكبرى ، فكثر الاجانب ـ اصحاب الامتيازات الاجنبية ـ فى القاهرة والاسكندرية وغيرهما ، واوشكت مصر ان تتحول إلى قطر غربي مهدد بفقد عروبته شيئا فشيئا ، على غرار قطر « الجزائر » الذى احتلته فرنسا قبل عشر سنوات من تحالف اوربا ضد « محمد علي باشا الكبير » وتحطيم اسطوله فى نفارين ، ودخول اوربا برؤوس اموالها ونفوذها إلى مصر فى زفة تاريخية عجيبة ، مهدت لدخول القوات الأوربية المسلحة ! ..

راى شوقى بعينيه منذ صباه هذا الشريط التاريخي السريع ، وعاش فيه ، وتاثر به ، وافاد منه بعض الفائدة حين قام اسماعيل باشا بتوزيع « العزب » و «الابعاديات» وقطع الأرض الزراعية الكبيرة ، على اهل بيته وحواشيه ،

والاعيان والعمد وذوي الجاه ، وطوائف شتى من بقايا « أولاد الناس » والملتزمين الشركس الذين تغير فى ايامهم اسم «الالتزام» ولكن بقى فى قبضة يدهم السوط يلهبون به ظهر الفلاح الراسف فى اغلال الالتزام الزراعي ! ..

العقل الاقتصادي لشوقي

وشوقى لم ينل شيئا يعتد به من « الطين » وإنما كانت ثروته العقارية من اراض وعمائر ، هى ثروة زوجته ، ورثتها عن ابائها ! ..

ولبث شوقي غنيا بهذه الثروة ، واضاف إليها من عمله ، واتخذ لدائرته الزراعية او تفتيشه الزراعي ـ كما كان يسمى ـ مكتبا فى عمارة تملكها زوجته فى شارع « جلال »

وسط القاهرة .. وخلف هذه العمارة شارع عماد الدين الشهير بملاهيه من بدايات القرن العشرين إلى اواخر الثلاثينات ! .. وقريب من المكتب مطعم الماجستيك الكلاسيكي فى شارع « الالفى » .. وفيه كان شوقي يتعشى كل ليلة ، ويقدم إليه الطعام على الطريقة الفرنسية ! ..

وقد زال هذا المطعم الآن ، وارتفعت فوق ارضه بناية شاهقة لا طعم لها ، ولا يمسكها فى عين رائيها إلا اعمدتها الخرسانية

المزعجة كبيت شعر تفعيلي رديء ! ..

فالعقل الاقتصادي لشوقى ـ إن صح هذا التعبير ـ هو عقل العهد الذهبي لبورصة القطن والبصل والأرز وما تلاه من تقلبات فى « البورصة » بلغت بالقطن وغيره حضيض الأسعار فى الازمة العالمية سنة ١٩٢٨ والسنوات الخمس التى اعقبتها .

والعقل الاقتصادي لشوقى هو عقل الثراء العقاري .. وهو العقل الذى حكمته بصرامة ظروف مصر تحت الاحتلال البريطاني وشركة قناة السويس والامتيازات الاجنبية ..

ومن هذا كله تناثرت فى شعر شوقى شذراته البديعة التى تصور فكره الاقتصادي والاجتماعي .. وبهذا كله صار شوقى بعد عودته من المنفى فى العشرينات شاعر«النهضة الاقتصادية » فى مصر .. بل فى العالم العربي ايضا .. إلى كونه شاعر النهضة الوطنية ..

فالى جانب الكفاح ضد الاحتلال وما جلبه على البلد من أرزاء ، كان هناك كفاح اقتصادي قاده محمد طلعت حرب باشا ،

وكان رمزه « بنك مصر » وشركاته المصرية الخالصة التى انشاها فى كل فروع الحياة، مزاحما احتكار الأجانب الاقوياء المتحكمين المتعصبين ، وعلى راسهم الاقتصاديون اليهود الاوربيون والمتمصرون .

ويشهد التاريخ ان بنك مصر وشركاته ، لو قيض لها استمرار النجاح والتطور ، لكانت مصر الآن فى مقدمة دول افريقيا واسيا الصناعية والزراعية ! ..

كان شوقي الذى سمى يوما « شاعر الخديو » .. شاعر الكفاح ضد الاحتلال ، وشاعر الكدح المصري لبناء الصرح الاقتصادي صناعيا وزراعيا .. وكان فكره ـ باعتبار مرحلته التاريخية ـ فكرا ناضجا متقدما « حكيما » ..

وشعره فى هذا المجال يدخل في بـــــاب « الحكمة » بلا مراء ، فليست الحكمة مجرد بيت سائر يذهب مثلا على مر الاجيال ، ولكنها كذلك النظر الصائب والعمل الدائب والتعبير عن تقدم المجتمع ، ولو فى فترة قصيرة عابرة ..

فلم يكن عجيبا ان يكون اخر شعر نظمه شوقي فى ١٣ اكتوبر « تشرين الاول » سنة ١٩٣٢ .. شعرا « اقتصاديا » يشرح فيه افكاره الاقتصادية باسلوب شعري .

وحين توفى شوقي فى اليوم التالي « ١٤ اكتوبر » كان شعره هذا يتلى فى حفل لمشروع « القرش » الشهير فى ذلك الوقت .

تلك مصر الغد

كان هدف مشروع القرش جمع تبرعات صغيرة ولكنها وفيرة من ابناء الشعب ، لاتزيد على قرش واحد من كل فرد قادر على التبرع .. ثم بناء مصنع بما يجمع من هذه القروش الشعبية التى تبلغ حصيلتها الوف الجنيهات ..

يقول شوقى يصف احد الشبان المتطوعين لجمع القروش :

بسط الكف لمن صادفه
ومضى يقصر خطوا ويمد
يجعل الأوطان اغنيته
وينادي الناس : من جاد وجد
غاديا فى المدن او نحو القرى
رائحا يسال قرشا للبلد

فالقرش الذى يجمعه الشاب الوطني المتطوع ، هو قرش البلد كلها ، تبنى بها صناعتها المستقلة التى يملكها راس المال المصري الوطني مزاحما راس المال الأجنبي الأوربي واليهودى .. أو الصهيوني ! ..

ولا يستهين شوقي بجمع قرش على قرش ، فمن القروش تجيء الملايين ! .. والملايين معناها صناعة للبلد وزراعة ، ومستشفيات للشعب الذى اكل الفقر عافيته .. وهو الوسيلة لزراعة محاصيل اخرى مع محصول القطن :

سيرى الناس عجيبا فى غد
يغرس القرش ويبني ويلد
ينهض الله الصناعات به
من عثار لبثت فيه الابد
او يزيد البر دارا قعدت
لكفاح السل أو حرب الرمد
تلك مصر الغد تبنى ملكها
نادت الباني وجاءت بالعدد
واصارت بنك مصر كهفها
حبذا الركن واعظم بالسند
ردها العصر إلى اسلوبه
كل عصر باساليب جدد
ايها الجيل الذى نرجو لغد
غدك العز ودنياك الرغد
اطلب « القطن » وزاول غيره
واتخذ سوقا إذا السوق كسد
نحن قبل « القطن » كنا امة
تهبط الوادى وترعى وترد
قد اخذنا فى الصناعات المدى
وبنينا فى الاوالى ما خلد.

هكذا تمتزج فى هذه الصناجة الشوقية افكاره الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ورؤيته المستقبلية ، وهو امتزاج واضح الدلالة على تقدمه الفكري .. فهذه الامور كلها متشابكة لا تنفصل .. وهو ينظر إلى « الاقتصاد » نظرة من يبتغى بناء اقتصاد عصري جبار : « كل عصر بأساليب جدد » .

بالعلم والمال

وذلك هو سر احتفاء شوقى ببنك مصر فى عهد طلعت حرب باشا ، فقد نظم فيه قصائد كثيرة مشهورة فياضة بالشعر مع انها فى ظاهرها « شعر دعائي » لجانب من الحركةالوطنية ، هو الجانب الاقتصادي .

ومن اشهر وقفات شوقى فى هذا المجال وقفته فى الصف الاول من شهود حفلة الحجر الأساسي لبنك مصر فى مايو سنة ١٩٢٥ .. وفى هذا نظم قصيدته التى اولها:

تراوح بالحوادث او تغادى
وتنكرها وتعطيها القيادا

وفى هذه القصيدة يتغنى بالاقتصاد الوطني القوي ، ويراه سلاحا للأمة .. ويصف بالشعر ــ لاول مرة فى الشعر العربى ــ دورة المال فى الاعمال المصرفية والاقتصادية وصفا غير مسبوق :

نصون كرائم الاموال فيها
وننزلها الخزائن والنضادا
ونخرجها فتكسب ثم تاوى
رجوع النحل قد حملن زادا
ولم ار مثلها ارضا اغلت
وما سقيت ولا طعمت سمادا
ولا مستودعا مالا لقوم
إذا رجعوا له ادى وزادا
ومن عجب نثبتها اصولا
وتلك فروعها تغشي البلادا

فهل رايت فى جميع دواوين الشعر مثل هذا « التفكير الاقتصادي » المنظوم شعراً من اعلى طبقة ؟! .

وعندما افتتح بنك مصر بنايته الضخمة سنة ١٩٢٧ نظم شوقى قصيدته الرائعة التى مطلعها :

نبذ الهوى وصحا من الاحلام
شرق تنبه بعد طول منام

فان افتتاح هذا الصرح الاقتصادي فى ذلك الوقت كان عند شوقى صحوة لشعوب الشرق كلها لا للشعب المصري وحده . فانظر إلى اي مدى كان شوقي يمد عينيه قبل خمسين عاما ! .

وفى قصيدته التى اولها : قف بالممالك وانظر دولة المال » .. يقول :

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم
لم يبن ملك على جهل وإقلال

فبناء البلاد الاقتصادي عنده لا ينفصل عن بنائها الاجتماعي والثقافي .

بل كانت لشوقي نظرة متقدمة إلى «العمال» .. فهو صاحب القصيدة التى اولها : « ايها العمال افنوا العمر كدا واكتسابا » .. وقد زعم بعض من لا علم لهم بالشعر ولا بافكار شوقي انه بهذه القصيدة يستحث العمال للكدح من اجل سادتهم .. وإنما اراد شوقى ان يستنهض مع راس المال الوطني ، اليد العاملة الوطنية . وطلب أن يكون صوتها مسموعا في « البرلمان » .. وقال للعامل حاثا إياه على انتخاب من يعلي صوته فى البرلمان :

فكن الحر اختيارا
وكن الحر انتخابا
إن للقوم لعينا
ليس تالوك ارتقابا
فتوقع ان يقولوا :
من عن العمال نابا ؟
ليس بالامر جديرا
كل من القى خطابا

إن نظرة شوقى ــ كما قدمنا ــ إلى البناء الاقتصادي والإجتماعي متكاملة ، يمكن ان يقال إنه عبر بها عن اكثر الاتجاهات جدوى وفاعلية وتقدما فى طبقته وعصره .

وحين نتامل فكره الاقتصادى والاجتماعي فى شعره ، نجده فكرا متكاملا ثابتا واضح المعالم ، وإن كان يتناثر فى شذرات وقصائد .. ولاعيب فى تناثره على هذا النحو فليس الشعر مقالات اقتصادية واجتماعية ..

ونسميها « شذرات » ثم نعتذر عن هذه التسمية إلى شاعرنا شوقي .. فالحقيقة ان حجم شوقي في شعره وعصره ، اكبر مما يخيل إلينا حتى الان ! .. وليست كلمتنا هذه فى موضوعها إلا قطرة من بحر ! ..

كمال النجمي



بقلم : عباس خضر

ليت شعرى .. أين الآن مفيد الشوباشى ؟ وأين عبد الرحمن الخميسى ؟ وأين ... وأين ... ؟
لم أعد أرى أحداً من أولئك الصحاب ولا أعلم عنهم شيئاً ، وعندما تتفقد أصحابك والذين كانوا يعاشرونك ، وحتى الذين كنت تعرفهم مجرد معرفة ، فلا تقف لهم على أثر عند ذلك ، فماذا بقى لك فى هذه الحياة ؟ ..

ولكن ـ وما اسعدنى ـ وقفت على اثر لمحمد مفيد الشوباشى : كتاب من الكتب او «الارغفة الثقافية» التى كانت «تخبزها» وزارة الثقافة فى مصر غير مخلوطة ولا مغشوشة ولا ناقصة الوزن ، وتباع بقرشين ومثلها يباع الآن بجنيه او بما حوالى الجنيه المصرى الذى هو عزيز قوم ذل .. ولحقت مصيبته فيما لحقت بالكتاب !

مكتبتنا العربية ليست فقيرة ، ولو لم يكن الكثير منها غير متداول ، فهى مثل الكنز المخبوء تحتاج الى من يبحث عنها فى مظانها او مخازنها ، وقد تحتاج كما يحتاج الكنز الى كلمة سر مثل : «افتح يا سمسم» .

الخميسى والشوباشى

ظهر كتاب «القصة العربية القديمة» فى سلسلة «المكتبة الثقافية» فى ابريل ١٩٦٤ وعقب ظهوره كتب عنه عبد الرحمن الخميسى فى جريدة الجمهورية ، وكانت مجلة «الرسالة» فى عهدها الثانى تصدر فى ذلك الوقت عن وزارة الثقافة ، وكنت اكتب فيها مع استاذنا الاول احمد حسن الزيات الذى عهدت اليه الوزارة برياسة التحرير .

ذهب ظنى ـ وبعض الظن إثم ـ الى أن الخميسى يقضى حقاً وجب عليه من مصاهرته للشوباشى ، إذ كان زوج ابنته «فاتن الشوباشى» التى توفيت وكانت وفاتها قاصمة الظهر للرجلين ، وانتابنا من الكارثة جانب لعلاقة حميمة بالرجلين ، كانت زهرة من زهرات الفن ، احبها الخميسى وهى تعمل معه فى حقل التمثيل وتزوجها .

قرات مقال الخميسى فقال لي الذى يركبني احيانا : إنه يجامل صهره !

ـ وماذا تريد منى ؟

ـ هيا يا بطل .. يا رافع علم الحق !

ـ وما هى الثغرة التى انفذ منها اليه ؟

ـ الا ترى الخميسى يقول إن الكتاب قائم على اساس ان القصة العربية القديمة تخلو او تكاد تخلو من الطابع الاسطورى ؟

وكتبت ما كتبت ، فرد علي الخميسى ، ولم اكن اتذكر ما قاله لولا قصاصة قديمة تحوى رده وجدتها مطوية فى الكتاب ، كما وجدت الكتف نفسه مطويا بين الكتب . قال عبد الرحمن :

«سبق لنا ان عرضنا فى إحدى مقالاتنا كتاب «القصة العربية القديمة» وشاء الاستاذ عباس خضر ان يعقب فى مجلة الرسالة على ما عرضناه ، ولم يرجع فى تعقيبه ـ باعترافه هو نفسه ـ الى الكتاب ، ولكنه اكتفى فى فهمه لمحتويات الكتاب بما اوردناه فى مقالتنا ، ومن ثم وقع فى الخطأ الذى لابد ان يقع فيه من يكتب فى موضوع دون تمحيص»

القصة والأسطورة

وقد كتبت مسرعاً دون ان اقرا الكتاب ، لانى لم اكن اقصد تقييم الكتاب نفسه ، وإنما اردت بيان نقطة معينة ، هى موقف

القصة العربية من الأسطورة ، قلت : «الم تسمع عن «خرافة» العربى الذى غاب عن قومه مدة من الزمن زعم انه قضاها مع الجن ثم عاد يحكى عن الجن ما يحكى ؟» .

وقال الخميسى : «خلط ، السيد الناقد بين شيئين لا علاقة بينهما البتة .. خلط بيـــن القصـــص الخرافيـــة والقصـــص الاسطورية» .

واقول الآن شيئاً : لم نعرف فى لغتنا فرقاً بين الأسطورة والخرافة كالفرق الذى يقول به الغربيون . وفى العصر الحديث اخذنا عن الغرب مصطلح الأسطورة الذى يختلف عن مصطلح الخرافة بان الأول ينبنى على بيان حقيقة من حقائق الكون او يفشي ظاهرة من ظواهره كما يتراءى لقائل الأسطورة ، ولكنا برغم ذلك الاخذ مازلنا نفرق بينهما او مازال بعضنا . ربما كان ذلك راجعا الى قول الله تعالى فى القران «تلك اساطير الاولين .. الخ» ولم يكن يقصد بالأساطير إلا الاقاصيص التى لا حقيقة لها وتروى كما روى «خرافة» عن الجن . بل إن القوم فى الغرب يقولون عن قصص إنها اساطير غير مقيدين بما يقولون فى ذلك التقسيم .

ومهما يكن من شىء فقد بقى فى نفسى ما يشبه الشعور بالذنب نحو الصديق الكبير الأستاذ محمد مفيد الشوباشى ، إذ توقعت ان يكون ما كتبته قد افسد الود القديم ، وإذ قلت إنى لم اقرا كتابه ، ومن قسوة الأيام انى لا اراه الآن ولا اعلم اين هو ولا كيف حاله .. وتبا لما طرا على حياتنا فابعد ما بيننـــا وجعـــل التواصـــل عسيراً إن لم يكن مستحيلا ..

ولكنى برغم ذلك استمتعت اخيرا بقراءة كتاب «القصة العربية القديمة» استمتعت فكرياً وشعورياً ، إذ كنت فى خلال القراءة ، كما انى الآن ، اتمثل المؤلف العزيز وحديثه الطلي فى مجالس كانت ...

مثال المثقف العربى

طاف الأستاذ الشوباشى فى هذا الكتاب ما طاف بالثقافات والآداب العالمية وقدمه ثابتة على ارض عربية صلبة ، فكان هو بهذا انموذجا ومثالا للمثقف العربى الحديث .

قرات الكتاب مرتين : مرة لى ، ومرة لى ولك أيها القارىء العزيز .

يبدا الكتاب بهذه الفقرة : «بينما اناس ينكرون على العرب كل ميزة حضارية ، وينظرون بعين الاستهانة والازدراء الى اياتهم الباهرة فى ميادين الادب والفن والعلم . وقد شملت استهانتهم وزرايتهم ، فيما شملت القصة العربية القديمة !» .

ثم يمضى فى دحض تينك الاستهانة والزراية بالدراسة العلمية المستنيرة المصحوبة والمدعومة بالأمثلة المبينة من فن القصص العربى .

يبين ان العرب كانت لهم فى كل العصور قصة ، ليس هذا فقط ، بل إن القصص العربية اثرت فى قصص الغرب ، وكثيراً ما كان نشوء فن قصصى هناك اثر مثله هنا ، فهو يشير الى بعض ما ذكره مؤرخو الادب الاوربيين من ان بوكاشيو فى ايطاليا ، وشوسر فى انجلترا ، ودون جوان فى اسبانيا ، لم يتاثروا فحسب بالقصة العربية فيما كتبوه من قصص ، ولكنهم اكتسبوا منها ونقلوا عنها ، وهؤلاء هم الذين وضعوا البذور الاولى للقصة الاوربية الحديثة ، ومن ثم تكون قصصنا العربية الحديثة ، حتى فى حالة تاثرها بالقصة الاوربية ، متصلة بالقصة العربية القديمة .

ثم يمضى الى بيان ذلك التاثر وذلك الاخذ فيقول إن قصائـــــد الشعـــراء «الزوبادور» شاعت بين البلاد الاوربية فاثرت فى ادبها شعراً وقصة . والزوبادور خليط من العرب والأسبان واسمهم يدل على ذلك ، فهو مركب من الكلمة الأوربية تروب ، بمعنى الفرقة والكلمة العربية «تدور» .

ثم يعرض لتعريف القصة وينقل ما جاء فى بعض الموسوعات والمعاجم الأوربية فى هذا التعريف ، منها ما جاء فى معجم لاروس تعريفاً بالقصة وهو «القصة قديماً حكاية حقيقية او مصطنعة منظومة او منثورة مصبوبة فى قالب قصصى . وهى اليوم عمل ادبى من نسج الخيال يصور بالنثر احداثا متخيلة مصطنعة منمقة بقصد استثارة القارىء وجذب اهتمامه» .

بعد ذلك يقول انه ظهر فى الأدب العربى القديم لونان من القصص ، لون منثور ، ولون منظوم ، فاما القصص المنثورة فقد بدات سيرا وحكايات عن سلف العرب ، وكانت بطبيعة الحال بدوية بدائية . ثم ظهر القصص المنظوم من الأحداث الراهنة فوصف الحروب وابطالها .

ثم امتزج اللونان ، ونشا عن امتزاجهما لون جديد تطور حتى انتهى الى ظهور قصص كبيرة مثل «كليب» و «عنترة» و «البراق»

الصراع فى القصة العربية

قصة كليب ـ مثلا ـ صورت موقفا دراميـــا لايزال الى اليوم منبعا لأمتع القصص العصرية .. هو موقف «جليلة» التى قتل اخوها جساس زوجها كليباً .. صورت القصة لأول مرة فى تاريخ القصة وقوع الانسان بين عاطفتين نبيلتين تتنازعانه وتشده كل منهما الى ناحية . والبطلة (جليلة) تصور حزنها وصراع نفسها ادق تصوير فى ابياتها التى تقول فيها :

فعل جساس على وجـــدى بـــه
قاصـــم ظهـــرى ومـــدن اجلـــى
يا قتيـــلا قوض الدهـــــر بـــه
ســـقف بيتى جميعـــا من عل
إننـــى قاتلـــــة مقتولـــــة
ولعـــل اللـــــه ان يرتـــاح لــــي

ظهرت بعد ذلك بقرون قصة فى الادب الاسبانى باسم «السيد» تقوم حوادثها على خصام نشب بين حبيب البطلة وابيها انتهى بان قتل الاول الثانى . ويرى المؤلف ان مسرحية «السيد» مقتبسة اصلا من قصة كليب ، وان كتاب القصة الغربيين المحدثين اعادوا صياغة هذا الموقف الدرامي على كل شكل ولون .

نتيجة هائلة

النتيجة التى تهدف اليها هذه الدراسة فى هذا الكتاب نتيجة هائلة .. قد تدهشك الى حد عدم التصديق .. وهى تتلخص فى «أن كل عمل قصصى ظهر فى أوربا إبان العصر الحديث ، وعده النقاد تحولا من عهد الظلمات الى عهد النور ، ينبع من اصل عربى ، ويصبح بدوره نبعا لفيض من الاعمال الأدبية التى تلته ، وحققت لأوربا مجدها الادبى» .

قد يذهب بك الظن الى ان تلك مبالغة ينساق اليها المؤلف بدافع قومى يورده موارد الشطط ، ولكنك سترى نفسك ، وانت تقرا ، امام اسانيد وحجج مقنعة بما لا يدع

مجالا للشك فيما يقول .

قصة عنترة مثلا هى الأصل لقصة «جيهان دى سنتريه الصغير» للكاتب الفرنسى «انتوان دى لاسال» التى راها بعض مؤرخى الأدب الفرنسى فاتحة عهد القصة الحديثة ، لعزوف مؤلفها عن موضوعات القصص الاغريقية القديمة ، وعبرت عن الواقع المحيط بها ، وفضحت التمويه والتزييف ، بخلاف القصص القديمة التى كانت تدور حول الآلهة والملوك ومن إليهم . ولابد أن النقاد لاحظوا وجه الشبه فى ذلك بينها وبين قصة عنترة التى صدقت فى تصوير واقعها ، وهى الى ذلك تبرز مشكلة اجتماعية ازدادت الى اليوم احتداماً ، وتهتدى الى الحل ، هى مشكلة اللون والطبيعة .

وقصة عنترة ، وقصص العذريين بعدها تدل على أن العرب عرفوا الحب العذرى وعبروا عنه فى قصصهم ، بخلاف ما زعم بعض متعصبى الغرب أن العربى لم يعرف الحب إلا الجسدى منه ، وأساطير الاغـريق وملاحمهم هى التى تقطع بأنهم هـم الذين لم يعرفوا من الحب إلا لونه الجسدى .

وإذا اشبهت قصة عنترة قصة «جيهان دى سنتريه» فى مضمونها وهدفها ، فانها تشبه فى بنائها القصصى قصة رولان التى كتبت بعدها بعدة قرون ، واجمع النقاد على انها ملحمة فرنسا الكبرى وفاتحة النهضة القصصية فى العصر الحديث ، وليس من قبيل المصادفة ان يكون للفارس رولان جواد كالابقر جواد عنترة ، ورفيق يلازمه كشيبوب ، فارسنا العربى .

ويمضى مؤلفنا الشوباشى فى عرض القصـص العربيـة مبينـا خصائصهـا وميزاتها ، مسترعيا الانتباه الى آثارها فى القصص الغربية .

والكتاب بذلك يعد بحثا فى الأدب المقارن ، الى جانب استيعابه للحركة القصصية العربية استيعابا يمتد الى الف ليلة وليلة والمقامات . ويتناولها جميعا بالتحليل وبيان الخصائص . واحيانـا يقتضى الأمر تلخيص الحوادث وافعال الأبطال لالقاء الضوء عليهم .

أصل القصة العربية الحديثة

هذا ولنا مع الأستاذ الشوباشى وقفة نختلف معه فيها اختلافا لا يفسد للود قضية .

وذلك عندما بدأ يناقش من يرون أن القصة العربية الحديثة ليست وليدة القصة العربية القديمة ، ولم تصل الى ما وصلت اليه عن طريق التطور الطبيعى ، ولكنها جاءت باديء الأمر محاكاة للقصة الأوروبيـة الحديثة ، ثم اخـذت تكتسـب خصـائص ومقومـات ذاتيـة ومـع التسـليم الجـدلي بصحـة ذلك ، وهـو غـير صحيح عـلى اطلاقـه ، فاننا نرى وجهة نظرهم هذه انعزالية .

انتهى كلامه . ونراه يشعر بضعف وجهة نظره فى ذلك فيقول أولا «مع التسليم الجدلى .. الخ» ثم يلجأ الى لف ودوران فيقول «وقد أشار بعض مؤرخى الأدب الأوروبيين الى أن بوكاشيو فى ايطاليا ، وشوسر فى انجلترا ، ودون جوان صاحب كتاب الديوان فى اسبانيا ، لم يتاثروا فحسب بالقصة العربية فيما كتبوه من قصص ، ولكنهم اكتسبوا منها ، ونقلوا عنها . وهؤلاء هم الذين وضعوا البذور الأولى للقصة الأوروبية الحديثة ، ومن ثم تكون قصصنا العربية الحديثة ، حتى فى حالة تأثرها بالقصة الأوروبية متصلة بالقصة العربية القديمة عن طريق مباشر وطريق غير مباشر» .

ويرى هذا الرأى ايضا الاستاذ فاروق خورشيد وقد سبق اليه فى كتابه «فن الرواية العربية» وانـا اخالفهمـا مـع المخالفين .

اقتباس

أقول أولا : إذا كان ما ذكره الشوباشى من أن الاقتباس والنقل دليل على ما هو اكثر من التأثر ، فقد حدث ذلك فى مطلع النهضة القصصية العربية ، فان الرواد عندنا نقلوا واقتبسوا كثيرا من القصص الأوروبية ، منهم من صرح بذلك ، ومنهم من لم يصرح ظنا منه أن احداً لن يدرى . وممن صرحوا محمد تيمور فى قصة عن موبسان جعل عنوانها «ربى لم خلقت هذا ؟» وجعل البطل الرئيسى شيخا اسلاميا بدلا من القس المسيحى فى القصة الاصلية . وقد ترجم القصة الأستاذ احمد حسن الزيات بعنوان «فى ضوء القمر» ونشرها فى مجلة «الرواية» اخت «الرسالة» ثم فى كتاب مع قصص اخرى بالعنوان المذكور .

واقول ثانيا : إن معظم رواد القصة العربية الحديثة لم يكونوا على اتصال كاف بالتراث العربى الأدبى ، القصصى وغير القصصى ، مثل الدكتور محمد حسين هيكل عندما كتب الرواية العربية الأم «زينب» وهو فى باريس محاكاة تامة للرواية الغربية . ورأينا كذلك رواد القصة القصيرة العربية يصرحون بشغفهم بالفن الأوروبى فى القصة وانهم يسيرون على دربه ، محمود تيمور كان يجاهر بانه يتتلمذ على موباسان ، وقد رأيت فى عدد قديم من جريدة «السفور» قصة قصيرة كتب تحت عنوانها «بقلم صاحب العزة محمود بك تيمور موباسان مصر» .

وليسمح لى القارىء الكريم أن انقل فقرة فى هذا الصدد من كتابى «القصة القصيرة فى مصر» :

«الواقع التاريخى بالنسبة الى الانتاج القصصى الحديث ينطلق بعكس ما ذهب إليه فاروق خورشيد (لم يكن قد ظهر كتاب الشوباشى) وسنرى فى الدراسة الآتية لمجموعات القصص وما كتب لها من مقدمات أن كتاب القصة ينهجون النهج الغربى الخالص ، ويصرحون فى كتاباتهم بانهم ياخذون شكل القصة الأوروبية لينشئوا على غراره ادبا قوميا ، ولم نر احداً منهم يلتفت الى شىء من قديم القصص العربية ، وكثير منهم لم يدرس الأدب العربى ، وحتى الذين الموا بهذا الأدب لا علم لهم بالقصة العربية فى عصورها الماضية ، لاهمالها فى الدراسة التقليدية » الى أن قلت :

«والمسألة فى رأيى ليست مسألة قومية بمقدار ما هى حقيقة تاريخية ، ولا يضيرنا فى شىء أن ناخذ ونعطى ، فان اخذنا الآن عن الغرب فقد اخذوا عنا فى عصور ماضية إذ نقلوا عنا قصص الف ليلة وليلة ، فترجموها من اللغة العربية الى لغاتهم ، وحاكوها فى قصصهم وتاثروا بخيالها فيما انتجوه» .

واقول اخيرا :

إننا الآن ــ أو اكثرنا ــ نلبس البنطلون الذى أصبح عالميا ، ولا نقول إنه متطور من السروال العربى .

عباس خضر

فكتور هوجو

عبقرية هزّت الحياة الأدبية في العالم

بقلم: جمال الكناني

فكتور هوجو .. العبقرية التى حققت شهرة واسعة بين الجماهير

كان دون بدرو امبراطور البرازيل فى زيارة لفرنسا عام ١٨٧٨ ، وراح فكتور هوجو اليه يقدم احترامه ، فلما رد دون بدرو الزيارة وتواجد مع هوجو فى بيته بشارع دى كليشى ، تبسط الامبراطور معه ورفع الكلفة ، بل انه قال لهوجو « طمئن خاطرى لانى رجل خجول ... وحقق مطمعى الوحيد وعرفنى بحفيدك جين .. وقدم هوجو حفيده للامبراطور» جين اسمح لى ان اقدمك لجلالة امبراطور البرازيل فقال الطفل هامسا فى شىء من خيبة الأمل ولكنه ليس فى زيه الرسمى ؟! « فقال الشاعر » مولاى اتاذن لى فى تقديم حفيدى لجلالتك ، « فأجاب الامبراطور » ليس هنا الا صاحب جلالة واحد .. هو فكتور هوجو ..

والحق ان فكتور هوجو عاش امبراطورا بين ادباء عصره .. وعاش معبود الجماهير .. ولما اعيد عرض مسرحيته « هرنانى » طالب شبان الجامعة بتذاكر لحضور العرض ،

.. ووصف بودلير فيكتور هوجو بانه عبقرية بغير حدود ، وقال

تيوفيل جوتييه فى وصف « البؤساء » « انها ليست جيدة ، وليست رديئة ، فهى ليست من خلق انسان ولكنها ظاهرة من ظواهر القوى الطبيعية .. انها ملحمة فى النقد فيها دفعة المحيط ولها عمقه .. انها

حمم تتدفق فتبرز من جوفه تماثيل بالغة الضخامة تتوهج نيرانها » .

وقال لامارتين فى رواية «احـــدب نوتردام » — أو كما سماها كاتبها « نوتردام دى بارى » وهى رائعة من روائع هوجو « انها عمل ضخم .. انها صخرة من عهد يسبق عهد الطوفان .. هى شيكسبير النثر الروائى وملحمة القرون الوسطى » .

لكن ترى ما كان راى هوجو فى نفسه ؟ قال وهو فى سن ١٥ « مطمحى أن اكون شاتوبريان وإلا فلا » وقال ذات مرة لانطوان فونتناى « لو ساورنى ادنى شك فى قدرتى على احتلال المقام الأول بين الادباء ، او ان اعلو وارتفع عن جميع منافسى ، لهجرت الكتابة واحترفت المحاماة غدا » .. والحق انه كان فى عصره أعظم كاتب فى العالم باسره ، وهو الذى قال فيه معلمه وهو فى العقد الثانى من عمره « اليوم ات لا ريب فيه حين تحتل مكانك بين اعظم شعرائنا .. انا احس فى شعرك باصداء راسين » .

على ان أول دليل مادى على تفوق هوجو وعبقريته ، كان ما احرز من نجاح فى مسابقة الشعر التى عقدتها الاكاديميـــة الفرنسية .. وكان الموضوع الذى عينته الأكاديمية هو « السعادة التى نستمدها من الدراسة فى كل ظروف الحياة » ..

كان هوجو الفتى يرى ان التفكير فى العمل هو ان يعمل ، فلما طافت فكـــرة المسابقة بخاطره ، جلس لتوه وكتب قصيدة من ٣٣٤ بيتا .. ولم يفز بالجائزة ، اذ كان التاسع بين المتسابقين ، ولكن أعضاء الأكاديمية لم يصدقوا أول الأمر ان صاحب القصيدة التى قدمها هوجو حدث يافع .. وقال فولتير مخاطبا الشـــاعر الصبى : لابد ان يخلفنى واحد من الناس ، وانا احييك خليفة لى تحية حارة .

فكتور هوجو هو اصغر اولاد الميجور ليوبولد هوجو الثلاثة .. ولد فى يوم ٢٦ فبراير ١٨٠٢ ، وكان هزيلا ضعيفا خيل للطبيب المولد انه لن يعمر طويلا ولكنه غافل طبيبه وضحك على ذقن الزمن وعمر حتى جاوز الثمانين .

هوجو وهو صبى .. فى هذه السن المبكرة اهتم بالكلاسيكيات حتى اصبحت تجرى فى عروقه .

من القانون إلى الأدب

اقتضت حياة ليوبولد هوجو العسكرية ان يقضى فترات طويلة فى أسبانيا وايطاليا بعيداً عن زوجته وأولاده ، ولم يمانع هو فى ذلك لأنه يهـوى الجندية . ولكن هذه الفرقة قضت على حياة الزوجية ، وانفصلت عنه زوجته وكفلت أولادها الثلاثة واشرفت على تربيتهم وتعليمهم بينما نال الزوج حظه من الرتب العسكرية حتى وصل الى رتبة جنرال ، كما نال اكثر من نصيبه من الخليلات ، على انه لم يهمل أولاده كلية بل كان يمد الأم بالمال بين حين وحين ، ويوجه دراسة أولاده كلما لاحت له فرصة .

ويجب قبل ان نترك الحديث عن الاب ، ان نشير الى حقيقتين هامتين لهما دلالة قوية فى حياة فكتور هوجو .. الحقيقة الأولى ان الأب رغم جنديته كان يهوى الأدب ويقرض الشعر ، وان كان شعره من النوع الذى لا يشير اليه تاريخ الادب .. المهم انه كان من دعاة الأدب وانصاره ، ولهذا فانه لم يعارض لما استاذنه فكتور واخوه فى التحول عن دراسة القانون إلى دراسة الأدب .

الحقيقة الثانية هى أن الميجـــور ليوبولد هوجو كان يتمتع بشخصية تجذب النساء بصفة خاصة .. وورث فكتور عن ابيه هذه الجاذبية وزاد عليها كثيرا فتحكمت فى حياته حتى بعد ان تخطى الثمانين .

فالمقرر اذن هو ان الاب غرس بذور



جولييت في شبابها . وهي التي راها فيكتور هوجو لاول مرة وهي تلعب دورا صغيرا في مسرحية .

الادب فى طبيعة ولده فكتور وان الابن رعى تلك البذور وسقاها فنبتت وترعرعت واينعت فى خياله حتى شطرت حياته شطرين .. ادب ونساء .. فاذا به عبقرية بغير حدود .

بدأ فكتور هوجو تعليمه فى مدرسة خاصة كان يشرف عليها الاب لا يفيير الذى كان يعنى خاصة بتعليم اللاتينية واليونانية القديمة وترجم هو وتلميذه فكتور بعض كتابات فرجيل .. والملاحظ ان اسلوب هوجو ظل متاثرا طول حياته بشكل الجملة اللاتينية وحبكتها ..

على ان المعلم الحقيقى لهوجو كان هو الحديقة التى تعرف فيها على الطبيعة وما فيها من مختلف نواحى الجمال والرعب ..فيها الزهور بانواعها ومنها عرف كيف تفتك الفيران بصغار الطير وصغار الطير بالحشرات والحشرات بعضها ببعض .

ولم تفرط الام فى تربية اولادها ووضعت لدراستهم برنامجا كان ينفذ حرفيا دون هوادة . كانت تقرأ لهم وتكلفهم بالقراءة .. وغرق فكتور واخوه هابيل الى الآذان فى الكلاسيكيات حتى اصبحت تجرى فى العروق ..

لما اتم هوجو واخوه يوجين مرحلة التعليم الثانوى طلبا من ابيهما ان يسمح لهما بدراسة القانون . ووافق الوالد وبعث



جولييت فى شيخوختهـا .. فقد عاشت حتى وصلت الى السابعة والسبعيـن مـن عمرهـا ، واوصـت بدفنها إلى جـوار ابنتهـا !.

بالمبلغ اللازم لتكاليف تلك الدراسـة .. وبعد عام أو بعض عام عدل الاخوان عن دراسة القانون لانهما كانا قد قررا دراسة الأدب .. فكتبا الى أبيهما فى ذلك ، فلم يعارض كثيراً ، بل ولعله ارتاح إلى ذلك فى نفسه دون ان يعلن عن ارتياحه .

كان الأدب هواية أولاد هوجو الثلاثة ، هابيل ويوجين وفكتور ، وحاول ثلاثتهم نظم الشعر وملأ فكتور عدداً من الكراسات بما نظم من شعر ، فكان منذ البداية يميل الى الايقاع الكلاسيكى ، لكن ما كتب فكتور فى تلك الفترة من شعر لم يكن سليماً يلتزم بوزن أو بحر او قافيه ، فكان يقرأ ما يكتب بصوت مسموع ويصحح الابيات حسب ما تقبل اذنه من نغمات وايقاع ما يقرأ وبذا علم نفسه الأوزان والقوافى والبحور . ودخل مسابقة الشعر التى نظمتهـا الاكاديمية الفرنسية كما ذكرنا ، وكانت القصيدة التى اشترك بها أول انتاج نظامى له فى الشعر . أما اهتمامه بالمسرح فقد بدأ وهو فى المدرسة الداخلية التى كان يديرها المسيو ديكوت . وفيها كتب فكتور مسرحيات ادى فيها دور نابليون ، كما كتب وهو فى الرابعة عشرة مأساة شـعرية « ارتامير » أهداها لأمه ، وكان موضوعها انتصار الملك الشرعى على المغتصب ، عبر فيها عن رأيه وهو أن من يكره الطغاة لابد

فكتور هوجو عبقرية هزّت الحياة الأدبية

يحب الملوك ، » اى أن من يكره بونابارت لابد يحب لويس الثامن عشر » .. واخذت قدم فكتور هوجو ترسخ وتثبت ومكانته تعلو وترتفع فى ميدان الشعر والمسرحيات حتى أصبح بين ملوك الشعر امبراطوراً .

وليس فى مكنة هذا المقال ان يضيف جديداً الى ما كتبه النقاد فى جميع انحاء العالم ، وبمختلف اللغات عن شعر هوجو ومسرحياته التى كانت تهز فرنسا هزاً وتعصف برواد المسرح كما تعصف الريح ببواسق الشجر .. ولهذا نكتفى فى حديثنا عن ادب هوجو باشارات قصيرة الى بعض روائعه وعلى راسها رائعته الخالدة « البؤساء » .

شخصيات اكبر من الحياة

كان هوجو يفكر فى كتابة رواية اجتماعية خالدة واختمرت الفكرة فى راسه ثلاثين عاما او يزيد ، بحث خلالها ظلم العقوبات التى يفرضها القانون ووسائل رد اعتبار المحكوم عليهم بعد توقيع العقوبات عليهم ومشاكل الفقر وغيرها .. وكتب فى ذلك عدداً من الروايات منها « آخر ايام محكوم عليه بالاعدام » ، وقصيدة « للفقراء » . فلما جاء دور رواية « البؤساء » قرر هوجو ان تكون احداثها مما يقوم على الواقع والحقيقى .. فاخذ من صميم الحياة شخصية المونسينور « موالى » ، وهو قس يعرفه الناس ، وبنى على اساسها شخصية المونسينور «ميريل » فى البؤساء .. وظروف الفقر التى يعيشها هذا القديس وشدة زهده وفرط احسانه ، وبساطة اللغة العظيمة التى يستعملها فى حديثه العادى هى ما يثير اعجابنا ويؤكد لنا حقيقة هذه الشخصية وواقعيتها . ويروى سكرتير المونسينور « موالى » ما حدث فعلا بينه وبين سجين واقعى حقيقى افرج عنه وكيف رحب به بعد ان رفضته جميع النزل ..

وهذا بالضبط ما حدث لجان فالجان فى رواية البؤساء والفرق الوحيد هو ان السجين الحقيقى لم يسرق الآنية الفضية كما سرقها جان فالجان فى قصة البؤساء .. والقارىء الذى يعرف شيئا عن حياة هوجو يستطيع ان يلمح ذكريات المؤلف نفسه فى شخصيات الرواية واحداثها .. هوجو الصغير يلبس قناع ماريوس والجنرال هوجو يتقمص شخصية بونتمرس .. وماريوس يلاحق كوزيت كما لاحق هوجو « اديل » من قبل وهكذا ..

فى صباح ٣٠ يونيه ١٨٦١ انتهى فكتور هوجو من كتابة « البؤساء » ، وعرف بفطرته الأدبية ان الكتاب قيم وان جمهور القراء سيكون كبيراً .. فقرر ان يستغل دخل الكتاب فى تامين مستقبل اسرته من الناحية المالية .. فلم يتسرع فى اختيار الناشر .. ولم يختر صديقه هتزل ، بل اختار ناشراً بلجيكيا شابا اسمه البرت لاكروا ... وتقدم الشاب بعرض بلغ ٣٠٠ر٠٠٠ فرنك لقاء النشر لمدة ١٢ سنة وقبل هوجو المبلغ الذى لم يكن قد قبض نظيره من قبل ،

والغريب ان العاطفة السياسية فى فرنسا اذ ذاك أعمت ابصار نقاد الأدب فلم يتحمسوا « للبؤساء » .. فكان لامارتين مثلا حذرا متحفظا فى ملاحظاته على الكتاب ، فما احله هوجو من تورط الصداقة واطلق يده ليوجه من النقد ما شاء ، جاء نقد لامارتين مرا كالحنظل .. « مدح الكاتب وسخر من الفيلسوف وقال هذا كتاب خطر فهو يشيع فى الجماهير عدوى قاتلة وتطلعات الى ما هو مستحيل » .

اما اليوم فقد اصدر التاريخ حكمه على « البؤساء » التى تعتبر واحدة من اعظم ما ابتكر خيال الانسان - كما ان شخصياتها - جان فالجان ، وماريوس ، وكوسيت ، وجافرت وفانتين وغيرها - احتلت مكانها بين أعظم الشخصيات مثل مدام بوفارى ، اوليفر تويست ، الاخوة كارامازوف وغيرها .. وشخصيات البؤساء ادمية حية ولكنها اكبر من الحياة لما فيها من حب واريحية .. وتتمتع كلها بشعبية هائلة رغم ما فيها من مبالغة .

أحدب نوتردام

القصة الثانية من قصص هوجو التى لقيت رواجا عالميا هى «نوتردام دى بارى» التى عرفها الناس فى عدد من الاقطار باسم « احدب نوتردام » .. اتم هوجو هذه القصة فى شهر يناير ١٨٣١ واستغرقته كتابتها ستة اشهر فقط لانه كان قد صرف ثلاث سنوات فى اعداد ما يلزمها من بحوث ومستندات واستكشف خلالها واستقصى باريس لويس السادس عشر وعاين ما بقى فيها من بيوت قديمة وتعرف على كل ركن ، بل وكل حجر فى كتدرائية نوتردام .. وقرر هوجو ان تطابق القصة تاريخ العصر .. وفى القصة خيال مبدع وشخصيات تبدو اكبر من الحياة واكبر من الواقع ومع ذلك فقد حققت كل شخصية من شخصيات القصة لنفسها فى راس كل قارىء مهما كان جنسه ، حياة خاصة بها .. وفكرة الرواية تنضح بشخصية هوجو واحداث حياته .. فكرة المنافسة الثلاثية الاركان فى الصراع القائم بين رئيس الشماسة ، والاحدب قارع الاجراس ، والكابتن دى شاتوبير ، حول الفتاة الغجرية .. على ان بطلة القصة الحقيقية هى كنيسة نوتردام فهى ببرجيها وصورتها التى تنعكس على سماء تتلألا فيها النجوم ، تبدو كابى هول ضخم له راسان ، يرقد فى وسط العاصمة .

ليست قصة الاحدب قصة كاثوليكية او حتى مسيحية .. فلكم صدمت القراء حكاية قس حكمته الشهوة واسرته الرغبة فى فتاة غجرية .

لما قرا لامينيه قصة احدب نوتردام امتدح ما فيها من خيال تصويري رائع ومدح جوتييه اسلوبها الذى تبلغ صلابته وقوته صلابة الجرانيت وقوة الصوان ، وقال فيها لامارتين كما اسلفنا « انها عمل ضخم ، قطعة من صخر من عهد يسبق عهد الطوفان ، هى شيكسبير النثر الروائى وملحمة القرون الوسطى » .

على ان فكتور هوجو لم يسعد بكتابة اى قصة او قصيدة او مسرحية بقدر ما سعد بكتابة قصة « ٩٣ » التى بدا كتابتها فى ٢١ نوفمبر ١٨٧٢ فى غرفة مكتبه الزجاجية فى بيته بالمنفى فى جزيرة جيرنزى .. قال هوجو « بدات اليوم اكتب المسودة الاولى لكتاب « ٩٣ » واخرجت لذلك المحبرة الكريستال الجديدة التى اشتريتها من باريس وفتحت زجاجة حبر جديدة وملات منها المحبرة ثم اخذت رزمة من ورق جديد اشتريته خصيصا لاكتب عليه هذا الكتاب وسحبت قلماً مجريا اثق فيه وتهيات لكتابة الصفحة الأولى .. سابدا واكتب كل يوم ان شاء الله » .

وكانت تلك طريقته فى الكتابة ايام شبابه ، ولم تفتر همته او تخور عزيمته وهو فى السبعينات .. فالوحى مازال يتدفق ونذكر بهذه المناسبة ان هوجو اسر لاحد اصدقائه فى يناير ١٨٧٤ قائلا « ما اشبهنى بغابة تقطع اشجارها عدة مرات ومع ذلك تجد ان ما فيها من صغار الشجر اكثر قوة ونشاطا .. قضيت نصف قرن سجلت فيه



اديل فوشيه .. زوجة فكتور هوجو التى عرفها صبية صغيرة تسكن فى بيت مجاور لبيت عائلته .

افكارى شعراً ونثراً اشعر وكانى لم اقل او اكتب واحداً من الف مما فى نفسي » .

قلنـا فى صـدر المقـال ان هوجـو كان عبقرية وكان شهوة .. والحديث عن شاعرية هوجو وادبه حديث معاد لا ينتهى .. ولكن الذى لا يعرفه بعض الناس هو الناحية الشخصية من حياة هذا العبقرى الفحل ..

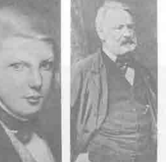
هذا الضائع

اديل فوشية صبية صغيرة تسكن فى بيت مجاور للبيت الذى تسكنه مدام هوجو واولادها .. وهى بحكم الجيرة تلعب مع غيرها من اولاد الجيران ومنهم فكتور هوجو واخوه يوجين الذى يكبره مباشرة ..

وانقطعت الصلة بين ال فوشيه وال هوجو لما سافرت مدام هوجو واولادها بعيداً عن باريس .. ولم تعد الصلة الا واديل وفكتور يافعان فى طور المراهقة .. لكن ام اديل ، مثل كثيرات غيرها من الامهات ، لم تكن تدرك تماماً ان بنتها قد كبرت فلما زارهم فكتور طلبت منه أن يخرج مع اديل للعب والجرى .. لكنهما آثرا المشى والحديث .. فلما لمست يد اديل يد فكتور سرت فى الجسدين رعدة .. فالبنت الصغيرة قد اصبحت صبية رائعة الجمال .. وفى لقاءات تالية ، تقاربت الرؤوس وتواشجت الانفاس ولكن الحب ظل عذرياً لأن اديل كانت فتاة متدينة تتمسك باهداب الفضيلة وتطورت العلاقة الى حب ملتهب ، وانكشف المستور ، وحاولت مدام هوجو أن تفرق بين العاشقين لانها كانت ترى ان اسرة الجنرال هوجو من طبقة اجتماعية اعلى من الطبقة التى ينتمى اليها آل فوشيه .. وتأزمت الأمور وانفطر قلبان .. وفى العيد الثانى للقاء العاشقين ، وهو ما اسماه فكتور « عيد سعادتنا وبأسنا » ، كتب فكتور لاديل .. « اليوم يبدأ العام الثانى لبؤسنا ترى هل اعيش حتى ادرك العام الثالث ؟ وداعاً مؤقتاً يا اديلى .. الساعة متاخرة .. انت تنامين ولا تحلمين بخصلة من شعرك ، يضغطها زوجك (اى فكتور باعتبار ما سيكون) الى شفتيه كل ليلة قبل ان ينام » .

وحدث مالم يكن متوقعاً واصيبت مدام هوجو فجاة بمرض قضى عليها فى يوم ٢٧ يونيه١٨٢١ وهى فى احضان أولادها . وفى صيف ذلك العام انتقلت اديل واسرتها الى بلدة تبعد ٥٠ ميلا عن باريس .. ولم تقف هذه المسافة حائلا بين فكتور ـ وكان مفلساً لا يملك اجرة السفر ـ وحبيبته اديل فقطع المسافة مشياً على الأقدام ليسـعد من حبيبته بنظرة .. ومر هذا الغرام بعد ذلك بمراحل عاصفة ، واخيراً استاذن فكتور اباه فى الزواج من اديل ، فسـمح له ، وتزوجها فى ١٢ اكتوبر ١٨٢٢ . وفى ليلة الزفاف اصيب الاخ الثانى ـ يوجين الذى كان بدوره يعشق اديل ـ بلوثة نقل بعدها الى مستشفى للامراض العقلية ..

ورزق الزوجان بغلام اسمياه ليوبولد ، مات وهو فى المهد ، وعوضهما الله خيراً ببنت اسمياها ليوبولدين وشاءت الظروف والأقدار ان تتوطد الصلة بين فكتور هوجو وبين شاب من المع نقاد الادب اسمه سانت بيف . وبدأ هوجو فى عام ١٨٢٩ يبذل مجهوداً جبارا فى عمله فكان يعمل اما النهار بطوله او الليل بكامله ، وكان سانت بيف اذ ذاك يزور بيت هوجو مرة او مرتين فى اليوم وكثيراً ما كان يجد اديل وحدها فيقضى زيارته فى حديث معها .. وعلى مر الزمن تمت لقاءات سانت بيف باديل بعيداً عن عين هوجو ورقابته فاخذ سانت بيف يلعب دور قس الاعتراف ، وعود اديل ان تسر اليه بمواجعها ومتاعبها .. كان اذا وجدها باكية يسالها عن السبب وعرف بالتدريج من اديل ، وكانت اذ ذاك اما لاربعة اطفال ، ان فكتور يلح فى ممارسة حقوقه الزوجية ، وانها تعجز عن ذلك .. وسانت بيف يهدىء من روعهـا ويتظاهر بالدفاع عن صديقه فكتور فى الوقت الذى يعلن فيه انه كاديل نفسها




فكتور هوجو

عبقرية هزت الحياة الأدبية في العالم

نهب للبؤس والتعاسة . وارتاحت اديل لذلك الوضع ووجدت فى التفات سانت بيف ما يرضي كبرياءها .. وتطورت الامور ، فكانت تستقبل سانت بيف فى خدرها ، واصبحت الخيانة نتيجة حتمية !! كل هذا وفكتور هوجو يعتز بانه الزوج المثالى الذى يهيم بحب زوجته والاب المثالى الذى يعيش لاولاده .. وتوقفت اديل عن حب زوجها نهائيا فى صيف ١٨٣١ ، واحس هو

بذلك فكان يشكو امره لسانت بيف فلما عرف ان اديل تخونه مع سانت بيف دب بين الأديب الشاعر وبين الناقد شقاق وخلف عنيف .. وحاول فكتور هوجو محاولة اخيرة لانقاذ زواجه فاختار لاسرته مصيفا بعيدا عن باريس ولكن سانت بيف لاحق الزوجة وكان يراسلها بعنوان صندوق البريد .

كان فكتور هوجو قد وضع كل اماله وكرس كل حياته لهذا الحب الاول ، حبه لاديل ، التى عانى ثلاث سنوات قبل ان يفوز بها زوجة .. اديل التى كتب فيها اجمل مانظم من شعر الحب والغزل والتى عاش معها زوجا ثمانية اعوام كان يعتقد خلالها انه هو معبودها الأوحد .. كانت كل احلامه تدور حول بناء بيت مثالى للزوجية فيه الرومانسية والعاطفة وفيه الطهر والبراءة .. وبقلب مطمئن انكب على عمله ، وخاض معركة الادب ولم يدر بخلده انه يعيش مع زوجة خاب امل قلبها ، وكرهت عش الزوجية الذى بناه هو .. ولما نزلت به الكارثة قال « ياويل من يُحِب ولا يُحَب ..

هذا امر مزعج .. انظر الى هذه المراة وما فيها من سحر .. انها ناعمة بضه ، هى فى البيت حب ومتعة ولكنها لا تحبك ، وهى لا تكرهك ، انها فقط لا تحبك وهــذا كل ما هناك .. اسبر ، لو توافرت لك الشجاعة ، غور هذا اليأس .. انظر اليها ، فلا تفهم نظراتك تحدث اليها .. فلا تسمعك .. انت تحبها ؟ اذن فانت ضائع لا محالة » .

قال هذا الضائع ، وهو هوجو ، عن نفسه انه مخلوق له اربع انفس «أوليمبو» شاعر العاطفة ، و « هرمان » العــاشق و « ماليا » المرح الضحوك و « هيبرو » الروح المكافحة .

وكافح هوجو اول الأمر ليستر زوجتــه فلما فشل بادل زوجته خيانة بخيانة .. ولعب القدر فى ذلك لعبته .. واختار مخرج احدى مسرحيات هوجو ممثلة شابة رائعة الجمال اسمها جولييت دروييه لتلعب دورا صغيرا فى المسرحية . ولاحظ هوجو اثناء القراءة الثانية للمسرحية تلك الممثلة تمعن النظر اليه وقرر فى نفسه انها لن تقاوم كثيرا اذا هو ابدى رغبة .. كان قلبه اذ ذاك حزينا خاويا وكان الشعور بينهما قويا متبادلا .. وتحرى عنهــا .. كانت فى السادسة والعشرين ، ابوها خياط مات وهى فى المهد مربيها عمها .. التحقت لفرط جمالها ورشاقة قوامها باستديو مثال .. رزقت منه طفلة .. واحترفت التمثيل بعد ذلك .

حل إلى الأبد

وتلاقيا .. وكانت بداية غرام دونه غرام روميو بجولييت وجميل ببثينه .. تميز حب جولييت لفكتور هوجو منذ البــداية بالتضحية المطلقة والوفاء الذى لا يحد ..

وظلت امينة على حبها لفكتــور وبقيت صديقته الوفية حتى ماتت .. احبته حب عبادة ، كان هو فارسها وسيدها .. كان روحها ، كلمته لا ترد وامره مطاع .. حياتها فداء له .. فلما خرج ايام المظاهرات التى سبقت ظهور الامبراطورية كانت تسير خلفه ـ دون علمه ـ لتضع نفسها بينه وبين اى رصاصة تطلق عليه .. ذاقت فى حبه المر والمهانة دون ان تتملل ، كان يخونها مــع غيرها من النساء فيتمزق قلبها وينفطر ، تغضب وتعتب ، ولا تحرك ساكنــا ،

خطاباتها اليه سجل لهذا الحب السماوى الذى اوحى لفكتور هوجو بمجلدات من ارق الشعر .. كانت هذه رسالتها الاولى اليه قبل ان يجتمعا فى خلوة :

« سيدى فكتور : تعال وزرنى هذه الليلة فى بيت مدام كرافت .. ساحبك الى ان اراك واتذرع بالصبر .. حتى المســاء .. »

كان فكتور بعد لقائها كالثمل .. اديل زوجته التى تمناها سنوات بلهفة وشغف لم تعطه الا ما تعطى عروس ذات خفر وحياء .. اما جولييت فكانت امراة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان .. كانت طقوس الحب عندها كالشعر ، كلاهما فن ، وكانت هى تتقن ذلك الفن وكان اتقانه عليها فرضا .. كانت تقدر وتعجب بما يكتب فيها من قصائد ، وتمتدح وتطرى ما يكتب .. وفى ذلك ما يرضى كبرياء العبقرية .. وكان كثيرا مايثيبها على ذلك بكلمة حلوه « ساكتب فى مفكرتى فى اول يوم من ايام السنة انى احبك ، وفى آخر يوم من ايام السنة انى أعبدك واهيم بك ، قبلاتك تجعلنى اقع فى غرام الكون كله ، وعيناك تجعلانى أفهم نعيم الفردوس .. انت فى كلمة واحدة ، انت ياحبى الوداع ، ملاك فى جحيم ..

وهبك الله ذكاء وجمالا ، ولو ان المجتمع عاملك كما عاملتك الطبيعة لكنت فى أعلى مقام . ولكن لا تاسى ، فليس فى مكنة المجتمع ان يرفعك فوق مرتبة الملوك اما الطبيعة فقد وهبتك كل شيء » .

حدث ذات مرة ان اخذ هوجو صديقته جولييت فى جولة فى ضواحي باريس ، وبعدها بعثت اليه بوثيقة او صك قانونى تقول فيه « امس ٢٣ يوليه ١٨٣٤ كنت انا جولييت اسعد امراة فى العالم ، فلم اكن احس قبل ذلك التاريخ . بكل ما يبعثه حبى لك وحبك لى من سرور فى نفسى .. وهذه الرسالة وثيقة قانونية تعرف حالة قلبى .. وثيقة التزم بها لآخر ايام حياتى ،







ففى ذلك اليوم والساعة والدقيقة التى تعيد فيها تقديم هذه الوثيقة الى ، اعدك غير حانثة ان اسلمك ذلك القلب فى نفس الحالة التى هو فيها اليوم ، اى انه سيكون مليئا بحب واحد ، حبك انت ، وبخاطر واحد ، انت وحدك » .

وكان هذا النعيم يستحيل احيانا بؤسا وشقاء ، وتصبح تلك الجنة جحيما .. كان هوجو رغم يساره يحاسبها حسابا عسيرا على كل فلس يعطيها إياه ويفرض عليها تقديم حساب يومى مفصل تبين فيه كل ما تنفق على الأكل ـ اكله هو فى الغالب ـ والشرب وغير ذلك وكثيراً ما كان يحرم عليها ان تشترى فستانا جديدا اذا بلى فستانها ويقول « ما تلبس المرأة الجميلة لا يضيف الى سحرها شيئا » . كان يحرم عليها الخروج الا فى صحبته او باذنه ، ولعل خيانة زوجته علمته درسا .

وكان حب هوجو لجولييت يفتر احيانا دون ان تخبو جذوته كلية ، فكانت تعاتبه وتصر على انها لا تريد العيش مع «فكتور مخلص» ولكن مع «فكتور العاطفة» فهى لا تطلب أكثر من ان تكون صديقته المحبوبة ولا ترضى ان تكون « حبه الماضى » .. وكانت لفرط غيرتها تقول له « لو كنت ملكة ما سمحت لك بالخروج بدون قناع حديدى احتفظ انا بمفتاحه » ! لكن كانت هى التى تعيش فى قفص يحمل هو مفتاحه .

ماتت ليوبولدين بنت فكتور هوجو غرقا هى وعريسها بعد زواجهما بايام . ونالت منه هذه الكارثة ولكنها لم تضع حداً لنشاطه .. ففى اوائل ١٨٤٤ نشات علاقة غرامية جديدة بين هوجو وبين ليونى دونيه ، وهى فتاة قيل انها من اسرة نبيلة ، هربت وهى فى سن ١٨ وعاشت مع فنان اسمه فرانسوا بيار ، تزوجها فى عام ١٨٤٠ وانعم على هوجو بلقب فايكاونت ودخل مجلس الشيوخ فى ١٣ ابريل ١٨٤٥ ، وفى ٥ يوليه ١٨٥٤ هاجم البوليس بناء علىٰ طلب الرسام بيار ، شقة فى حى سان روش كان فيها هوجو وليونى زوجة بيار معا وقبض على المرأة وخلى سبيل هوجو لما له من حصانة برلمانية ، وسجنت ليونى عقابا على خيانتها الزوجية واشارت الصحف الى الفضيحة وتدخل الملك شخصيا وطلب من الرسام ان يتنازل عن شكواه ضد هوجو ووعده بعمل يدر عليه مبلغا طيبا .

كان فكتور هوجو ينسى نفسه وينسى كل قواعد اللياقة فى سبيل الحصول على من يختار من النساء ومنهن اليس اوزى ، احدى جميلات باريس وصديقة تشالز هوجو ابن فكتور .. وحدث أن ابدت الفتاة رغبة فى الحصول على اوتوجراف الشاعر الكبير وبيت او بيتين من الشعر بخطه . ورتب ابنه اللقاء .. وفازت العبقرية على الشباب ، ورضخ الشباب لما استحالت مقاومته وكتب تشالز لفتاته التى خانته مع ابيه « وقف الابن بقلبه البرىء وحبه العميق واخلاصه اللانهائى فى جانب ، ووقف الأب بعظمته وجلاله فى جانب ، فاخترت العظمة والجلال .. لست الومك ، وليس فى العالم امرأة واحدة كانت تتصرف على نحو يختلف عن ذلك . على انى لست من القوة بالقدر الذى يمكننى من احتمال بؤس مقاسمة حبك مع غيرى » .

لما خرجت ليونى دونيه من السجن ارادت ان تنتقم من هوجو فبعثت بكل رسائله اليها الى جولييت فاصابت من هذه المسكينة مقتلا فكتبت لهوجو فى ٣٠ يونيه ١٨٥١ « اشكر لتلك المرأة انها لم تتردد فى ارسال كل دليل على خيانتك .. لقد طعنت قلبى دون رحمة وغاص خنجرها حتى مقبضه ، خنجر حبك لها سبع سنوات طوال .. كان ما فعلت يتسم بالسخرية والوحشية ولكنها كانت امينة .. وهى لذلك تستاهل ان تكون شانقتى » .

ونظراً لما ساد فرنسا من قلق سياسي رحل هوجو او قل نفى الى جزيرة جيرزى ثم الى جيرنزى من جزر بحر المانش حيث قضى اياما سعيدة زاد فيها انتاجه الفكرى زيادة ملحوظة رغم انه كان قد تخطى السبعين .. واحتفظ قلبه ، كما احتفظ عقله بفتوته ، فلما اختارت جولييت ـ وكانت تدير بيته هناك ـ خادمة تتولى غسل الملابس ، فى مارس ١٨٧٢ ، فحصها هوجو بعين الخبير .. وكانت الخادمة بلانش فى سن ٢٢ جميلة متوسطة الثقافة تحفظ الكثير من شعر هوجو عن ظهر قلب .. وقضى هوجو زهاء عام ينسج خيوطه حولها ، يلاطفها ويكتب فيها اشعاره واخيراً وقعت فى حبه حتى كادت تجن من فرط هيامها به .

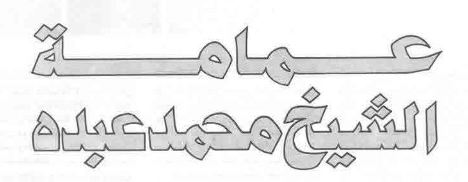
اكتشفت جولييت العلاقة فهيأت لها سبيل الرحيل واقنعتها بعدم الاتصال به وادخلت الرعب فى قلب الفتاة لما شرحت لها ان هوجو مريض بالقلب وانه قد يسقط ميتا بين ذراعيها .. وان الفضيحة قد تقضى عليها . وانضمت الفتاة الى عدد من غزوات هوجو السوالف اللاتى كن يطالبن ببعض المال احيانا ، فيدفع لهن ما شاء ويقول « الذى يكسر القلوب ، يدفع الثمن» .

اجمل زواج

فبراير ١٨٨٣ كان العيد الخمسين للقاء فكتور بجولييت ، وفيه أهداها صورته وكتب عليها « خمسون عاماً من الحب ، وهذا اجمل زواج » .. فى ١١ مايو ١٨٨٣ ماتت جولييت وهى فى السابعة والسبعين ودفنها فكتور حيث اوصت ، بجوار بنتها . ومات هو فى ٢٢ مايو ١٨٨٥ وهبت على باريس عاصفة بردية ونقلت رفاته فى موكب مهيب من ميدان « إتوال » الى «البنثيون» وشيع الجنازة اكثر من مليونى شخص وبكته فرنسا كلها .. كان من المشيعين من يحمل لافتات عليها اسماء بعض مؤلفات فكتور هوجو « البؤساء » ـ « اوراق الخريف » ـ « ٩٣ » .. على ان فرانسوا ـ فكتور ابن فكتور هوجو اصر دائما على أن « اخطبوط البحر » كانت اعظم ما كتب ابوه .

جمال الكناني ـ لندن

دور العمائم في تاريخ مصر الحديث:



بقلم: فتحي رضوان

في تاريخ مصر الحديث ، عمامة ضخمة ، هي عمامة الشيخ محمد عبده . ونحن نعني بالعمامة ، المكانة وبعد الأثر ، والهيبة . فقد كان العلماء في مصر كلما كبر مقامهم ، وعلا نفوذهم ، لبسوا عمامات كبيرة .

وقد كان لمحمد عبده نفوذ في أكثر من مجال ، وكان له أثر في أكثر من جانب من جوانب الحياة . اشتغل منذ شبابه بالصحافة ، وبالاصلاح الاجتماعي ، ثم استدرج لعالم السياسة الهائج المضطرب، فنزل الى بحرها بقاربه الصغير ، وعرف الأمواج العالية ، والعواصف العاتية ، ثم كابد الاتهام والمحاكم فالسجن والنفي ، كما مر بتجربة الغربة الموحشة ، والحنين الى الوطن ، والعودة إليه ، يتوجس منه الحكام ويخافون نوازعه وما يخفى في أطواء صدره ، ثم اتصل بالحكام ، وجاورهم وظفر بصداقتهم ثم بعداوتهم . وكان في كل هذا معتدلا ، ينأى عن التطرف ، ومتطرفاً لا يطيب له إلا الوصول الى اقصى الغايات ، فكان وسطاً لا يخشاه أصحاب السلطة فثائراً يتعقبه الحكام ويصادرون ما يكتب . ورمي بالالحاد وضعف العقيدة ، واعتبر إماما يؤخذ بفتواه . ومن ثم كبرت عمامته ، أي عظمت مكانته .

ويمكننا ان نقول بلا تجاوز إن محمد عبده تمثل جيله كله ، كما لم يفعل احد من أنداده او معاصريه ، سواء كانوا من اعدائه او خصومه ، أو محبيه او مريديه . محمد عبده ، كان فلاحا وازهريا ، وطلب العلم الغربي ، واتقن الفرنسية ، وملك ناصية اللغة العربية ، وشغل الوظائف الصغيرة والكبيرة ، وسافر الى اوروبا وأقام فيها ، وعرف كبار الاجانب وصادقهم واتصل بكبار المصريين فكانوا اصحابه ولداته ، وكانوا من محبيه واعوانه ، ثم كانوا من اشد الناس كراهة له ، وبغضا لأسلوبه ومنهجه . ولم يتيسر لغيره كل ذلك ، فسعد زغلول صاحبه الودود ، التمس شيئا من العلم في الأزهر ، ولكن لم يكن ازهريا قط ، فان القدر الذي حصله من العلم الأزهري ، ضئيل ، وصلته بالازهر لم تطل ، ومصطفى كامل سافر إلى اوروبا ، كثيرا ، وعرف كبار الساسة والصحفيين ، ولكن لم يتح له ان يعرف تجربة السجن والمنفى ، ولا المرور من الأزهر الى الوظائف المدنية والدينية .

وهكذا كان محمد عبده ، فريدا في تاريخ مصر ، ومن ثم استطاع ان يوزع على



الشيخ محمد عبده .. كبرت عمامته وعظمت مكانته حتى اصبح لـه نفـوذ وتـأثير في كـل مكـان

منالح عديدة فى حياة مواطنيه اثره .

ولد محمد عبده ، ابنا لفلاح ، فكان فلاحا منذ عرف الحياة ، وكانت مصريته اصيلة ، ففى الريف يصنع أكثر المصريين ، ويرثـون صفاتهم ، وخصائصهم ، من صبر وجلد ، والمعية مدفونة ، ومواهب مطمورة .

وقد ظهر هذا اكثر ما ظهر فى محمد عبده ، فانه ولد فى قرية من اعمال محافظة البحيرة ، فارسله ابوه الى المعهد الاصيل ، اى الى الكتاب الذى تخرج فيه ، كل نوابغ وافذاذ مصر ، الطهطاوى ، وعلي مبارك ، وعبد الله فكرى .. الى اخر القائمـة المجيدة .

وحفظ الغلام (محمد) القران ، وهذا الحفظ دور من دور التنشئة والتعليم ، يمر بها كل طفل فى مصر قبل ان يرقى الى الدرجات العليا . ثم أرسله أبوه الى المعهد الدينى فى طنطا ، فى مرحلة من عمر التعليم فى مصر ، كان التعليم الدينى ، عقبة كاداء فى طريق كل طفل نابه ، تزهده فى العلم ، وتنفره من الدراسة ، وتثبط همته عند التحصيل . ولم يشذ الامر عند محمد عبده ، فقد كان عند لحاقه بالمعهد الدينى فى الخامسة عشرة من عمره ، وقضى فى المعهد عاما ونصف عام ، فحاول ان يتعلم فلم يتعلم ، وجهد ان يفهم فلم يفهم ، فزهد فى التعليم ، وفى الوصول الى درجات اعلى من حياة القرية وفلاحيها ، عاد الى قريته كاسف البال ، حزينا ولكنـه لم يعد مسلما بالضعف والعجز ، فقد كان يحس انه فشل لان الفشل فى تحصيل ذلك النوع من العلم هو النجاح بعينه . وكره ابوه ان يعود ابنه الى القرية ، وهو الذى يتوسم فى ابنه النجابة والذكاء ، والقدرة على ان يتفوق ويمتاز كان يعقد عليه الآمال الكبار ، فحمله قسراً الى المعهد ، فما كان مـن الطفل (محمد) إلا ان فر من قرية ابيه ، ومضى الى قرية اخرى ، يعيش خاله فيها . وفى هذه القرية ، تغير مسار حياته ، إذ لقى هناك (الشيخ درويش) . والشيخ (درويش) كان ينتمى الى طائفة (المثقفين) . وانا اعتبر ان (المثقف) رجل غير (المعلم).

فالعلم يعطى الناس شيئا من المعرفة العقلية ، فيتعلمون كيف يكتبون ، وكيف يعرفون جمـع الأرقام وطرحها ، وضربها وقسمتها اى قواعد الحساب الاربع الأساسية . اما المثقف فلا يمنح الناس علما إنما يمنحهم حبا للحياة ، ورغبة خفية فى تذوق اللذائذ العقلية ، فيسمع الشعر ويحفظه ، وينصت الى القران ، ويتفهم معانيه ، ويجالس الكبار يسمعهم ويكلمهم ، ويتلقى عنهم اشياء لا توجد فى الكتب ، فاذا هو انسان اخر . يبدو اكبر من عمره ، واكثر طموحا من لداته وافصح لسانا ، وازكى وجدانا .. وبالجملة يصبح خلقا اخر وتبارك الله خير الخالقين .

فالمثقف يصنع وجدان الناس ، وقد لا يكون هو ذاته قارئا وكاتبا. كان الشيخ درويش غير متنطع ، ولا مبالغ . فكان إنسانا صالحا ، وفاضت الدماء فى عروق محمد عبده فاصبح ينافس الشبان الآخرين فى الفروسية . وبدت الحياة اجمل مذاقا ، والأمل فيها أعظم بكثير مما كان، وعـــاد (محمد) الى المعهد ، فاذا الغامض ينجلى ويتضح ، واذا المقعد المنفر يسفر عن وجه حلو جذاب ، وتحدث المعجزة ، فبعد ان كان (محمد) عاجزا ان يفهم ولا ان يفهم نفسه ، أصبح يفهم زملاءه فيتحلقون حوله ويستمعون اليه .

عمامة الشيخ محمد عبده

وفرغ الشيخ الصغير (محمد عبده) من طلب العلم فى المعهد الدينى ، وسافر الى القاهرة ، ليلتمس العلم الأزهرى ، فى أكبر جامعات الاسلام .

ولسنا نريد ان نحدثك عن حياته فى الأزهر ، فالاجتهاد فى صوغ هذه الحياة شاق ، إذ ان للحياة الأزهرية قوالب معروفة يدخل فيها جميع الطلاب ، سواء اتوا من ريف مصر ام من صعيدها ، وسواء كانوا مصريين أو مغاربة او شواما او اتراكا او اكرادا . فكان يصحو عند الفجر ، فيصلى الصبح ، ويذهب الى الازهر ليحضر درس الفقه ويستمر فى الدرس الى الضحى . التلاميذ يجلسون على الارض ، والاستاذ يقرأ من (كرسى) . هذا (الكرسى) هو المصدر للتسمية الحديثة فى جامعات اوروبا التى نقلت عنها مصر ، والتى تطلق على كبير الاساتذة فى العلم ، فالاستاذ صاحب الكرسى فى التاريخ او الجغرافيا ، هو الاستاذ الكبير ، نقل الاوربيون عنا هذه التقاليد باسمائها ، ونسينا نحن اننا المصدر ، فنقلنا عنهم ، والأصل عندنا ، ولله فى خلقه شئون .

وفى كل سنة يدرس كتاب ، وكل هذه الكتب ، من تاليف المؤلفين فى العصور المتاخرة ، حينما كان أكثر العلم حشداً ، ملؤه الخزعبلات والأباطيل .

وكان من شيوخ ذلك الزمان الذين يشار اليهم بالبنان الشيخ احمد الرفاعى ، والشيخ عليش الذى وفد الى مصر من المغرب ، ثم الشيخ البسيونى ثم الشيخ حسن الطويل .

فى هذا الجو عاش محمد عبده اثنى عشر عاماً من سنة ١٨٦٥ الى سنة ١٨٧٧ وقال عن نفسه انه قضى فى الازهر اثنى عشر عاماً ، ولكنه قضى حياته كلها بعد ذلك يحاول تنظيف عقله مما حفظه فى هذه السنوات الأثنى عشرة .

وبعد أن اتم محمد عبده دراسته الأزهرية ، وخرج الى الحياة العامة وكان السيد جمال الدين الأفغانى ، قد وفد الى مصر ، وارتبطت أسبابه بأسباب الشيخ الفتى ، فأوحى اليه بالدرس الأول فى الدعوة الى الاصلاح ، فصنع منه الداعية ، والرائد ، والثائر .

وإن كان جمال الدين الأفغانى هو صاحب الأثر الأكبر فى حياة محمد عبده ، إلا أن الشيخ حسن الطويل كان اثرا لا يمحى ، فقد علم الشيخ محمد عبده ، شجاعة فى إبداء الرأى ، وجرأة فى التعبير عن النفس ، وزهداً فى الحياة وجرأة على أصحاب المناصب والمقامات . وقد جنت هذه الشجاعة عليه فطرد من استاذية دار العلوم ، وخلت يده من النقود فاواه صاحب مقهى بلدى واخذ ينفق عليه فلما عاد الى العمل ، وقبض مرتبه ، دفع بالمرتب الى صاحبه صاحب المقهى البلدى وطلب منه ان ينفق من المرتب على كليهما .

● ●

ومجيء جمال الدين الافغانى ، مرحلة من مراحل الحياة العامة فى مصر . على الرغم من ان مصر فى تلك الحقبة وهى العقدان الأخيران من القرن التاسع عشر ، قد وفد اليها العديد من اهل البلاد العربية والاسلامية امثال عبد الرحمن الكواكبى ، واديب اسحق ، وفرح انطون ، وشبلى شميل ، وسليم نقاش ، وسليم تكلا ، إلا أن جمال الدين الافغانى ، كان نجم تلك الايام الساطع ، ومصدر القلق الروحى عند اكثر المصريين والمبشر بالثورات والاضطرابات والانقلابات .

وانا وإن كنت لا انكر ضخامة الدور الذى لعبه جمال الدين الافغانى فى اصطفاء محمد عبده ، وتاهيله للعمل العام بشقيه : الاصلاحى والثورى ، وفى إلقاء بذور الثورة التى تجسدت فى ثورة عرابى إلا اننى لا استطيع ان ادفع نفسى على القول بانه شخصية غامضة ، وإن اضطرابه وتنقله يثير الارتياب . وقد وضع الدكتور محمد حسين استاذ تاريخ الأدب المصرى الحديث رسالة ذكر فيها ان السيد جمال الدين لم يكن افغانيا بل كان فارسيا (ايرانيا) وانه لم يكن سنياً بل كان شيعيا ، وانه كان يحيط نفسه اينما ذهب بيهود ، كان منهم يعقوب صنوع اليهودى المصرى الذى لا اخليه من دوافع صهيونية وهو يؤلب المصريين ضد الخديوى اسماعيل لتكمل الخطة التى ساهم فيها اليهودى دزرائيلى رئيس وزراء بريطانيا ، وروتشيلد كبير اعيان اليهود فى انجلترا ، و (جامبتا) اليهودى الفرنسى ورئيس وزراء فرنسا وهى الخطة التى انتهت باحتلال بريطانيا لمصر . وقد كان جمال الدين لا تطيب له الاقامة اينما ذهب إلا فى (الجيتو) اليهودى أى حارة اليهود ، حتى فى مصر ، وكان ماسونيا صريحا ، وقد اقام محفلا للماسونية فى مصر . والماسونية هى إحدى شعب العمل الصهيونى . ولا يغير فى الامر ان يكون جمال الدين ثائرا .

ولقد استوقف نظرى امران : اولهما ان بريطانيا حينما نفته من مصر ، ارسلت به الى الهند ، حيث ملا من المسلمين من جهة وحيث ضمائر الثورة ضدها ، متوافرة ومتكاثرة . فهل يتفق هذا مع مصلحتها .

وقد استوقف نظرى كثيراً ، تردد السيد جمال الدين على بريطانيا ، بعد عودته من الهند . مع ان بريطانيا هى التى عالنها بالعداء ، واثار عليها اتباعها فى كل مكان .

ولما زار الافغانى استانبول ، اكرم السلطان عبد الحميد وفادته . ولكنه وضعه فى قفص من حديد ، فقد كان يخشى لسانه ، وتحريضه على الثورة ، فى وقت كثر فيها اعداء تركيا ، الذين تزيوا بكل زى وظهروا فى كل مظهر ، وكان اكثرهم اذى لها دعاة الاصلاح ، والتحرر

ولكن لا يحسبن القارىء الكريم اننى اريد ان اقضى فى امر المجاهد الكبير ، والثائر المتجدد ، السيد جمال الدين الافغانى ، فى هذه السطور العجلى ، فهذا جرم لا اتورط فيه وخطا لا ارتكبه .

إنما هى خواطر ، تلح علي ، منذ قديم ، حاولت ردها عنى فلم استطع ، لغير هوى او غرض ، وقد جاء موقعها من هذا الكلام هنا ، فلم اتردد فى ايرادها ، مؤملا ان ينهض أهل الذكر ، بابداء الرأى السليم ، واصحاب الحجة القاطعة .

● ●



جمال الدين الافغاني لعب دورا ضخما فى تاهيل محمد عبده للعمل العام .



عبد الرحمن الكواكبي جاء مع العديد إلى مصر من البلاد العربيـــة والاســـلامية .

جاء جمال الدين الافغانى ، فوجد فى الشيخ محمد عبده ضالته المنشودة ، فقد خلق محمد عبده ، قوى الشخصية ، نافذ الأثر ، ميالا الى التغيير الكامل وإن كان به

الميل الى الاعتدال والاتئاد ، يصاحب غضباته الثورية ، ويعوله نحو الانقلاب ولو شابه عنف . وقد كان يشوب مزاجه عنف يغضب الناس ، وقد اجتمع هذا الميل فى كل من جمال الدين الافغانى وسعد زغلول وكانوا الثلاثة : حلقات فى سلسلة واحدة .

وقد جاء جمال الدين الافغانى يبشر بالثورة الاسلامية ، بحيث تنتظم هذه الثورة العالم الاسلامى كله ، فينتفض المسلمون فى الهند ، وفى الافغان ، وفى ايران ، وشبه الجزيرة العربية ومصر والسودان وشمال افريقيا ، فيسقط فى يد الاستعمار ، ولا يرى لنفسه مخرجا ولا مناصا . وكان جمال الدين مهيئا لهذا العمل الضخم بثلاثة امور امتاز بها : لسان حاد ذرب ، يقذف بحمم الغضب ، كأنها قذائف المدفع .

وطبع حاد ، لا يهدأ معه صاحبه ، ولا يخاف ، ويأبى معه الاكتفاء بالغايات والأهداف القريبة .

وهمة مادية جسمانية ، تحبب له الانتقال ، والاتصال ، والسفر .

وقد كان محمد عبده فى مطلع حياته ، تواقا الى ما يستنفد حيويته ويرضى حبه للثورة ، ولو كان هذا الحب ، فكريا ذهنيا . وقد اتصل بهذا الزعيم المتاجج والمؤجج

عدد من الناس ، لكن لم يقع الاتصال بين احدهم وبينه ليكون الوعاء الكامل ، لما يريده ويدعو اليه السيد جمال الدين إلا محمد عبده ، فابراهيم اللقانى ، وابراهيم المويلحى ، ومحمود سامى البارودى تاثروا به جميعا ، ولكن وقفت به طباعهم عن المرتبة الدنيا من العمل السياسى الشامل .

لا نستثنى إلا اديب اسحق الكاتب السورى الشاب الذى خطفه الموت فى التاسعة والعشرين من عمره ، وكان جديرا بان يكون خليفته .

ولما عين محمد عبده ، مدرسا فى دار العلوم ، لم يعلم تلاميذه المواد التقليدية ، بل كان يدرس لهم كتبا فى التاريخ ، تمكنه من الحديث عن الثورة والانقلاب والتغيير . فقرأ كتاب «تاريخ المدنية الأوربية» تاليف السياسى الفرنسى الكبير «جيزو» ، كما قرأ لتلاميذه «مقدمة ابن خلدون» طليعة الفكر الاجتماعى الحديث .

كانت نفس محمد عبده تمور بالغضب على كل ما يجرى فى بلاده من بنى قومه من تكاسل وتخاذل ، وبلادة حس ، وسكوت على الاهانة ، وكذب فى الموعد ، وخيانة فى العمل ، أما ما كان من امر السياسة فى مصر ، فكان عندم امر وادهى ، ففى هذه الفترة انشىء صندوق الدين والمراقبة الثنائية ورأى بعينى رأسه ، كيف يتوغل الحكم الاجنبى فى بلاده ، مقوضا سلطتها ، مبددا هيبتها ، مذلا شعبها ، والناس لاهون لا يحركون ساكنا ، ولا يردون اذى .

ورأى استاذه جمال الدين الافغانى ، فى هذه الظروف المشينة والمهينة ، الفرصة السانحة ليقذف بحممه ، ويستثير الشعب على العدوان الصارخ عليه ، محرضا تلاميذه وفى مقدمتهم اديب اسحق ، ليكتب بكل ما اوتيه من حرارة قلم . وكتب محمد عبده فى جريدة الأهرام ، وهى بعد فى مطلع حياتها ، بل فى السنة الأولى من عمرها ، ولم يكن قد اتم تعليمه وحصل على اجازة العالمية .

ووصلت الاحداث الى قمتها فنزل الخديوى اسماعيل عن عرشه ، وجاء ابنه توفيق ، ولكن جاء معه رياض باشا رئيس الوزراء الذى كان تواقا الى اجراء اصلاح روحى واجتماعى ، فدعا بطرس البستانى اللبنانى الى مصر ، وشجعه على ان يطبع دائرة معارف عربية ، كما شجع اخوان صروف على اصدار مجلة المقتطف أول

مجلة علمية ، كما حضر شبلى شميل الثائر والمبشر بنظرية النشـــوء والارتقاء الداروينية .

واصبحت الحياة فى مصر تفيض بالحركة ، وتموج بالجديد ، تاليفا وترجمة واقتباسا ، وراحت الندوات تعقد ، وحلقات العلم والأدب والسياسة تتجدد فى المقاهى وفى دور الاغنياء والاعيان فيما يسمى بالمنادر جمع (منظرة) من الانتظار والاجماع .

وتوج هذا السعى الحميد كله ، باصدار (مجلة الوقائع المصرية) وفتحها لقلم الشيخ محمد عبده ولصديقه عبد الكريم سليمان وللشيخ محمد خليل وابراهيم الهلباوى . فقرأ المصريون لأول مرة فى مجلة واحدة لأقلام عديدة ، لا تخطىء فى النحو ، ولا فى الصرف ، ولا تسف فى الراى ولا النقد ، وتحلق فى سماء السياسة الكبرى ، باقوى الاجنحة .

ومكث الشيخ محمد عبده فى جريدة الوقائع المصرية يكتب وينقد ويقترح ويلهم بالافكار ، ويوحى بالمشروعات ، حتى استطاع ان يجعل من هذه المجلة بداية لديوان المحاسبات يؤاخذ الموظفين ، ويضع يده على الأخطاء الجسيمة ، والهنات البسيطة ، وكبار الموظفين يخافونه ، ويحسبون حساب قلمه ، حتى استطاع ان يصدر قرارا وزاريا من رياض باشا يلزم جميع المصالح ، بان تكتب للجريدة عن الاعمال الهامة التى تنوى عملها ، كما الزم المحاكم ، بأن تنشر فيها جميع احكامها ، واطلق لسانه حتى فى وزارة الداخلية التى تتبعها (الوقائع المصرية) . وكان يصحح الأخطاء النحوية والاملائية فيما يأتى فى قرارات الدواوين ، ومديرى المديريات ، وقد نجحت هذه الحملة فالف مجلس أعلى لوزارة المعارف ، وقد ختير محمد عبده عضوا فى هذا المجلس الهام .

ولكن كان الى جانب المصلح محمد عبده ثوار ، يريدون الاصلاح طفرة ، ولا يقنعون بالتدرج .

فكانت الثورة .

فكيف كان موقف محمد عبده منها ، لماذا أيدها ، ولماذا خالفها ، وكيف انتهى هو من الثورة الى الاعتدال ؟

أمور نتحدث فيها إن شاء الله فى العدد القادم .

فتحى رضوان



فصول أبي البهاء في خدمة الطب

بقلم

الدكتور عبد السلام العجيلي

قال لي ابو البهاء عندما لقيته منذ ايام :

ـ فى اخر مقال لك وعدت قراءك بان تحدثهم عن فصولي التى دبرتها للاخرين بدافع العشق والغرام . ارجوك الاحاديث فى هذا الموضوع لم تعد تليق بي . فقد تجاوزت السن الذى يحلو فيه الكلام عن الحب واحواله .

قلت ـ ولكنها مجرد رواية للذكريات القديمة يا ابا البهاء . ثم ان قرائي يطالبونني بمزيد مما اعرفه عن فصولك .

قال : لماذا لا ترويِ بعض تجاربي فى ميدان الخدمة الطبية ؟ لا تنس اني كنت موظفا فى مديرية الصحة العامة ، وان كثيرا من معارفي لايزالون ينادونني بلقب دكتور .

قلت : ذكرني ببعض هذه التجارب ، وانا حاضر لروايتها .

قال : على عينى وراسى . هل سمعت بالمراة التى تدعى انها بلعت فى ذات يوم فرخ افعى ، تحول إلى حية تسكن جوفها منذ عشرة اعوام ؟ .

قلت : اذكر انى قرات مؤخرا تحقيقا عن حكاية هذه المراة فى الصحف .

قال : ساروي لك ما اذكره عن واقعة تماثلها حدثت منذ اكثر من عشرين عاما . حالة مرضية عجز عن معالجتها اطباء المستشفى الوطني والجراحون الكبار ، واضطروا فى النهاية الى الالتجاء إلي .

قلت مبتسما فى شك : عجز الاطباء والجراحون . ونجحت انت ؟!

قال : لا تعجب . عند اخيك ابي البهاء حل لكل عقدة . ساروي لك الواقعة بالتفصيل .

● ● ●

تلك الواقعة ، على ماروى ابو البهاء ، جرت لرجل من قرية قريبة من المدينة ، رجل نحيل الجسم ، عصبي الحركات ، كان قد انفق كثيرا من المال فى التردد على عيادات الاطباء الخاصة وانتهى اخيرا ، لقلة ذات يده إلى مستشفى الحكومة الكبير فى المدينة يطلب عند اطبائه الشفاء من علته المستعصية .

عن علته ، كان الرجل يقول لكل من يلاقيه انها تعود إلى سنوات عديدة . ففى ذات يوم حار ، فى الظهيرة ، كان نائما القيلولة فى الكرم فاحس ، وهو بين الحلم واليقظة ، بشيء يتسلل إلى بلعومه . انتبه من غفوته لهذا فلمحت عينه طرفا دقيقا ، كانه نيل زاحف ، يتلوى بين شفتيه ثم لا يلبث ان يختفى فى فمه . تصور انها حية دقيقة اخرجها حر النهار القائظ من جحرها واندست فى فمه المفتوح ثم دخلت إلى معدته . لقد احس بشيء يتحرك فى معدته حقا ، فركض نحو القرية يستنجد باهلها ويقول لهم ان افعى دخلت بطنه .

اصيب اهل ذلك الرجل ، ولنسمه نحن موسى ، بالفزع فى أول الامر . سقوه ماء فاترا مذابا فيه ملح ، ودسوا فى حلقه طرف حزام جلدي ، يريدون بذلك ان يجعلوه يتقيا فيخرج ما فى جوفه . ولما افرغ كل ما حوته معدته لم يجدوا في ما افرغ حية ، ولا حشرة ، لا صغيرة ، ولا كبيرة . قالوا له انه توهم شيئا لم يحدث ، لعله راى حلما واختلط عليه الامر فظنه حقيقة . اما هو ، موسى ، فكان مصرا على انه ابتلع افعى ، وعلى ان تلك الافعى ترتع فى احشائه . صحيح انه فى الايام التى تعاقبت بعد ذلك كان ياكل ويشرب ويعمل وينام كما يفعل الاصحاء ، ولكنه كان يقول لمن حوله انه يحس بتلك اللعينة تتنقل فى بطنه من مكان إلى مكان ، مرة فى معدته ومرة فى خاصرته ، تكزه هنا وتدغدغه هناك . لا تؤلمه ولكنها لا تتركه فى راحة . وهذا ما ساقه إلى استشارة الاطباء واحدا بعد واحد ، دون ان يستطيع طبيب منهم انقاذه من بليته .

اولئك الاطباء ! ... كلهم اضجعوه على مناضدهم فجسوا بطنه وقرعوا صدره وظهره . منهم من احاله إلى مخبر التحاليل او ارسله إلى زميل له صوره بالاشعة . ومنهم من ادخل انبوبا فى بلعومه او دس اصبعا فى شرجه . وكلهم انتهوا إلى ان قالوا له بان جوفه خال من الحية التى يشعر هو بها تتنزه فى امعائه . بعضهم كان يودعه بابتسامه اشفاق ، وبعضهم بضحكة استهزاء ، ومنهم من انتهره وطرده من عيادته طردا . ما منهم من ساعده مقدار ذرة فى تخفيف شكواه ، وما منهم مع ذلك من تنازل عن فلس من اجر معاينته . وهذا ما افرغ جيب موسى من محتواه ، واستنفد تلك القروش القليلة التى جمعها لايامه السوداء ، وجعله فى النهاية يلجا إلى طلب العناية المجانية من مستشفى الحكومة فى المدينة الكبيرة .

وفى هذا المستشفى لقي موسى ابا البهاء . كان ابو البهاء انذاك مجرد موظف اداري فى المستشفى ، إلا ان اساليبه الضاحكة فى حل المشاكل الادارية ، واحيانا في تعقيد تلك المشاكل ، جعلت له شهرة خاصة بين زملائه

الموظفين ، وبين الأطباء ، وبين المرضى كذلك . استدعاه رئيس الأطباء في المستشفى ذات يوم وقال له : ياابا البهاء ، لابد ان لديك طريقة تقنع بها هذا الرجل الذى اسمه موسى والذى ازعجنا بتردده علينا وبالتوصيات التى يحملها إلينا من كل جانب تطلبنا بان نخرج الحية التى تعيش فى بطنه منذ عدة سنوات ، تقنعه بانه مريض بالوهم ، لا صورنا الاشعاعية ، ولا التحاليل المخبرية ، ولا تنظير الجهاز الهضمي ، كشفت لنا عن شيء غير عادي فى جوفه . لعلك بذلاقة لسانك تقنعه ان ما يشعر به هو مجرد تشنجات عصبية فى كولونه وقرقعة غازات فى امعائه الدقيقة والغليظة ...

قال أبو البهاء : كنت اعرف جيداً حكاية موسى هذا وحكاية غلاظاته التى فرغ منها صبر اطباء مستشفانا . فقلت لرئيس الاطباء حين حادثني بامره :

– ياسيدي ، لقد رايت ملازمة هذا الرجل للعيادات وسمعت توسلاته إلى السادة الاطباء ومشاحناته مع المرضى والحجاب . ما اظن ذلاقة اللسان تفيد فى اقناعه . فاذا اذنت لي خلصتك منه بطريقة اخرى .

قال : لك منى ما تريد . كيف تخلصني منه ؟

قلت : الأمر بسيط . افتح لك بطنه .

حسبنى رئيس الأطباء امزح ، فقال وهو يضحك : ليس إلى هذه الدرجة ... لا اريدك ان تخلصنى من الرجل بان تقتله .

قلت : معاذ الله ياسيدي . انا تربية يدك . كل ما اريده أن تسمح لى باستعمال غرفة الجراحة عشر دقائق ، ولك منى بعدها ان ارى صاحبنا بعينيه تلك الحية التى لم تكتشفوها انتم وقد خرجت من بطنه ...

وتابع ابو البهاء روايته بقوله :

– كنت اعرف ان أطباء الدنيا كلهم لا يستطيعون اقناع موسى بان ما من حية فى جوفه مادام يحس بها تتجول فى امعائه ومادام يسمع ، كما يقول ، احيانا فحيحها باذنيه .

فى صباح اليوم التالي جلست فى غرفة المعاينة وطلبت من الحاجب أن لا يطرد موسى كما اعتاد أن يفعل كل صباح ، بل ليدخله إلى باعتباري جراحا جديداً فى المستشفى . انا كما ترى لا اقل في الاناقة وهيبة المظهر عن انق اطبائنا واكثرهم رزانة . اضجعت موسى امامي بعد أن عريته من ثيابه ، ورحت افحصه بالقرع والجس والاصغاء من راسه إلى اخمص قدمه . وبينما كنت اجيل يدي على بطنه الهزيل امسكت بعروة من عرى امعائه ، متشنجة تحت الجلد ، وصحت : هذه هي ؟ قال موسى : ما هي هذه ؟ قلت : انها حية ... لابد انك بلعت حية فى ذات يوم يارجل ! فتهلل وجهه فرحا برغم الم القرصة التى كنت الوي بها جلد بطنه وصاح : انت والله الطبيب الذى ما فوقه طبيب ... ابوس ايدك ، خلصنى منها ...

قال ابو البهاء : ولم يكن خلاص موسى من حيته امرا عسيرا علي . أصدرت اوامري بلهجة الجراح الواثق من نفسه الى الممرضين بنقل موسى إلى غرفة العمليات .

التخدير فى تلك الأيام لم يكن يمارسه اختصاصيون بالات معقدة وادوية متعددة كما فى هذه الأيام . وضعت على وجهه قناع الكلوروفورم فنام سريعاً ، ولدقائق قليلة كانت كافية لاشرط بطنه بشق سطحي لايقل طوله عن عشرة سنتيمترات . هل تستكثر هذا على ابى البهاء ؟ لعلك لا تعلم انى ، فى سنوات عديدة ، كنت اساعد الدكتور مفيد فى مستوصفه الجراحي كل ساعات بعد الظهر . ثم إنى خطت ذلك الشق بخيط معقم حقا ، ولكنه كان اغلظ خيط وجدته تحت يدي فى ذلك اليوم . وبدا موسى يفيق من اثر المخدر حين كنت اعقد الخيط على جرحه ، فكان لابد له ان يصرخ مما يحسه من الم . غير ان صراخه تحول إلى ابتسامة ثم إلى ضحكة سرور حين اشرت له إلى طاولة كانت بجانب راسه وإلى وعاء زجاجي مختوم على تلك الطاولة تلتوي فيه على نفسها حية غليظة مرقشة . كنت أحضرت تلك الحية من صاحبي عبد الوهاب ، وهو صيدلي كان يحتفظ بها محنطة فى وعائها الزجاجي على احد رفوف صيدليته منذ افتتاحها . قلت لموسى وانا اشير إلى تلك الحية فى الأناء :

– هذه افعاك ياموسى . قبل يدك ظهرا وبطنا واشكر الله الذى اعانني فى انقاذك منها ...

• • •

قلت لأبي البهاء وانا معجب بطريقته فى الوصول إلى ما عجز عنه نطس الاطباء :

– وهكذا أعدت موسى إلى قريته معافي ، وارحت الاطباء من رؤيته صباح مساء .

فهز ابو البهاء راسه ، كان عنده تتمة للحكاية وقال : الصحيح ان موسى شفى من كل اوجاعه منذ ما رأى ندبة الجرح العريض على جلد بطنه وعاين الحية ملتوية على نفسها فى الوعاء الزجاجي . إلا انه مع ذلك لم يهجر المستشفى ولا ترك ملاحقة الأطباء . كان يقول لهم : كيف اتركِكم وفضلكم فى عنقي وشفيتموني من هذه البلية ... أؤمروني ، اخدمكم بعيوني ! اصبحت ملازمته للمستشفى واطبائه وممرضيه بلية جديدة ، وكان على ان اتدخل مرة أخرى ...

قلت : انت لها يا ابا البهاء ! ومالذى فعلته بموسى هذه المرة ؟

قال : هذه المرة لم أعالج موسى ، وإنما توجهت بمعالجتي إلى رئيس الأطباء نفسه .

وضحكت وقلت : ماذا هل شققت بطن الرئيس ايضا ؟

فلم يتوقف أبو البهاء عند ضحكتي ، وإنما استمر قائلا : تحدثت إليه ، إلى رئيس الأطباء ، وافهمته بانه ، مادام موسى مواظبا على الحضور إلى المستشفى منذ الصباح حتى انصراف الأطباء إلى بيوتهم ، فمن الخير ان يعين عاملا باليومية . إنه قادر على العمل . وبذلك تصبح مواظبته قانونية ومفيدة فى ان واحد ...

قلت : اقتراح وجيه ، فهل اقتنع رئيس الاطباء بوجاهته ؟

قال : وكيف لا ؟ لقد الف المسكين موسى المدينة بشوارعها النظيفة وظلالها الكثيفة ، فما كانت معقولة عودته إلى ضيعته . اصبح موظفا ، وهكذا تراني حللت مشكلته بما افاده وافاد المصلحة العامة .

قلت : مرحى يا ابا البهاء . وماذا كانت مكافاتك على هذا الحل البديع ؟

قال : كانك لا تعرفني ياصاحبي . المكافاة يطلبها غيري ، أما أنا ، فانما نخدمكم لوجه الله لا نريد جزاء ولا شكوراً ...

قال ابو البهاء هذا بلهجته المترفعة اللامبالية التى يختم بها عادة حديثه عن كل فصل من فصوله ، وذلك قبل ان يودعني إلى لقاء قريب ورواية فصل جديد .

د . عبد السلام العجيلي

وثيقة تاريخية بالغة الأهمّية

في المسألة الصهيونية الفلسطينية بالكونجرس الأمريكي (١٩٤٣ - ١٩٤٥)

مشروع الكونجرس لإنقاذ يهود أوربا!

● لقد نفذ صبر اللجنة العاجلة ، ولم تعد تقتنع بإجراءات انقاذ يهود اوربا من خلال اللجنة الدولية المشتركة ، او من خلال الجهود المتقطعة التى تبذلها وزارة الخارجية الامريكية . وقد تاكد لها ذلك بعد ان تسربت انباء فشل مؤتمر برمودا لتنظيم جهود اللجنة الدولية المشتركة . ومن ناحية اخرى فان اللجنة العاجلة كانت ترى ان اللجنة الدولية اعجز من ان تحل مشكلة اليهود لان مهامها كانت تنحصر فى توطين اللاجئين الدوليين بشكل عام وقبل ان يبدا هتلر هجومه المكثف على يهود المانيـا . ومن ثم فقد سعت الى فصل قضية اليهود عن قضية اللاجئين الدوليين . وكانت تخطط لان تقوم الحكومة الامريكية بانشاء هيئة خاصة لمعالجة المشـكلة تخترق الحواجز التى تضعها ادارة التاشيرات بوزارة الخارجية .

وتحقيقا لذلك دعت اللجنة العاجلة لعقد مؤتمر طارىء بنيويورك فى يولية ١٩٤٣ (١) ، لمناقشة كيفية انقاذ اليهود ، انعقد لمدة ستة أيام . واشترك فى هـذا المؤتمر امريكيون من كل الاحزاب والفئات . اذ اشترك فيه خبراء لدراسة المشـكلات الفنية المتعلقة بانقاذ اليهود . ومن هؤلاء الخبراء قيادات عليا من الجيش والبحرية الامريكية بينهم الادميرال يارنيـل Yarnell . ومسئولون عن المواصلات ، وخبراء فى التخطيط الاقتصادى . كمـا اشترك فيه عدد من اعضـاء مجلس الشيوخ ، وعدد من القيادات الدينيـة المسيحية بينهم الاسقف هنرى اسـقف سانت جورج توكر Tucker ، ورئيس فيدرالية عمال امريكا (المستر جرين) . ورئيس مجلس المنظمات الصناعيـة Congress of Industrial Organizations المستر موراى Murray) . كما كان رئيس شرف المؤتمر المستر سبنجلر Spangler رئيس لجنة الحزب الجمهورى بنيويورك . وحضره ايضا توماس واطسون من شخصيات الحزب الجمهورى المرموقة ، ووندل ويلبكى Wendell Willkie المرشح الجمهورى فى انتخابات الرئاسـة الامريكية قبل رئاسة روزفلت .

وعلى هذا فقد كان الحزب الجمهـورى اكثر نشاطا من الحزب الديموقراطى فى هذه المسالة . وقد يرجع ذلك الى التنافس الحزبى بينهما ، ومحاولة الجمهوريين كسب اصوات اليهود لانتخابات الرئاسة الامريكية لاخذها من الحزب الديموقراطى .

لقد ضم المؤتمر اذن خبراء من كل جانب وانعقد فى شكل ندوات يناقش كل منها فرعا من الفروع المرتبطة بالعملية ، مثـل المواصلات والنقل والعلاقات الدولية . ولقد راس ندوة العلاقات الدوليـة هوفر وهيرست (عن غير اليهود) ، وايكس Ickes وماكس ليرنر الأستاذ بكلية وليامز (عن اليهود) . وشارك فيها اناس يعرفون اوربا معرفة جيدة ، اذ كان بينهم الكونت سفورزا الذى كان لاجئا فى الولايات المتحدة ، وايضا رئيس وزراء رومانيا السابق . ولقد عرضت فى هـذه الندوة عدة اقتراحات لعلاج المشكلة اهمها ان تقوم السلطة التنفيذية المختصـة فى الحكومة الامريكية بتعيين جهاز بشـكل او باخر يكون مختصا فقط بعلاج هـذه المشكلة .

وقد انتهى المؤتمر الى امكانية التغلب على اية مشكلة تواجه عمليات الانقاذ ، وذلك بانشاء ملاجىء مؤقتة فى اراضى دول الحلفاء تقبل ايواء اى يهودى ينجح فى الهرب من اوربا ، واعتبـار ذلك لجوءا سياسيا لا يجب انكاره على الذين يواجهون خطرا ما حقا .

وعلى هذا فقد قدمت اللجنة العاجلة بعد انتهاء المؤتمر اقتراحا محددا بشان تشكيل وكالة agency حكومية لانقاذ يهود اوربا باسم Government Agency to Save the Jews of Europe

وقام المشتركون فى المؤتمر من اعضـاء الكونجرس ومجلس الشيوخ بصـياغة مشروع قرار من واقع ذلك الاقتراح لتقديمه لكل من المجلسين . اما الذين اشتركوا فى هذه الصياغة فكانوا السيناتور جيليت

بقلم : الدكتور عاصم الدسوقي

في العدد السابق تناولت هذه الدراسة مقدمات الاقتراب الامريكى من المسالة الصهيونية ـ الفلسطينية ، وكيف ان هذا الاقتراب يعود الى عام ١٩٤٢ حينما أعلن هتلر عن سياسة « الحل النهائى » التى تتمثل فى القضاء على اليهود . وإزاء هذا لم يجد يهود المانيا مفراً من الهروب خارج أوربا . غير أن « المكان » الذى يلجأ اليه هؤلاء الهاربون كان يمثل مشكلة كبرى لم تكن فى الحسبان .. كانت فلسطين هدفهم .. لكن الكتاب الأبيض البريطانى لعام ١٩٣٩ ادى الى تضييق فرص هجرة اليهود الى فلسطين . وفى نفس الوقت ظهرت بالولايات المتحدة موجة معادية لهجرة الأجانب اليها منذ الأزمة العالمية (٢٩ / ١٩٣٠) وفى اعقابها .

وأمام هذا المازق الذى وقع فيه يهود اوربا بدأت عناصر نشطة من يهود فلسطين التى دخلت الولايات المتحدة منذ ١٩٤٠ بهدف تحريك الرأى العام الامريكى نحو تفهم قضية يهود اوربا ومساعدتهم . وقد اسست هذه العناصر عدداً من المنظمات الصهيونية لهذا الغرض كان اهمها قاطبة « اللجنة العاجلة لانقاذ يهود أوربا » .

ثم اتجه نشاط المنظمات الصهيونية فى امريكا الى اختراق السلطة التشريعية المتمثلة فى الكونجرس وصولا الى تشريع رسمى بانقاذ يهود أوربا . وقد لعبت اللجنة العاجلة الدور الأكبر فى هذه الخطوة ، وهذا هو موضوع الجزء الثاني من الدراسة بعنوان « الكونجرس ومشروع انقاذ يهود اوربا » .

Gillette (عن ولاية ايوا Iowa) ، والسيناتور تافت Taft ، وعضوا الكونجرس جوزيف كلارك بولدوين (جمهورى ونائب نيويورك) ، وويل روجرز (ديموقراطى ونائب كاليفورنيا) ، بل ان جيليت وتافت كان لهما الفضل الأكبر فى الصياغة .

وطبقا لأسلوب العمل البرلمانى بالولايات المتحدة لم يكن من الممكن تقديم مشروع واحد بتوقيع الأربعة الى كل من مجلس الشيوخ والكونجرس ، بل ان اسلوب العمل بمجلس الشيوخ لم يكن يسمح الا بوضع اسم واحد فقط على المشروع . ومن هنا تقدم السيناتور جيليت بالمشروع الى مجلس الشيوخ فى نوفمبر ١٩٤٣ ، كما تقدم به للكونجرس كل من روجرزوبولدوين فى نفس التاريخ (٩ نوفمبر برقم ٣٥٠ ، ٣٥٢ لسنة ١٩٤٣) ومن هنا كان المشروع يعتبر مشروعا امريكيا قوميا اذ اشتركت فيه العناصر الديموقراطية والجمهورية والهيئات والمنظمات المختلفة .

غير ان المشروع المقدم للكونجرس اختلف عن المشروع المقترح من اللجنة العاجلة فى مصطلح هام وجوهرى . فالمشروع المقترح من قبل اللجنة كان ينص كما سبقت الاشارة على تشكيل وكالة agency . اما المشروع المقدم للكونجرس فقد استبدل الوكالة بكلمة هيئة commission لانقاذ يهود اوربا باسم Commission to effectuate the rescue of the Jewish people of Europe

ولم يكن هذا التغيير مجرد تغيير فى الالفاظ ، ولعله يعكس محاولة امريكية لعدم الزام امريكا بالتورط فى حل قضية اليهود بما يؤدى الى تعارض مع الوجود البريطانى فى فلسطين ، خاصة ، وان الامريكيين كانوا يعلمون انذاك نية الحركة الصهيونية فى ضرورة فتح ابواب فلسطين وهو ما سوف نلمسه بالتفصيل فيما بعد . وعندما اشار برجسون فى شهادته امام لجنة الاستماع (٢) الى هذا التغيير الجوهرى ، سئل عن الفرق بين الكلمتين (وكالة وهيئة) فقال ان « وكالة » تعنى القيام بخطوات عملية تنفيذية وهو المطلوب ، اما « هيئة » فتعنى القيام بمزيد من الدراسة حول الشيء . كما قال انه عمل على ان توضع كلمة لجنة Committee بدلا من هيئة ، لكنه اخفق فى مسعاه .

اما مشروع القرار المقدم للكونجرس ولمجلس الشيوخ بتاسيس هيئة لانقاذ يهود أوربا باسم Commission to effectuate the rescue of the Jewish people of Europe فينص على ما يلى (٣) :

« لما كان الكونجرس الامريكى ومجلس الشيوخ قد عبرا عن ادانتهما فى ١٥ مارس ١٩٤٣ لما قامت به المانيا النازية من مذابح جماعية لليهود رجالا ونساء واطفالا ، واعتبار ما حدث جريمة كبرى ادت الى التخلص من نحو مليونين من البشر يمثلون حوالى ٣٠٪ من اجمالى يهود اوربا وهى عملية تزداد وطاة وتركيزا كلما شعرت المانيا بقرب هزيمتها ..

ولما كانت تقاليد العدالة والانسانية الامريكية تملى استخدام كل الوسائل الممكنة لانقاذ يهود اوربا الاحياء من هذا المصير ، وهم حوالى اربعة ملايين حرمها النازيون من الماوى ..

لهذا فان الكونجرس يطالب بتكوين هيئة يدعو الى انشائها رئيس الجمهورية تضم خبراء فى الشئون الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية لوضع خطة عاجلة لانقاذ يهود اوربا الاحياء من الابادة على يد المانيا النازية » .

وغنى عن البيان القول بان مشروع قرار الكونجرس هذا كان يهدف الى اجبار حكومة روزفلت على تجاهل الاجراءات القائمة بشان اللاجئين الدوليين بشكل عام وانشاء هيئة ادارية جديدة تستطيع تحقيق اجراءات عاجلة لانقاذ اليهود الذين نجحوا فى الهروب من البلاد الاوربية التى خضعت للقوات النازية .

ولما كان المشروع يهدف بشكل محدد الى ايواء اليهود وليس اللاجئين بشكل عام ، فان اوضاع فلسطين قد فرضت نفسها على جلسات الاستماع ـ كما سنرى ـ من حيث القيود التى فرضتها بريطانيا على الهجرة الى فلسطين . غير ان رئيس هـــــذه الجلسات (صول بلوم) اعلن اكثر من مرة انه ليس من اختصاص هذه الجلســـــات مناقشة مثل تلك الموضوعات ، كما اعلن ان الكونجرس لا يفكر فى ممارسة ضغوط على بريطانيا فى هذا الخصوص اكتفاء بتنسيق التعاون مع انجلترا فى مواجهة الخطر الالمانى .

وقبل ان ننتقل الى ما دار فى جلسات الاستماع وما انتهت اليه ، تجب الاشارة الى انه لم يتم التصديق على مشروع القرار ابدا رغم حرص رئيس لجنـــــة الشئون الخارجية بالكونجرس (صـــول بلوم) على ان تقوم لجنته بعمل شىء ايجابى لاراحة اليهود من « الامهم » وخوفا من انتقاد العالم الخارجى فى الاذاعة والصحافة لهذه اللجنة اذا ما فشلت فى القيام بشىء .

• • •

وبينما لجنة الشئون الخارجيـــــة بالكونجرس تعقد جلساتها لمناقشة مشروع القرار المقدم بشأن العمل على انقاذ يهود اوربا ، وقع أمران دفعا برئيس اللجنة الى عقد جلســـــات استماع hearings للتعرف على مختلف الجوانب والاستماع الى مختلف الاراء ووجهات النظر من كل الاطراف المعنية دفاعا عن « نزاهــــة » الكونجرس . وكان الأمر الاول يتلخص فى البرقية المطولة التى ارسلتها اللجنة العاجلة بتــــاريخ ١٣ نـوفمبر ١٩٤٣ لمختلف الشخصيات الامريكية والتى اشير فيها الى مشروع القرار المقدم للكونجرس بشأن تشكيل هيئة الانقـــاذ ، وكيف ان المطلوب هو « تحريك الراى العـــام فى الولايات المتحدة لتمرير مشروع القرار بالقوة ومساعدة مكاتب اللجنة العاجلة فى واشنطون ولندن وفلسطين وتركيا لمواصلة العمل على نطاق واسع » .. كما اشــارت البرقية إلى ان اللجنة العاجلة تترقب الاسهامات المالية ممن تصله البرقية (٤) .

على ان الذى اثار رئيس لجنة الشئون الخارجية حقيقة ما ورد فى البرقية بشأن استخدام الاموال لتمرير مشروع القرار بالقوة بالضغط على الكونجرس للتصرف ، وزاد من حساسية الموقف ان رئيس اللجنة صول بلوم يهودى العقيدة وان كان قد اعلن اكثر من مرة انه مواطن امريكى فى المحل الاول ، وانه لا يسمح باستخدام العقيدة سلاحا للتشهير بنزاهته فى مثــل تلك الامور .

اما الامر الثانى الذى جعل جلســـــات الاستماع امرا اكثر الحاحا ، ما ورد فى البرنامج الاذاعى Confidentially Yours بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٤٣ ، حيث اشـــار مقدم البرنامج ارثر هيـــل A. Hale الى الخلاف بين المنظمات والمجموعـــات اليهودية حول ما يجب عمله لانقاذ يهود اوربا ، وان جلسات الاستماع المقرر عقدها يوم الجمعة ١٩ نوفمبر ، تعقد فى وقت غير مناسب قبل اعداد الشهود اللازمين ، وفى غيبة ويل روجرز فى كاليفورنيا وهو احد مقدمى المشروع للكونجرس الذى عليه كما قال مقدم البرنامج الاذاعى ان يسرع فى العودة الى واشنطون لقيادة المناقشات حول المشروع . كما اشار البرنامج ـ وهذا ما اثار صول بلوم ـ الى ان عددا كبيرا من المجموعات اليهودية تشارك صول بلوم الراى فى معارضة اى اجراء تتخذه الحكومة الامريكية للمساعدة على انقـــاذ اليهود (٥) .

والحق ان صول بلوم كان قد دعا بالفعل لجلسات الاستماع فى اليوم التالى لتقديم مشروع القرار للكونجرس (١٠ نوفمبر) . غير ان ويل روجرز احد مقدمى المشروع طلب ارجاء الجلسات مؤقتا . فلما وضح امر البرقية ، اتصل صول بلوم بروجــــرز (الثلاثاء ١٦ نوفمبر) واخبره بانه سوف يعقد جلسات الاســـــتماع يوم الخميس (١٨ نوفمبر) ، ثم تاجل الانعقاد الى يوم الجمعة (١٩ نوفمبر) بسبب تواجد وزير الخارجية الامريكى كورديل هال فى جلسة دعا اليها الكونجرس يوم الخميس .

• • •

على كل حال .. ففى ١٩ نوفمبر ١٩٤٣ (يوم الجمعة) بدأت لجنة الشــــئون الخارجية بالكونجرس فى عقد جلســـــات الاستماع . وكانت اللجنة برئاسة صول بلوم من الحزب الـــديموقراطي (نائب نيويورك) ، وتضم بالاضافة اليه اربعـــة عشر عضوا من الحزب الديموقراطي ، واحد عشر عضــــوا من الحـــــزب الجمهورى (٦) .

اما الجلسات التى عقدتها فقـــد بلغت خمس جلسات خلال المدة من ١٩ نوفمبر الى ٢ ديسمبر ١٩٤٣ استمعت خلالها الى شهادات وبيانات اربعة عشر شــــخصا يمثلون مصالح مختلفة على النحو التالى :

ـ جلسة الجمعة ١٩ نوفمبر ١٩٤٣ حيث استمعت فيها الى كل من : دين الفانج احد رؤساء اللجنة العاجلة لانقاذ يهود اوربا ، وويليام زيف W. Ziff ويعمل ناشرا وكاتبا ويقيم فى بورت توباكو بولاية مريلاند بواشنطون ، وبيتر برجسون احد رؤساء اللجنة العاجلة ، وجوزيف كلارك بولـــدوين نائب الكونجــــرس عن نيويورك واحد مقدمى مشروع القـــــرار ، وهربرت مور احد نواب رؤساء اللجنة العاجلة .

ـ جلسة الثلاثاء ٢٣ نوفمبر ١٩٤٣ وقد خصصت للاستماع الى بيتر برجســـون فقط للمرة الثانية .

ـ جلسة الاربعاء ٢٤ نوفمبر حيث استمعت إلى كل من : السيدة فرانسيز جونثر زوجة المعلق الصحفى جون جونثر وامينة صندوق اللجنـــــــة العـــاجلة ، وفيوريللو لاجوارديــــا Fiorello La Guardia عمدة نيويورك .

ـ جلسة الجمعة ٢٦ نوفمبر ١٩٤٣ وقد خصصت للاستماع الى بريكنريدج لونج مساعد وزير الخارجية الامريكى .

ـ جلسة الخميس ٢ ديسمبر ١٩٤٣ حيث استمعت الى كل من : ويل روجرز نائب كاليفورنيا واحد مقدمى مشروع القرار وارثر هيل الاذاعى فى Mutual Broadcasting System, WOR Artists Bureau ومقـــدم برنـــــامج Confidentially Yours الذى ســـبقت الاشارة اليه ، ولويز هاينز عن فيدراليــة عمال امريكا ، والحاخام ستيفن وايز رئيس المؤتمر اليهودى الامريكى American Jewish Conference ، وادوين جونسون عضو مجلس الشيوخ عن ولاية كولورادو ، وكيرمت ايبى Ebby عن مجلس المنظمات الصناعيــــة ، وبيتر برجسون للمرة الثالثة .

• • •

كان دين الفانج أول المتحدثين امام لجنة الاستماع حيث القى بيانا مطولا (٧) وقد قال فى بيانه ان تاسيس «هيئة الانقاذ» بمعرفة الحكومة الامريكية جاء متاخرا جدا وبعد ان نجح هتلر فى ابادة ما يقرب من مليون يهودى .. وان اخفاق امريكا فى معالجة هذه الازمة يعد تخليا عن سياستها الإنسانية التى اتسمت بها منذ زمن طويل . ثم اخذ يقارن بين خسائر اليهود وخسائر سائر الشعوب الاوربية التى اضيرت من الحرب ووصل الى نتيجة تقول ان خسائر بريطانيا وتشيكوسلوفاكيا وبولندة وروسيا قل من ـ من خسائر اليهود الذين فقدوا ما يقرب من ٣٠٪ من اجمالى عددهم فى اوربا او ما يساوى ١٥ مليون من البريطانيين ، و ٦٠ مليونا من الروس ، و ٤٠ مليونا من الامريكيين .

ثم اشار الفانج الى ان البيانات التى صدرت عن الحلفاء سواء فى موسكو او فى اوتاوا او فى اى مكان اخر ،تجاهلت ذكر اليهود بالاسم وما يعانونه من اضطهاد ، وان اشارت اجمالا الى ضحايا هتلر من الاوربيين بشكل عام ، فى الوقت الذى لم ينس فيه هتلر ابدا ان يهاجم اليهود فى اى خطبة أو بيان له .

ثم اشار الى الجهود التى تبذلها اللجنة العاجلة التى يمثلها ، والى انها وضعت خطة محددة لانقاذ البقية الباقية من اليهود وعددهم اربعة ملايين . وبعد ان اشار الى مشروع القرار (رقم ٣٥٠ ، ٣٥٢) المقدم للكونجرس ، وان الخطوة الاولى التى يجب ان تتخذها الولايات المتحدة فى سبيل انقاذ اليهود هى التصديق على مشروع القرار واعطاؤه الصفة القانونية اللازمة ، قال ان الخطوات التى يمكن ان تتخذها اى وكالة او هيئة حكومية فى هذا الخصوص تتكون من شقين اساسيين :

الشق الاول ويتلخص فى اجبار المانيا النازية على ايقاف القتل الجماعى الــذى تمارسه .

والشق الثانى يتلخص فى نقل اليهود من البلاد الخاضعة للنازية الى اقاليم خارج نطاق سيطرتهم .

وفيما يتعلق بالشق الاول قال الفانج انه يجب على دول الحلفاء اصدار بيان محدد يتعلق بالتعذيب الوحشى الذى اقترف ضد اليهود ، وتحذير كل من رومانيا وبلغاريا والمجر وحكومة فيشى الفرنسية من تعريض انفسهم للعقاب اذا ما ارغموا مواطنيهم اليهود على الخروج ليقعوا فى قبضــة النازى .

واما بخصوص الشق الثانى فقد قال الفانج ان على كل البلاد الاوربية والاراضى التى تتبع دول الحلفاء ايواء اى يهودى يتمكن من الهروب من « مصيدة مــوت النازية » ، وان على الدول المحايدة ان تفتح ابوابها امام اليهود ، وان تقيم فيها معسكرات خاصة لاقامة كل اليهود الذين يهربون من المانيا . وهذه الدول كما حددها الفانج هى : تركيا والسويد وسويسرا والبرتغال واسبانيا ومراكش والجزائر وليبيا . وعندما يتم هذا تصبح مشــكلة هؤلاء اليهود جزءا من مشكلة اللاجئين الدوليين التى تدخل فى اختصاص اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين . ومن هذه المعسكرات الخاصة وبمساعدة اللجنة الدولية يمكن نقل اليهود الى مختلف الاراضى المحايدة واراضى الحلفاء ليعيشوا فيها وبصفة خاصة فلسطين التى يمكن ان تستوعب ستمائة الف يهودى .

على ان الفانج بنية سامغية بان هناك فرقا جوهريا بين مشكلة اليهود ومشكلة اللاجئين الدوليين ، لان اللاجئين يتم انقاذهم ـ كما يقول ـ بتوفير الطعام والدواء لهم اما اليهود فانقاذهم لا يتم الا بنقلهم الى معسكرات ايواء خاصة . وهو يذكر فى ثنايا كلامه انه ليس مهما الآن ما إذا كان البعض يعتبر اليهود امة nation او جنسا race او اصحاب عقيدة دينية معينة . فمثل هذه التوصيــفات لا تتصل بموضوع انقاذهم خاصة وان هتلر ـ فى رأيه ـ يبيد اليهود لانهم مجرد يهود .

وبعد ان انتهى دين الفانج من القاء بيانه بدات المناقشـــــة معه بســؤال من شارلز ايتون (جمهورى) مركزا على كيفية تخليص يهود اوربا من قبضة الالمــان واخراجهم عبر الحدود الى المناطق التى قد تقترح ويتفق عليها ، وما هى الاطراف الدولية الاخرى التى يمكن ان تشارك فى هذا المشروع . فاشار الفانج الى المبادرة التى قامت بها السويد عندمـــــا اعلنت استضافتها لليهود المضطهدين ، وما نتج عن ذلك من دخول ستة الاف يهودى اليها من الدنمرك عبر الممرات المائية . ثم اشار الى امكانية استخدام تركيا كمعبر برى ليهود بلغاريا ورومانيا ثم نقلهم على سفن تركية الى الملجا الذى ينتظرهم وهو فلسطين ، لأن فلسطين هى « الوطن الطبيعى » اليهـــود homeland ففيها ستمائة الف يهودى ويمكن ان تستوعب ستمائة الف اخرى (٨) ، وان الكونجرس الامريكى اذا وافق على مثل هذا الاجراء سوف يضغط الراى العام على انجلترا ويرغمها على تعديل سياستها بالنسبة لهجرة اليهود الى فلسطين .

ولما ساله ايتون عما اذا كان اقتراح فلسطين كملجا لليهود يثير عصبية العرب الدينية وحميتهم السياسية ، قال الفانج انه لا يعنيه ذلك ، وان مسالة اليهود لها اسبقية على موضوع السياسة . فما كان من ايتون الا ان قال له ان الوضع السياسى فى فلسطين متفجر وكانه حربة مشهرة ، وعلينا مواجهة حقائق الموقف .

ويبدو ان ايتون قد اثارته حماســـــة الفانج وتعاطفه المتشدد مع اليهود فساله عما اذا كان منتميا للعقيدة اليهودية ، فقال الفانج انه ارثوذكسى يتبع الكنيســـــة اليونانية . وهنا طلب منه ايتون ان يقول رايه فيما اذا كان اليهود يمثلون امة ام عقيدة دينية ام جنسا . وحاول الفانج ان يتهرب من الاجابة على اساس ان السؤال خارج عن موضوع الحوار ، الا انه صرح اخيرا بان اليهود تاريخيا يعتبرون امــة لعبت دورا فى صياغة تفكير وثقافة نصف العالم خلال فترة معينة من الزمان ، وليس هناك من مبرر لأن لا نعتبرهم امة الآن اذا ما اعترفنا بان فلسطين هى وطنهم الطبيعى .

ثم انتقلت المناقشة الى كيفية القيام بانقاذ اليهود ، والى الاهمية التى يعلقها الفانج على اعتماد الحكومة الامريكية لمشروع القرار المقدم للكونجرس بتاسيس هيئة الانقاذ ، فقال الفانج ان تبنى مشروع القرار فى حد ذاته والاعلان عن ذلك للعالم سيكون له قيمة سيكولوجية هائلة تجعل هتلر واعوانه يدركون اعتناء الولايات المتحدة بمصير هؤلاء الناس .

وهنا تدخل لوثر جونسون (ديموقراطى) مشيرا الى ان البيانات المتشددة والخطب الحماسية لا تؤدى الى اى اثر سيكولوجى كما يتصور الفانج ، بل على العكس قد تزيد من التمادى . واعطى مثالا لذلك بالبيان الذى صـــــدر عن مؤتمر وزراء الخارجية بموسكو (نوفمبر ١٩٤٣) بادانة الجرائم النازية دون جدوى (٩) ، وقــرار مجلس الشيوخ فى ٩ نوفمبر ١٩٤٣ بهذا الخصوص ايضا (١٠) .

مشـروع الكونجرس لإنقاذ يهـود أوربـا !

وازاء هذه الحجج والبراهين اضطر الفانج الى التراجع قائلا ان ما يقصده بكلامه يتلخص فى عدم اتخاذ اية خطوة عملية لتطبيق النوايا الطيبة . فقد « عبرنا عن تعاطفنا وعن اسفنا بشكل دقيق جدا ، ولكننا لم نقدم على شىء لترجمة شعورنا الى واقع عملى » . وان ما يعنيه بترجمة الشعور الى الواقع العملى هو التصديق على مشروع القرار الخاص بتاسيس هيئة الانقاذ . وهنا ابتدره ايتون متسائلا عن « الخطوة الاولى العملية التى يجب القيام بها فى حالة تشكيل هذه الهيئة وبصفة خاصة مصادر تمويلها والواجبات التى سوف تناط بها » .

وهنا تدخل رئيس الجلسة (صول بلوم ديموقراطى) قائلا ان الكونجرس قد خصص لمشكلة اللاجئين ٨٥ مليون دولار ، انفق منها حتى الآن ٦٠ مليونا ، وما يزال الباقى (٢٥ مليونا) مودعا فى خزانة الدولة لاستخدامه فى هذا الغرض او اى غرض اخر اذا ما رأى رئيس الجمهورية او اية ادارة حكومية اخرى ضرورة لذلك (١١) .

غير ان هيرمان ايبرهرتر (ديموقراطى) هب قائلا ان هذا المبلغ مخصص ـ طبقا لشروط انفاقه ـ لمساعدة رئيس الجمهورية لشراء المواد التموينية والطبية للولايات المتحدة فقط . وهنا اوضح رئيس الجلسة المسالة بقوله ان هذا يتعلق بشراء تلك الحاجيات من داخل البلاد ، اما توزيعها فيمكن ان يتم فى الخارج . واعلن على مسئوليته انه « يمكن استخدام اى مبلغ من هذه المخصصات لاى غرض يتعلق باعانة هؤلاء اليهود لاخراجهم من بلادهم والانفاق على حمايتهم » فى البلاد التى قد ينقلون اليها من حيث توفير الطعام والدواء وذلك بمعرفة اية ادارة رسمية . ثم اضاف محددا ان هذا « قد يعنى عدم تحمل نفقات اية وكالات او منظمات او لجان اخرى كتلك التى يمثلها الفانج مثلا » .

والتقط الفانج الفرصة ليقول ان الحكومة الامريكية يمكنها « اعارة » هيئة الانقاذ المعنية الاموال اللازمة ثم تقوم الحكومة باستردادها من الالمان الذين « سرقوا من اليهود ثلاثة بلايين دولار » ، وهذا يعنى فى النهاية ان اليهود هم الذين سوف يتحملون النفقات فى نهاية الامر .

ولم يعلق احد على ما قاله الفانج فى موضوع التمويل هذا حيث عاد ايتون بالمناقشة الى كيفية اخراج اى مشروع لحيز التنفيذ بصرف النظر عن موضوع التمويل وضرورة اقتناع الكونجرس والشعب الامريكى بقابليته للتنفيذ . واشترك معه فى نفس الملاحظة جيمس ريتشاردز (ديموقراطى) ، واديث نورز روجرز (جمهورية) التى سبق ان قدمت مع روبرت واجنر مشروع قانون الطفل اللاجىء ١٩٣٩ كما سبقت الاشارة . فكرر الفانج ما سبق ان ذكره فى بيانه من ضرورة اقامة معسكرات ايواء خاصة فى البرتغال واسبانيا وشمال افريقية لاستقبال اليهود حيث تقوم اللجنة الدولية المشتركة بترحيلهم الى البلاد المختلفة .

وعند هذه النقطة تدخل رئيس الجلسة ليوضح دور اللجنة الدولية المشتركة وكيف **انها كانت متوقفة منذ عام ١٩٣٨ الى سبتمبر ١٩٤٢ بعد انعقاد مؤتمر برمودا حين اشتركت الارجنتين وفرنسا فى مجلسها التنفيذي « لأسباب معينة » .. وقال إن المشكلة التى تواجه هذه اللجنة هي كيفية تدبير الفي دولار قيمة تكاليف استقدام اي مهاجر الى اي دولة اخرى تشمل اطعامه وإيوائه والايفاء بكل ضرورياته ثم اعادته لبلده الأصلي فيما بعد . وهذا يعني الحاجة الى مائتي مليون دولار لاستقدام مائة الف مهاجر .**

ومن خلال المناقشة نعرف ان اللجنة الدولية المشتركة تقوم بعملها فى سرية تامة بواسطة مندوبيها فى مختلف البلاد حتى لا يعرف النازيون بخططها فيفسدون عملها مثلما حدث فى رومانيا حيث اعتقل مندوب اللجنة هناك واودع السجن بعدما اتم الاتفاق على تاجير سفن تاخذ خمسة الاف طفل يهودي من رومانيا وبلغاريا يصحبهم خمسمائة شخص بالغ الى معسكرات التجميع فى شمال افريقيا وراء خطوط العمليات الحربية .

ورغم ان الفانج ابدى اعجابه بما تقوم به هذه اللجنة من اعمال إلا انه كان حريصا فى كل مرة يتكلم فيها على ضرورة التمييز بين مشكلة اللاجئين الدوليين بشكل عام ومشكلة اليهود المضطهدين بشكل خاص . كما انه رفض بيانات المسئولين الامريكيين التى تدور حول ان الطريقة الوحيدة لانقاذ اليهود تتمثل فى القضاء على هتلر واقتلاع جذور النازية من اوربا ، وما يقال من ان اشتراك القوات الامريكية فى الحرب العالمية الدائرة هي الطريق الحقيقي لانقاذ يهود أوربا . وعاد ليذكر المجتمعين بان مشروع القرار المعروض للمناقشة والخاص بتاسيس هيئة الانقاذ هو الحل الحاضر للمشكلة .

د. عاصم الدسوقي

الجزء الثالث في العدد القادم

الهوامش :

(١) جلسة ٢٣ نوفمبر ١٩٤٣ من شهادة برجسون
(٢) جلسة ٢٣ نوفمبر ١٩٤٣ .

(٣) سوف نشير الى هذه الهيئة فيما بعد باسم « هيئة الانقاذ » على سبيل الاختصار .

(٤) نص البرقية كما اثبت فى جلسة ١٩ نوفمبر ١٩٤٣ :

« ان حملة انقاذ الشعب اليهودى فى اوربا من التشريد التام فى سباق مع الزمن ، اذ ابرق الينا مندوبونا فى انجلترا وفى فلسطين وفى تركيا بالاحتمالات الممكنة لعملية الانقاذ .. وانهم يحتاجون الاموال اللازمة لعملهم فى تلك البلاد ، وان مجهوداتنا ونشاطاتنا المبهرة فى الولايات المتحدة تستنفد الاموال المتاحة . وكانت جهود الاسابيع القليلة الماضية متعلقة بحركة الالتماسات العامة للوجهة الى السويد والدنمرك . وفى خلال الاسبوع الاخير اعربت ستة الاف كنيسة مسيحية عن تعاطفها مع المشكلة ، وحدثت احتجاجات ضد تجاهل بيان موسكو للكارثة اليهودية ، وهو البيان الصادر بشان العمليات الوحشية . وقد تكللت هذه المواقف

فس بتقديم مشروع قرار فى الجلسة المشتركة بين السناتو والكونجرس لتكوين هيئة حكومية فورا بشان مشكلة انقاذ يهود اوربا . والمطلوب تحريك الراى العام فى الولايات المتحدة لتمرير مشروع القرار بالقوة ومساعدة مكاتبنا فى واشنطون ولندن وفلسطين وتركيا لمواصلة العمل على نطاق واسع . ويجب الاسراع فى جهودنا . ونحن نلتمس منكم تجديد العون والتاييد ، فكل يوم يمر يزيد فى موت الالاف . ونحن نعتمد على كريم اسهامكم . ترجو رسال الشيكات باسم : مسز جون جونثر امينة الصندوق ، ودين الفانج ، ومدموازيل سيجريد لوندست من الرؤساء على عنوان اللجنة العاجلة ١ شرق شارع ٤٤ ، نيويورك » .

وفى اولى جلسات الاستماع (١٩ نوفمبر ١٩٤٣) واجه صول بلوم رئيس الجلسة دين الفانج (احد رؤساء اللجنة العاجلة) بامر البرقية ومجافاتها للواقع ، وبانها تظهر لجنة الشئون الخارجيــة بالكونجرس بانها تتقاضى اموالا لتمرير مشروع القرار مما يسيء الى سمعة ونزهة الكونجرس . وقد اعتذر الفانج مسرعا ومعترفا بان صياغة البرقية غير مناسب ، وان كان قد تعلل بانها امليت عليه بالتليفون وكان منشغلا بالحديث مع البعض فلم يستطع تمييز العبارات المملاة بدقة ووافق على ابراقها . واضاف قائلا انه لو ادرك حقيقة تلك العبارة ما كان قد وافق على ابراقها . هذا الى ان برجسون قال فى شهادته امام اللجنة (٢٣/١١/١٩٤٣) ان هذه البرقية قد ارسلت قبل ان تظهر فى الافق فكرة عقد جلسات الاستماع . كما قال ايضا ان هذا المشروع ليس بحاجة الى مثل هذه الجلسات » والمطلوب ان يعرض على التصويت بنعم او بلا دون مناقشة لوضوحه .

(٥) نص البرنامج الاذاعى كما اثبت فى جلسة ٢٣ نوفمبر ١٩٤٣ والذى بثته اذاعة :
Transradio News Features, Inc.,

« ان الاختلاف بين المنظمات والمجموعات اليهودية حول ما يجب عمله لانقاذ اليهود الذين ما يزالون على قيد الحياة فى اوربا قد وصل الى مرحلة الانشقاق العلنى . ويتضح ذلك من المناورة المفاجئة التى قام بها صول بلوم رئيس لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس حين دعا اللجنة لعقد جلسات استماع عامة تبدا يوم الجمعة فيما يتعلق بمشروع القرار الذى قدم مؤخرا الى الكونجرس والسناتو ، والذى يهدف الى مطالبة الرئيس روزفلت بانشاء هيئة مشتركة لبحث مشكلة يهود اوربا اللاجئين . ولقد قدم مشروع القرار هذا الى الكونجرس بواسطة ويل روجرز نائب كاليفورنيا وجوزيف كلارك بولدوين نائب نيويورك . وفى مجلس الشيوخ تقدم به السيناتور جيليت نائب ولاية ايوا . وكان فى حسبان مقدما المشروع اعطاء فرصة من الوقت لاعداد الشهود والخبراء الذين سوف يستقدمونهم للادلاء بشهادتهــم حــول مشروع القــرار عندمــا تعقــد الجلسات . غير ان صول بلوم فرض حلا معينــا بتحديد يوم الجمعة لبداية جلسات الاستماع بينما ويل روجرز مايزال مرتبطا ببعض الامــــور الهامـــة فى كاليفورنيـــا . وهذا يعنى ان عليه ان يترك جانبا هذه الامور ليلحق باول طائرة الى واشنطن ليصل فى وقت مناسب ليقود المناقشات التى تدور وصولا الى اجراء فورى وفى صالح انقاذ اليهود الباقين فى اوربا والمقرر ذبحهم قبل ان يفوت الاوان . ويقال ان عددا كبيرا من المجموعات اليهودية تشارك صول بلوم الراى فى معارضة اى اجراء تتخذه الحكومة الامريكية للمساعدة فى انقاذ مواطنيهم . ومع ذلك فلم يجرؤ اى متحدث باسم هذه المجموعات ان يعلن على الملا اسباب معارضة سياسة الانقاذ . ومن المحتمل ان تكشف جلسات الاستماع التى ينظمها الكونجرس الان (لجنة الشئون الخارجية) عن السبب الحقيقى لهذه المعارضة » .

وعند المناقشة مع ارثر هيل فى جلسة ٢/١٢/١٩٤٣ حاول المناقشون عبثا معرفة الشخص المسئول عن مادة هذا البرنامج .. وكل الذى قيل ان عددا من الخبراء الذين يشتغلون فى المحطة الاذاعية قاموا بذلك . ولكن من خلال المواجهة تبت ان كثيرا من الحقائق التى وردت فى هذا البرنامج كانت مغلوطة حيث اتضح ان روجرز لم يكن فى كاليفورنيا ، وانه لم يكن مرتبطا باعمال هامة غير اعماله الخاصة ، وانه لم يكن مرغما على ركوب اول طائرة للعودة الى واشنطون فى الوقت المناسب ، وانه كان على علم بكل الخطوات التى اتخذت بشان عقد جلسات الاستماع يوم الجمعة ١٩ نوفمبر ، وانه كان على صلة بذلك الترتيب طوال الوقت . ولعل هذا يوضح ان يدا خفية صهيونية كانت تمسك بخيوط الاحداث وصولا لدفع الكونجرس الى الموافقة على المشروع .

(٦) اعضاء لجنة الشئون الخارجية لدور الانعقاد رقم ٧٨ لعام ١٩٤٣/١٩٤٤ كما يلى :

الديمقراطيون : صول بلوم (نيويورك) رئيسا ، ولوثر جونسون (تكساس) ، وجون كى (فرجينيا الغربية) ، وجيمس ريتشاردز (كارولينا الجنوبية) وجوزيف بفيفر Pfeifer (نيويورك) ، بيت جارمان Jarman (الاباما) ، ويـــورجين (كارولينا الشمالية) ، وبرت كورتس (تينيسى) ، وهرمان ابيرهيرتر (بنسليفانيا) ، وتوماس جوردون (الينوى) ، وهوارد مكموراى (ويسكونسن) ، وويل روجرز (كاليفورنيا) ، ووليـــام فولبرايت (اركانساس) ، وما يك ما نسفيلد (مونتانا) ، وجيمس رايت (بنسليفانيا) .

الجمهوريون : تشارلز ايتون (نيوجيرسى) ، اديث نورز روجرز (ماسا تشوستس) ، روبرت شبيرفيلد (الينوى) ، وجون فوريز (اوهايو) ، وفوستر ستيرنز Stearns (نيوها مبشير) ، وكارل موندت (داكوتا الجنوبية) ، وتشارلز جرلاك (بنسليفانيا) ، واندرو سخيفلـــر Schiffler (فرجينيا الغربية) . وكاتب الجلسة بويد كراوفورد ولقد تغير اسم هذه اللجنة فيما بعد الى لجنة العلاقات الدولية .

(٧) انظر نص البيان بالملحق رقم (١)
وقد قال الفانج اثناء الحوار معه انه يعمل فى اللجنة العاجلة بصفة شرفية ، ومتطوعا ولا يتقاضى اجرا مثلما كان يعمل مديرا لمنظمة اغاثة المتضررين من الحرب فى اليونان Greek War Relief وعدد من المؤسسات الخيرية الاخرى . وقد احتج هربرت مور على عقد هذه الجلسات دون حضور ويل روجرز احد مقدمى المشروع . ولكن قيل له ان روح اللجنة العاجلة التى يمثلها دين الفانج هى التى وراء مشروع القرار المقدم وبالتالى فليس هناك افضل من دين الفانج لتوضيح مرامى ومقاصد المشروع .

(٨) تقول التقديرات الرسمية البريطانية استنادا الى احصاء عام ١٩٣١ ان يهود فلسطين يبلغون ٥٠٢٩١٢ نسمة فى نهاية ١٩٤٣ . بينما تقدر الوكالة اليهودية العدد فى نفس التاريخ بـ ٥٣٧٠٠٠ نسمة وفيما يتعلق بعدد سكان فلسطين تحت الانتداب انظر : A Survey of Palestine الذى اعد فى ديسمبر ١٩٤٥ ويناير ١٩٤٦ لمعلومية لجنة التحقيق الامريكية الانجليزية ، المجلد الاول ص ١٤٠ ـ ١٦٤ .

(٩) جاء فى هذا البيان ان المؤتمر « كان فرصة لتوجيه اعلان مقدس علم من رؤساء الحكومات الثلاث (امريكا وبريطانيا وروسيا) فيما يتعلق بالجرائم التى لم يسبق لها مثيل فى الوحشية والتى ارتكبها زعماء النازية ضد سكان الاقاليم المختلفة ، وضد الناس من كل العناصر والاديان وخاصة اليهود الذين اختصهم هتلر بابشع انواع العذاب .. ولسوف يقع العقاب المستحق على مرتكبى هذه الجرائم » . فقرة من بيان وزير الخارجية الامريكى (كورديل هال) امام الكونجرس ـ وكان قد عاد لتوه من مؤتمر موسكو ـ ، دور انعقاد رقم ٧٨ ، الجلسة الاولى ١٨ نوفمبر ١٩٤٣ ، ص ٩٦٧٨ ـ ٩٦٧٩ .

(١٠) جاء فى هذا القرار ما يلى : « لما كان الشعب الامريكى ينظر بعين السخط الى التعذيب الوحشى الذى انقض على الاهالى المدنيين فى البلاد التى تحتلها القوات النازية وخاصة القتل الجماعى رجالا ونساء واطفالا .. ولما كانت تلك السياسة النازية قد اوجدت حكما من الرعب والقسوة فى بولندة وفى بلاد اخرى فى وسط وشرق اوربا .. لهذا فقد قرر مجلس الشيوخ ان هذه القسوة وانتهاك الحرمات الذى يرتكب ضد ملايين الضعفاء رجالا ونساء واطفالا يجب ادانته . بل لقد اديئت تلك الاعمال باعتبارها شيئا حقيرا ترتكبه اى امة او دولة تدعى انها متحضرة . واكثر من هذا فان مبادىء الشرف والانسانية التى قامت من اجلها الحرب تتطلب ايقاف هذه المذابح وسوء المعاملة التى لا مبرر لها ، وانه من مبادىء هذا المجلس العمل على محاسبة هؤلاء المذنبين على ارتكاب تلك الجرائم سواء بطريق مباشر او غير مباشر ، ومعاقبتهم بشكل معادل لما ارتكبوه » .

(١١) وفى هذه اللحظة تلى مستر كراوفـــورد (كاتب الجلسة) تقريرا ماليا جاء فيه : « ان الرصيد غير المنصرف والمخصص لاعانة اللاجئين الذين تشردوا من ديارهم بسبب العدوان او بسبب الغزو وقدره خمسون مليون دولار ادرج فى القسم رقم (٤٠) من قانون الاعانة المالية الطارئة لســـنة ١٩٤١
Emergency Relief Appropriation Act
واما مبلغ الخمسة والثلاثين مليون دولار المخصصة لاعانة الحرب فى الخارج فقد ادرج فى قانون الملحق الثالث لتمويل الدفاع القومى لسنة ١٩٤٢ Third Supplement National Defence Appropriation Act وقد تم دمجها معا فى ميزانية واحدة تسرى بدءا من ١٧ ديسمبر ١٩٤١ وهو المبلغ الذى سيكون فى المتناول حتى ٣٠ يونيه ١٩٤٣ للصرف منه على كل المشروعات والاغراض الخاصة ببنود الميزانية الموحدة . واما الأموال المخصصة « لاعانة الحرب فى الخارج » فقد ادرجت فى القانون الثانى للعجز المالى لسنة ١٩٤٢
Second Deficiency Appropriation Act
وما تزال سارية المفعول حتى ٣٠ يونيه ١٩٤٤ » .



جمال قطب


بول جوجان

الفنان الهائم
بين جمال الفطرة وبراكين الطبيعة

في اواخر عام ١٨٩٤ طلب جوجان من صديقه الشاعر الشهير اوجست ستريندبرج ان يكتب له مقدمة (كتالوج) معرضه الذي كان منهمكاً في الاعداد له في قاعة (دريو) بباريس ، ولكن الشاعر ـ كمعظم مفكري عصره انذاك ـ اجهد نفسه عبثا في محاولة لفهم الفنان او تذوق فنه .. واخيرا كتب هذه القطعة التي تعتبر اغرب ما كتب في سجلات المعارض :

« لقد اردت مني ان اكتب مقدمة كتالوج معرضك .. وكم وددت ان اقدم لك هذا التذكار ، ولكني اصارحك بانني لا استطيع او قل لا اريد ! . فانا لا افهم فنك ، وليس في مقدوري ان احبه ، وانا اعلم ان هذا الاعتراف لن يدهشك ولن يسيئك ، لانك ـ كما يبدو لي ـ تستمد من كراهية الناس قوة لنفسك ! . لقد حاولت جاداً ان اضعك في مكانك وابين مكانتك .. وحاولت جهد طاقتي ان افهم اسلوبك وفكرك وتطورك .. ولكن عبثا .. فلوحاتك وحشية ذات شمس محرقة واشجار غريبة وبحر يمكن ان ينفجر منه بركان ، كما ان سماءك القانية الملتهبة لا يمكن ان تسكنها الملائكة ! . اما فتياتك اللاتي ترسمهن .. ارى فيهن حواء التي تخالف الصورة المالوفة للجمال .. والسمات التي احبها في النساء ! . إنك جوجان الوحش الذي يكره المدنية ، ويؤثر سماءه الحمراء القانية على سمائنا الزرقاء الصافية .. إنك على وشك ان تبدا رحلتك الى جزر المحيط البعيدة .. عد إلينا ثانية ، فقد استطيع في المرة القادمة ان اكون اكثر فهما لك » .

وهكذا كان جوجان .. قصة طويلة مع الصراع والقلق والمعاناة .. مما جعله يميل الى البدائية هربا من قيود الحياة وقسوة متطلباتها .

ولد في باريس عام ١٨٤٨ .. وفي طفولته .. اضطر ابوه الصحفي الى الهجرة مع عائلته الى بيرو .. ومات الاب في تلك الأراضي النائية .. والتحق الابن بالبحرية وعاش مشرداً في رحلات الى افاق بعيدة .. واشتد حنينه الى الاستقرار .. فعمل في بنوك باريس .. ولكن حبه الشديد للرسم ساقه الى مجالس اهل الفن وندواته وبهرته كلمات (بيسارو) ودعوته الى التحرر وتذوق الجمال والاستمتاع بحياة التجوال والفكر والابداع ! ، فترك جوجان عمله في البنك .. وهجر زوجته الدانمركية واطفاله الاربعة .. وهام على وجهه في طرقات باريس يبحث عن شيء ضائع في داخله .. وظل يبحث عن هذا الشيء المفقود حتى مات بائساً يعاني من الفقر والمرض في جزر الدومينيك السحيقة ، وقضى نحبه في تلك الغربة الموحشة عام ١٩٠٣ .

حياته قلق وصراع دائم مع الحياة ، ومع فنه ، ومع التطلع للمجهول والهجرة الى الجزر السحيقة في متـــاهات المحيط اللانهائية .. وقضى معظم حياته القصيرة المثمرة في جزر تاهيتي وجزر الدومينيك .. حيث الدفء وجمال المراة الفطرية ولهيب الشمس يصبغ حواسه والوانه وعواطفه باحر المؤثرات والانفعالات النفسية الثائرة ولذلك تميزت اعماله والوانه بصراحتها وصرامتها ووحشيتها الصارخة في بعض الأحيان .

اما هذه اللوحة المنشورة في الصفحة المقابلة ، فقد رسمها جوجان عام ١٨٩٠ في باريس لفتـــاة تدعى (مـــاري ديريان) حيـــث كان الفنـــان متاثـــراً بفـــن (سيزان) انذاك ومحاولا ان يدور في فلكه حتى اننا نلحظ في خلفية اللوحة تقليداً للوحة سيزان الشهيرة التي تتكون من زهور وفواكه وغير ذلك .

إن فن جوجان فريد في نوعه ، ويعرف في تاريخ الفن باسم الوحشية او الحوشية .. وقد اسماه الفنان نفسه : تجريد مستمد من الطبيعة .

وعلى اية حال ، فان نقاء الوان جوجـــان وحلاوة الفطرة في رؤياه وتبسيطه للشكل واللون .. كل هذا ، قد ساهم في اقامة مايعرف في الفن باسم (التجميع البنائي) الذى كان مـــن اهـــم رواده : ســـيزان وفان جوخ .. ثم قاد مسيرة الابداع بعد ذلك الى التكعيبية .. وإلى افاق رحبة معاصرة كثيرة .

جمال قطب



«ماري ديريان» من روائع بول جوجان (عام ١٨٩٠)

اللوتس
زهرة الحب والأساطير

بقلم : سمير عطا



عرفت الحضارات القديمة فى الهند والصين واليونان زهرة اللوتس ... غير انها ارتبطت باسم مصـــر اكثر من غيرها من دول العالم القديم لـما كان لها من تاثير فى كثير من مجالات الحياة المصريـــة القديمة . وهناك انواع متعددة من زهرة اللوتس وإن كان أشهرها ثمانية انواع رئيسية عرفت جميعها منذ عهد الاغريق باسم Lotos واللاتيـــن باسم Lotus وعرفت مصـــر نوعين من هذه الزهرة .. هما زهرة اللوتس البيضاء وزهرة اللوتس الزرقاء .. أما زهرة اللوتس الحمراء فقد وصلت مصـــر من الهند عن طريق فارس .

اللوتس البيضاء

وقد عرف نبات اللوتس الأبيض فى مصـــر قبل عصر بناة الاهــرام .. وكان المصريون يسمونه « سشن » او « شن » او « سن » ومنها جاءت كلمة « سوسن » المعروفة فى اللغة العربية كما يعرف ايضا باسم بشنين الخنزير او عرائس النيل ..

وذكر فيكتور لوريه فى كتابه (النباتات الفرعونية) ان هذا النبات كان مستعملا عند المصريين القدماء كمرطب فضلا عن استعماله للزينة فى البيوت والحفلات .

كما ذكر ان المصريين كانوا ياكلون جذوره مشوية ومسلوقة . ويشير هيرودوت الى انهم كانوا يطحنون بذوره بعد جمعها وتجفيفها ويصنعون منها ـ على النار ـ خبزا وفطيرا ياكلونه كحلوى .. وجذور البشنين مستديرة الشكل بها قليل من الحلاوة مما يجعلها مستساغة للاكل .

وتتميز هذه الزهرة عموما بانها تنمو على جذع هش ضعيف قد يبلغ من ٤ الى ٨ أقدام طولا يمتد إلى اعلا فى الماء ثم يرتفع الى مسافة قصيرة جدا فوقه ، وتنتشر اوراقه على سطح الماء وقد تبلغ القدم عرضا .. وتتميز بانها مسننة . وللزهرة بتلات بيضاء سبلاتها خضراء وشكلها نصف دائرى تقريبا وتنتمى الى عائلة « نيمفيا » او الحورية المعروفة فى الأساطير الاغريقية القديمة التى تقول إن هرقل قد هجر حورية فالقت بنفسها من الحزن فى الماء فتحول جسدها الى زهرة اللوتـــس .

اللوتـــس الزرقـــاء

اما نبات اللوتس الازرق فقد عرفه المصريون القدماء باسم « ساربات » ويعرف الآن باسم البشنين العربي او قاتل النمل لانه يقتل النمل الذى يقترب منه فورا

ويبدو ان معظم الاكاليل التى كانت توضع فوق رؤوس السيدات كانت تصنع من هذه الزهرة .. ويرجع تفضيل المصريين لها على وجه العموم الى ما تتميز به عن الزهرة البيضاء من رائحة منعشة .

اللوتس الحمراء

وقد قدس المصريون القدماء هذا النبات وكانوا يسمونه « نخب » وعرفه العرب باسم الفول المصري او الباقلي القبطي .. وهو من اصل هندي كما اشرنا .. وزهرته تشبه زهرة اللوتس المصـــري وإن كانت تتميز باللون الاحمر وهي عطرية الرائحة .. وأوراقه درقية مستديرة يبلغ عرضها حوالي ٣٠ سنتيمترا وترتفع فوق سطح الماء الى ارتفاع قد يبلغ مترا فى بعض الاحيان .. قال عنها ثيوفراستوس قديما

زهرة اللوتس فى الهند .. ارتبط اسمها بالاساطير والكتابات القديمة .

على ضفاف نهر الاندوس يستخدمون زهرة اللوتس كطعام للسكان :



(٣٧٢ ـ ٢٨٧ ق.م) إن ورقتها تشبه قبعة تساليه (نسبة الى اقليم تساليا) وقد عثر على رأس طفل مصري من العصر الروماني فى الفيوم يضع فوق رأسه قبعة من ورق اللوتس الهندي ..

وينتشر هذا النبات فى البحيرات والمستنقعات فى الصين واليابان والهند الصينية والهند وشواطىء بحر الخرز .. ورغم أن هيردوت قد ذكر اللوتس الهندي ووجوده فى مصر منذ القدم ووجدت اثاره فى مقابر هوارة من العصرين الاغريقي والروماني ووجد على عصبة نفرتوم وصنع منه مهد حورس فى صباه (حورس بن بتاح وسخمت رمز الشمس المشرقة) . كما وجد على رؤوس اغلب العمد فى الهياكل والدور والتى كانت تقام على شكل اللوتس الاحمر ـ إلا ان اثر هذا الوجود لم يتزايد إلا منذ العصر الروماني المتاخر ثم بدا يتوقف عند بداية العهد المسيحي ..

ويندر وجوده فى مصر اليوم فيما عدا القليل منه فى حدائق الاسكندرية والقاهرة والاسماعيلية .

فى حياة الناس

لم يكن نبات اللوتس مجرد نبات يبهج المصريين القدماء بمنظره او يسرهم برائحته او يتخذون من جذوره غذاء لهم ، وإنما كان رمزا لعملية الخلق انعكس على حياتهم وافكارهم وبلغ من سمو مكانته لديهم أن شبهوا به الملك . فهم يقولون « إن الملك مثل نفرتم كزهرة اللوتس عند انف رع » .

وحين كانت المناقع تغمر ارض مصر ويخيم عليها السكون تخيل المصري القديم الماء الازلي فيها ، وقد نشا منه الكون وفى وسطه تخرج زهرة جميلة تستقبل الشمس فى الصباح حين تنفتح زهرة اللوتس ثم تنغلق على نفسها فى الغروب وتغوص ليلا تحت الماء . فاضفى ذلك عليها نوعا من الرمزية جعلها ترتبط بالشمس وحركتها وربطها المصري القديم بسيد الشمس نفرتم فهى تتخذ الماء عرشا لها وبذورها تمزق الغلاف الذى تنبت فيه . والزهرة تشبه الدائرة التى هي قوة العقل والذى هو بدوره مظهر للقوة ولأن حوريس ذا العقل حاكم السماء ولأن اللوتس رمزت الى الشمس فقد اصبحت تمثله ايضا بصفته حاكما للسماء التى فيها الشمس

وقد اعتقد القدماء ـ كذلك ـ أن الموتى المعمدين سوف يولدون ثانية من زهرة لوتس تلك التى تنتمي الى العالم الآخر .. لذلك كانت زهرة اللوتس من أهم ما يقدم قربانا فى المعابد والموتى فى قبورهم. وهكذا تحولت الرمزية الى عقيدة دينية



استخدم المصريـــون القدماء زهرة اللوتس كوحدة زخرفية فى تزيين الاعمدة !

كان لها اثر كبير فى حياة المصريين يبدو لنا فيما تركوه من اثار ونقوش تمثلهم وهم يقدمون القرابين من زهرة اللوتس (كما كانوا يقدمونها للاحياء تعبيراً عن مشاعرهم) ، ثم تنوعت النقوش فى الفن المصري القديم واستعلمت زهرة اللوتس باشكال مختلفة ولاغراض متعددة واصبحت من اشهر الأشكال فى الرسومات والزخرفةحتى لتكاد لا يخلو اثر مصـــري من اي شكل من اشكالها ، فاستعملت فى الافاريز كما استعلمت رأسية الوضع او فى اشكال حلزونية ، او بوضع منعكس كما استخدم شكل الزهرة الطبيعية ذات الأربع اوراق باعلاها التويج الابيض او الازرق تحيط بمجموعة من اعضاء التذكير والتانيث ، كما رسم مسقطها الجانبي او الافقي فى تكرارات متعددة ، اما برعم الزهرة فقد استخدم شكله فى تزيين رءوس العواميد وتيجانها حتى قال العالم «بتري» : إن العالم مدين فى زخارفه للمصريين الذين اوجدوا أول مدنية على الأرض .

اللوتس
زهرة الحب والأساطير

تفصيلية من كتاب الموتى لطبيب مع زوجته يبدو فيها واضحا زهور اللوتس رمز الحياة !.

رمزية اللوتس

هكذا كان المصريون اقدم من استخدم اللوتس للتعبير الفني على اساس من الرمزية التى انتشرت من مصر الى معظم الحضارات القديمة لاسيما الهندوسية والبوذية حيث تلاقت فكرة الخلق المصريـــة ورموزها عن الخصب مع مثيلاتها من رموز تدور حول الحياة لدى هذه الحضارات .. وبالتالي تعددت المعاني التى اصبحت ترمز لها اللوتس فى الحضارات المختلفة فاصبحت ترمز الى

- الأساس الانثوي للحياة او الرحم او القوة الخلاقة للانتاج .
- الخصب والاثمار والسعادة والرخاء والازدهار والحياة الطويلة والصحة والشهرة .
- فكرة الخلق أو القوة الخالقةوفعل التولد الكوني الذاتي وفكرة الام والعضو المنتج للحياة فى الانثى والنيل واهب الحياة .
- القداسة او الميلاد المتميز عن البشرية او التوالد الخالد .
- الخلود والبقاء وحفظ الحياة والميلاد الجديد وشروق الشمس وكاس الشمس والزهرة التى تفتح ارواح الموتى ومقام بوذا الذى يجد فيه راحته .
- النقاء والصفاء والطهارة وحفظ القانون والحكمة التى تؤدى الى النيرفانـــا روح المعرفة .

من كل هذه المعاني والافكار يمكننا إدراك الاستخدامات العديدة لزهرة اللوتس فى التقاليد والاساطير والفن حتى لقد اصبحت مثالا للراحة والصحة والجمال والسحر والحب والتفاؤل .

الزهـرة عند الهنود

وترتبط فكرة الخلق في اللوتس ارتباطا كبيرا عند الهنود بالناحية الجنسية باعتبارها اساسا للخلق ..

فالخلق بالنسبة للهنود (والذى يعتمد على فكرة ظهور العالم من المياه العالمية او من الفراغ الذى ينام عليه المارد فشنو) مبنى على أسس كونية وإن كانت زهرة اللوتس تقوم فى ذلك بدور الوسيط حيث انها رمز الجنس .. و « فشنو » الذى هـــو « سرة اللوتس » أو ان اللوتس هي « سرته » خرجت من جسده زهرة لوتس وحيدة عملاقة تلك التى جلس عليها براهما المولود من اللوتس .

وهذه اللوتس العملاقة ببتلاتها الالف الذهبية تنمو بسعة العالم كله .. ومن هذه البتلات تبرز الجبال وتنبع المياه .. بينما الشياطين والحيات تكمن تحت هذه البتلات .. وبتتابع الكالبا Kalpa (وهي اليوم الواحد بالنسبة لبراهما ويعادل ١٢ الف سنة سماوية) يولد براهما من جديد على زهرة اللوتس من « سرة فشنو » .

وفى الأساطير المرتبطة ببراجاباتى (فى البراهمانا) قيـــل انـــه راى ورقـــة لوتس فى مياه الفيضان العالمى فغطس تحت سطحها واحضر قطعة من الأرض ونشرها فوق الورقة او انه ـ ثانية ـ ظهر بنفسه فوق هذه الورقة .. وفى (البراهما) كذلك ـ ٨٠٠ ق.م ـ اشير الى اللوتس بانها الرحم وانها رمز « اليونى » عضو الانسال فى الأنثى « الأم العالمية » ـ أو اللوتس الكونية (رحم الخلق) او مقعد (منبع) القداسة او القوة الروحية

واقدم مظهر للوتس ظهر فى الهند عثر عليه فى « دوهنجو ـ دارو » بوادى الاندوس منذ خمسة الآف عام ، فى شكل سيدة بسيطة ذات اكفال عريضة ترفع ثديها بيدها كما تفعل (الام) فى كثير من المناطق وترتدى فى شعرها برعم زهرة اللوتس .. وكثيرا ما ظهرت هذه السيدة فى النقوش وهى فوق حجر فشنو او تداعب قدميه .. وكانت تسمى « بادما » وهى كلمة تعنى اللوتس او « لا كشمى » أو « سرى » واعتبرت لا كشمى هذه زوجة لفشنو ورمزا للخصب . وتقول احدى الاساطير انها جاءت الى الحياة من زهرة لوتس نبتت اصلا من جبهة فشنو .. ونجد فى الكتابات القديمة اوصافا او تشبيهات لها متنوعـة كعبارات الغزل التى تعرفها النساء فى كل العصور فهى توصف بانها ولدت من اللوتس او انها تقف على زهرة لوتس أو انها تحيط نفسها دائما بزهر اللوتس او انها عنق اللوتس ولها عين كزهرة اللوتس وغير ذلك .. وتظهر النقوش الخاصة ببادما منذ القرن الأول قبل الميلاد هذه الشخصيات وهى تقف فوق زهرة لوتس وتحيط بها الفيلة من الجانبين حيث تصب عليها الماء من خراطيمها وعلى الزهرة التى تقف عليها .

.. وفى الصين

وينبع اثر اللوتس فى الفن الصينى من اعتقادهم بوجود بحيرة لوتس مقدسة فى السماء القريبة ويظهر ذلك كثيرا فى مناظر المعابد ويعتقدون ان كل روح لها شجرة لوتس خاصة فى البحيرة تظهر عقب موت صاحبها ولا تتفتح الا فى الوقت المحدد لها .. وحياة المرء فى دنياه هى التى تؤثر على حالة اللوتس فى البحيرة فاذا كان نقيا او رجلا صالحا فهى تتفتح مباشرة بعد موته لتسمح لروحه بالمثول امام الخالق .

ولقد كانت اللوتس منذ القدم زهرة مقدسة لدى الصينيين وتحظى بمكانة كبيرة وتعد احد المخلوقات الثمانية الخالدة فى الديانة الطوائية كما يقرر الكاتب الصينى « هو هسين – كو » . وتعد اللوتس زهرة فصل الصيف من بين الزهور الأربع لفصول السنة .. وهى رمز للطهارة لأنها تبرز من بين المياه – مهمـا كانت كدرة – نظيفة زاهية كما انها لا تنبت فى الأرض .. وهى رمز الإنسال والقوة ومازالت بعض المجتمعات الريفية تحرق البخور لروح اللوتس لمنع اذى الأرواح الشريرة .

اللوتس والبوذية

وعندما انتشرت البوذية فى كل من الهند والصين تداخلت فيها معتقدات كل من الهنود والصينيين حول اللوتس فانتقلت اليها بكثير من مظاهرها القديمة فى هذه البلاد .. فاصبح عرش اللوتس عنـد البوذيين يرمز الى الطهر والميلاد المقدس ولما كان اللوتس ينمو تحت الماء ثم يبرز فوقه فهكذا ولد بوذا فى النقاء ثم برز بنوره الى العالم .. وازهار اللوتس فى البوذية الصينية هو ميلاد جديد لبوذا ، وفى الهند يرون ان كل خطوة من خطى بوذا تعطى او تخلف وراءها زهرة لوتس .. وفى الهند كما فى الصين تجلس تماثيل بوذا والكهنة البوذيين على اللوتس .. واللوتس الكاملة المتفتحة تضم بين جوانحها قوة شمسية هائلة وفى حين تعتبر اوراقها جزءا او خزانا لأشعة الشمس يعتبر ساقها علاجة كونيا هاما . ويزين الصينيون زهرة اللوتس عادة بالشرائط التى ترمز لأشعة الشمس ..

وفى الديانة البوذية نجد ان العصور البوذية تبدأ بظهور زهرة لوتس تشير الى المكان الذى كانت فيه شجرة بوذا المميزة .. وفيها انه اذا كان العصر (اى زمن من الأزمنة) فراغا – اى لا اثر للبوذية فيه – فلا تزهر براعم اللوتس . وهذه اشارة الى قدم البوذية قدما مطلقا . ويقولون انه فى بدء احدى العصور ظهرت الف برعم لتدل على عدد شخصيات بوذا التى سوف تظهر فى الوجود .. ويوصف فردوس بوذا بأنه المكان الذى يولد فيه كل انسان وكأنه سيد على زهرة لوتس .

وفى احدى مذاهب البوذية (البوذية التنترية) تؤدى اللوتس دورا هاما فهى كامرأة تتحد مع الرعد الذى يقوم بدور الرجل (فاجر) .

فى الشرق والغرب

وفى اليابان فان من يأكل زهرة اللوتس او ساقه فان ذلك يكسبه قوة جسدية . وما زال اثر اللوتس موجودا الى الآن فى بلاد شبه جزيرة الهند الصينية ومن الاغنيات الشهيرة التى يتغنى بها بعض الفنانين فى فيتنام اليوم اغنية « اجمل زهرة هى زهرة اللوتس » .

ولقد ظهر اللوتس على الأختـام الأشورية القديمة فى مظهر يوحى بالقداسة .. ومن البحر الابيض والشرق انتشرت المعتقـدات الخاصـة باللـوتس فى الميثولوجيا الكلاسيكية فى بلاد الاغريق وفى العالم الغربى فظهرت فى بعض الأساطير رواية وعلى بعض العجلات والميداليات والحليات الدائرية كنقش او رسم وهى تمثل للعقل الغربى سحر الشرق الغامض .



أكثر الرسوم المصرية القديمة تحتوي على زهور اللوتس ضمن زخارف الجدران !

وعند العرب

ولقد وصف كثير من الكتاب والعشابين العرب زهرة اللوتس التى عرفوها باسـم النيلوفر .. ويقول داود الانطاكى ان الاسم أصله فارسى وان كان الصحيح انه انحدر من المصرية القديمة وانتشر فى لغات الشرق ، فالزهرة لجمالها سميت فى عصر الدولة الحديثة باسم « نانوفر » وهى كلمة تعنى « الجميل » ثم حرفت الكلمة الى نيلوفر ونينوفر .. ويقول الزبيدى عنه ان العوام فى مصر كانوا يسمونه « نوفر » . وقد ذكر ابن البيطار اللوتس الاحمر باسم « الفالس القبطى » و « الجامسة » . وقد ذكروا للوتس فوائد كثيرة فيذكر الزبيدى انه صالح للسعال واوجاع الجنب والرئة والصدر وانه اذا عجن أصله (جذره) وطلى به البهق مرات ازاله واذا عجن بالزفت ازال داء الثعلبة اما الانطاكى فيذكر انه اجود ما استعمل لقطع الحمى واللهيب والحرارة والعطش شربا والقروح والخفقان والصداع والنزلات والبرص والبهق وداء الثعلبة والنزيف والاورام اذا خلط بالخل ، وهذا فضلا عن استخدامه كمرطب وكنوع من العطور .

الزهرة والآداب الحديثة

وفى الآداب الحديثة تستخدم عبـارة « اكل اللوتس » للتعبير عن الشخص الفاقد الذاكرة او الشخص الذى يبنى قصورا فى الهواء .. وليس للوتس دخل حقيقى فى انتشار هذه العبارة فلقد كانت نباتات العائلة « النيمفية » كلها تؤكل وقت المجاعات طبقا لما تركه لنا الكتاب القدامى والكتاب العرب انما هى ترجع الى احدى الاساطير الاغريقية عن شعب من الناس كانوا يعيشون فى ليبيا وقيل ان طعامهم كان يتكون فقط من ثمار وبراعم شجرة تسمى اللوتس وهى شجرة سحرية كان كل من يأكل منها ينسى وطنه وكل ما يربطه بأسرته واصدقائه . وقد وصف « تنيسـون » تأثيرها فى اشعاره تحت عنوان « اكلى اللوتس » ، وتحدث هوميروس عنهم عند وصفه لرحلة « أوليس » .. وفى ادابنا نحن فقد انحدرت الينا فى لهجاتنا الحالية كلمات مثل « نفر » بمعنى شخص واصلها « جميل » و « سوزان » و « سوسن » ذات الأصل القديم « شوشن » أو « سوشن » .. وحين يصف شخص شخصا اخر بأنـه « شربات » لا يدرى انه يقول له انـه « كالسيد نفرتم » السيد الجميل الذى يضع فوق رأسه زهرة اللوتس الزرقاء المسـماة « ساربات » ..

سمير عطا



الجامع الكبير بالدوحة .. منارة اشعاع وهدى .. وجامعة للصلاة ودروس العلم والاعتكاف والمواسم الثقافية والمكتبات المتنقلة .

المسجد
ودوره الحضاري في دولة قطر

بقلم : الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر

الحديث عن المسجد ودوره الحضارى فى دولة (قطر) حديث قديم وجديد ذو شجون وافانين .

ذلك ان ثانى مسجد بنى فى الاسلام بعد مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، واقيمت فيه اول جمعة خارج المدينة المنورة بعده كان فى قرية (جواثا) بالقرب من سيف البحر (الخليج) غرب (قطر) فى (ربيعة) فى بطن منها فى قبيلة (عبد القيس) فى السنة الرابعة من الهجرة النبوية .

ومن هذا يعرف مدى قدم الدور الذى قام به المسجد من فجر الاسلام فى هذه المنطقة ، وحتى الآن .

وإذا عرفنا ان المساجد فى الارض تتراءى لاهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الارض عرفنا مكانة المسجد ومنزلته فى بناء المجتمع ، وكيف تتجه إليه القلوب وترتبط به العقول ، وتتالف عليه العواطف وتنمو فيه المعارف ، وتربو الحضارة ، من اجل هذا وغيره كان الاهتمام بالمسجد عمارة ورسالة يشكل جانبا حضاريا خصبا فى حياة المجتمع الاسلامي وبنائه .

ومن هذا المنطلق انبعث الاهتمام بالمسجد فى (قطر) دينا وحضارة وللدنيا والآخرة ..



مسجد قديم يحكي بعمارته الاصالة والوقار والسكينة .

هذا المسجد يروي بمآذنته الشامخة لونا من العمارة الحديثة .

مظاهر الاهتمام

ويأخذ الاهتمام بالمسجد فى (قطر) اتجاهين متساوقين ومتناسقين :
الاتجاه الأول : يدور حول عمارة المسجد
والاتجاه الآخر : يدور حول رسالة المسجد .

وأينما يممت وجهك فى بادية أو حاضرة فى مدينة أو قرية تجد كلا الاتجاهين بارزا على المستوى الحكومى وعلى المستوى الشعبى ، اهتمام مزدوج ينشد الأحسن دائما من كلا الجانبين .

عمارة المسجد فى قطر

وتتسم عمارة المسجد فى (قطر) بسمات واضحة ومتميزة منها : البساطة بشكل هادىء غير معقد ، فالزخارف بشتى أشكالها من مكتوبات ومحفورات وبارزات وتعدد الألوان والعقود إلى غير ذلك تكاد تكون مستبعدة تماما فى عمارة المسجد إلا ماجد أخيرا فى بعض المساجد المستحدثة وفى الشكل الخارجى فقط .

واختفاء مثل هذه المظاهر وإن كان من الوجهة الفنية وعلى مستوى الفن المعمارى



الجامع الكبير بقبابه المتعددة النادرة ، التى تحتضن تحتها اندر واكبر الثريات فى العالم ... ثم مظهر آخر من داخل المسجد لجموع المصلين مع كل فريضـــة .

للمسجد قديما وحديثا وفى مختلف البيئات والعصور الاسلامية يعد بعدا عن الناحية الفنية او الشكلية الا انه من جانب اخر اهم يفرغ المسجد لطابعه ورسالته الخاصة مما يعين رواده على اداء العبادة بعيدا عن الاشتغال بمعنى اخر غيرها ، فما تكاد تقع عينك على مسجد منها الا وتحس بمعنى الوقار والبساطة ، وتشعر انك امام مسجد لا امام متحف او قطعة فنية تسبق إلى العين بمعنى الفن فى المقام الاول .

ويبدو هذا بشكل اوضح داخل المسجد ، فلا نقوش ولا زخارف لا ملصقة ولا ثابتة ، ولا بارزة ، ولا محفورة بحيث لا يجد المصلى ما يستقطب نظره غير الهـدف الذى جاء من اجله وهو العبادة ، ولا يمنع ذلك ان تقع عينك خارج المسجد على الوان من الفن الأصيل باديا فى صور المآذن المتعددة الأشكال والرسوم والجامعـة – تقريبا – لكل انواع الفن المعمارى القديم والحديث من شرق العالم الاسلامى وغربه ومن مختلف العصور والبيئات من اندلسية ومغربية ومصرية وشاميـة وفارسية وهندية فى تناسق بديع يضفى الجمال والبهجة وهى تتراءى فى السماء متلألئة بالأضواء فى الليل وبخاصـة للمحلقين بالطائرات فى سماء قطر .

ومنها : التكامل الجيد : بمعنى ان المصلى يجد كل ما يحتاجه ويعينه على العبادة بخشوع فهناك الأماكن المعـدة للتطهر اعدادا كاملا وجيدا .

وهناك التكييف الكامل داخل المسجد بصورة يحس معها العابد براحة تعينه وتحببه لمواصلة عبادته فى خشوع .

وهناك الاثاث الجيد النظيف ، الاضواء الكاملة ، واجهزة الاستماع التى تصل الى كل اذن فى المسجد .

كل هذا فى إطار من الحفظ ، والصيانة المتجددة فى كل وقت .

ولا يكاد يخلو مسجد من مبردات لماء الشرب فى الصيف وسخانات لماء الطهر فى الشتاء مما يجعل المسجد مكانا محببا إلى النفس ، ويجعل آداء العبادة فيه عملا مريحا للروح والجسد معا - ويلحق بكل مسجد (سده) فسيحة فى شرقه تستوعب العشرات بل المئات من المصلين إذا ضاق المسجد برواده ، وفيها يؤدى بعض المصلين بعض نوافل العبادات من صلاة وقراءة قران ، واحتباس للصلاة وغيرها .

وبدولة (قطـر) انواع من المساجـد إذ فيهـا :

● المسجد الجامع : ويتسع للمئات بل للآلاف ، وفيه تؤدى الجمعة والجماعات وتقوم حلقات التلاوة ، ودروس العلم ، ولا يكاد يخلو حي او (فريج) من مسجد جامع لاهل الحي جميعا يوم الجمعة ، ومثل هذه المساجد الجامعة معدة إعدادا كاملا لذلك ففيها المنبر وغالبا ما يكون دكه او مكانا مرتفعا داخل تجويف المحراب غير بارز فى الصف الأول ويصعد إليه الخطيب على درجات مبنية فى شكل دائرى ومجهز باجهزة الارسال الكافية .

● مسجد الفريضة : وهذا النوع من المساجد صغير نسبيا ومنتشر بشكل كبير لا يكاد يخلو منه شارع او زقاق ، وتؤدى فيه الفرائض الخمس فى جماعة .

● المساجد الخاصـة : بمعنى ان كل مؤسسة تحرص على إقامة مسجد للعاملين بها وكل مدرسة بداخلها مسجد للمدرسين



والتلاميذ ، وبالقسم الداخلى مسجد للساكنين من الطلبة ، وفى الجامعة مسجد للطلبة ، واخر للطالبات ، بل وفى البيوت الكبيرة وداخلها مساجد لا يحجب عنها احد .

● مساجد الشيعة والحسينيات :

وهى موجودة فى بعض الاحياء ، ويؤدى فيها الشيعة الشعائر على مذهبهم من آذان وصلاة .

والمساجد بعامة سواء كانت جوامع او مساجد فريضة تكتظ بالمصلين فى كل صلاة ويتوافدون إليها زرافات ووحدانا مع دخول وقت كل فريضة وحين يؤذن لها ، ويحرص كل مصل على حضور الجماعة فى المسجد بصفة دائمة وعامة ويأخذ ذلك مأخذ الواجب الحتمى ، ويقام لصلاة الفريضة بعد الأذان بوقت يكفى المستمع اداء التطهر والسعى إلى المسجد ـ وغالباً ما يتراوح ذلك بين ثلث الساعة ونصفها .

رسالة المسجد

«فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار » ولذا كانت «احب البلاد إلى الله مساجدها » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقدم من سفر إلا نهارا فى الضحى فاذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين .

ومن المسجد كان توجيه المجتمع الاسلامى ، اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين فقال : انثروه فى المسجد . فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرد احدا إلا اعطاه فما قام وثم درهم ، وما الم بالمسلمين امر ذوبال ، ولا عرض لهم عارض فى شأن دينهم ودنياهم إلا نودى (الصلاة جامعة) وتداعوا إليه يتشاورون .

وعلى أرض المسجد وحول اعمدته نبتت بذور الحضارة الاسلامية واينعت وسطرت انضر صفحات فكرها وثقافتها ، وفيه تربت الأجيال من مهد الصبا إلى الشيخوخة والكبر ، فالمسجد هو المثل والنموذج للمجتمع والبيئة والوطن الاسلامي ، فيه يدرب المسلم على ممارسة الحياة بوضوح واستقامة وطهر وخير ، وحين يفقه المسلمون رسالة المسجد على هذا النحو تستقيم لهم وبهم الحياة ، هكذا كانوا ، وهكذا يجب ان يكونوا .

ومن هذا المنطلق والفهم يجب ان تتاصل رسالة المسجد فى كل نفس وبيئة .

ونظرة إلى دور المسجد ورسالته فى مجتمع (قطـر) نجد الدلائل والمؤشرات تتجه نحو تحقيق الكثير من هـذا الدور والرسالة ويبدو ذلك فى المعالم التالية :

العبـادة

وفى الـذروة منها الصـلاة ، وفى جماعة ، ولا يكاد يخلو مسجد صغير او كبير فى حي او زقاق من المصلين وبكثرة ، فى كل فريضة يحثون الخطى إليها عند سماع الاذان ويتوافدون من كل صـوب متطهرين أو عازمين ، عليهم السكينة والوقار ، وتقام الجماعة صفوفا متراصة كالبنيان فى سمت خاشع بوقار العبـادة



وزينة الايمان ، من بين مواطن ووافد ومقيم ومرتحل تجمعهم عقيدة واحدة ورباط واحد وقبلة واحدة وان تباينت الأشكال والاجناس واللغات لا ترى إلا وقاراً ولا تسمع إلا سلاماً ، ولا تحس إلا طهراً ، فهذا قطرى ، واخر فارسى وثالث هندى ورابع عربى وخامس افغانى هكذا من اجناس وشعوب تعارفت بالاسلام واتحدت قلوبها وصفوفها على الايمان .

التلاوة والاذكار

وقبل الصلاة وبعدها يدوى المسجد فى وقار وسكينة بترتيل القران فى انتظام وتناسق وبصفة دائمة ، وعقب الصلاة لا ينصرف مصل قبل ختمها بالمأثور من السنن .

حلقات التلاوة : ولا يكاد يخلو يوم من حلقات القران فى مسجد او اكثر بصفة منتظمة تضم الدارسين والمدرسين من كل عمر وثقافة ، ويقوم عليها قارىء مجيد يسمع ويوجه ، وتجرى فى كل عام المسابقات بين الدارسين وتمنح الجوائز للمتفوقين ، وبكل مسجد مئات من المصاحف من اجود الطبعات واجملها مهياة ومعدة لكل مصل وقارىء .

وتهدف هذه الحلقات إلى تعليم التلاوة واجادتها ، وتشجيع الحفظ لتعليم القارئين والمدرسين والمحفظين تلك الاحكام وهناك مجلس دائم كل يوم خميس بعد صلاة المغرب بمسجد الندوة للتلاوة وتعليم احكام التجويد ، ويكتظ كل اسبوع بالدارسين .

دروس العلم

وحلقات الدروس والوعظ بالمساجد منتظمة طوال ايام الأسبوع ويقوم بها علماء مخصصون وتجمع بين دروس التفسير ، والحديث ، والفقه ، والوعظ ، وهناك محاضرات ثابتة ودائمة فى بعض المساجد ، من ابرزها محاضرة (الاثنين) فى مسجد (خليفة) بعد صلاة العشاء ، ومحاضرة الأربعاء فى مسجد القسم الداخلى ، ومحاضرة الخميس فى مسجد (السلطة) ودرس الجمعة فى مسجد (إسحاق) وغيرها كثير .

وللمساجد الخاصة داخل كل مدرسة دور هام فى تعليم النشء وتهذيبهم حيث يصحبهم مدرس متخصص قبل صلاة الظهر يعلمهم الوضوء والصلاة وبعض الأحكام ويشترك معهم صفوة من المدرسين والمشرفين فى مظهر طيب يأخذ منه التلاميذ القدوة الطيبة ، كذلك يقام فى بعض المساجد دروس بغير العربية للجاليات الافغانية ، والباكستانية ، والهندية ، ويؤديها بعض ابناء هذه الجاليات المتفقهين .

المكتبات فى المساجد

وبكل مسجد مكتبة يتفاوت حجمها بتفاوت حجم المسجد ، وتضم مئات الكتب فى الثقافة الاسلامية بعامة ، وبعض التفاسير وكتب الحديث والفقه بخاصة وكذا كثير من المسجلات من المصحف المرتل وخطب الجمعة والدروس والمحاضرات وهى معدة ومهياة لكل مصل يرغب فى القراءة ، وبعض المكتبات يضم بعض المطبوعات بلغات اردية ، وفارسية لخدمة المصلين الذين لا يجيدون العربية .

نشاط ديني واجتماعي

ولا تخلو المساجد الكبيرة من بعض وجوه النشاط الدينى الاجتماعى ، ومن ذلك النشاط القائم حول فريضة الزكاة تفقيها ، وتوجيها ، وجمعا ، وتوزيعا ، فهناك التوجيه الدائم لها فى الخطب والدروس ، وهناك الصناديق المعدة فى المسجد لجمعها وتجمع الحصيلة وترد على مستحقيها ويشرف عليها صندوق (قطر) الاسلامى للزكاة بالبنك العربى ، ويبدو هذا النشاط ملحوظا فى شهر رمضان بخاصة ، كذلك لا يمر أسبوع من وجود (وفد) او اكثر من مختلف انحاء العالم الاسلامى لجمع التبرعات لاقامة مشاريع اسلامية من مساجد ومراكز ومدارس وغيرها من مرافق لخدمة الجاليات الاسلامية وتجد هذه الوفود ضمن ما تجد من رحابة الصدر وسعة الانفاق مجالا خصبا فى المسجد وبخاصة بعد صلاة الجمعة حيث يبادر المصلون بتبرعاتهم الكريمة ، وتجمع هذه التبرعات وتصرف لهم تحت اشراف رئاسة المحاكم وادارة المساجد ، كذلك للمسجد دور هام فى معونة المجاهدين فى افغانستان وغيرها وقد كان للشئون الدينية دور مشكور فى هذا الجانب .

المسجد فى رمضان

ولشهر رمضان فى دولة (قطر) سيما مميزة ، ومعالم بارزة يحس بها كل مسلم ، وبخاصة فى المسجد ، فخلال الليل والنهار لا تخلو المساجد من مصلين ، وعاكفين ، وقارئين ، ودارسين ، ومزكين .

ويتضاعف عدد المصلين حتى لتضيق

مسجد خليفة الذي يقام فيه الموسم الثقافي طوال العام بمحاضرات يوم الاثنين .





مسجد الوكرة يحكي بشموخه البساطة وجلال القدم .

بهم بعض المساجد على كثرتها وسعتها ، وبخاصة فى صلاة الليل ، حيث تبدأ صلاة التراويح بعد العشاء فى وقار وسكينة وخشوع وطمانينة وبعض المساجد يختم فيها القران كله خلال الشهر فى صلاة الجماعة فى التراويح مثل المسجد الكبير ، ويتخلل الصلاة درس أو محاضرة لا تقتصر فائدتهاعلى رواد المسجد فقط بل ينقلها المذياع عبر الأثير ، وفى العشر الأواخر من رمضان تبدأ صلاة القيام فى المسجد ابتداء من منتصف الليل تقريبا الى قبيل الفجر بقليل ، وينتظم فى صفوفها الشيب والشباب من كافة الأعمار فى خشوع وتبتل وصلاة طويلة يتلى فيهاجزءان من القران كل ليلة .

كذلك تتضاعف دروس العلم والوعظ فى رمضان عصرا وعشاء وفجرا لايكاد يخلو منها مسجد من العلماء والوعاظ ، وبعضهم يستضاف لذلك من بعض البلاد الاسلامية وتنقل الاذاعة هذه الدروس من المسجد الكبير فى الفجر والتراويح والقيام وفى اخر رمضان ينشط المصلون لاداء فريضة الزكاة ، وزكاة الفطر . كذلك تقيم بعض المكتبات العامة سوقا للكتاب على ابواب المساجد الكبرى ويتزود المصلون منها كل ليلة بالكثير من الكتب لمكتباتهم الخاصة . وتتضاعف حلقات تلاوة القران فى ذلك الشهر فى المساجد بعامة وفى مسجد الندوة بخاصة ، وبعض هذه الحلقات تدرس فيها احكام التجويد وبعض القراءات .

المسجد والمراة

وللمراة مجالها الطيب فى المسجد فى (قطر) حيث خصص لها مكان بارز يحاط بالحواجز الساترة فى جانب منه ؛ أو تخصص لها الطوابق الثانية الموجودة فى بعض المساجد كالجامع الكبير .

وتواظب المراة على حضور دروس العلم المنتظمة كدرس الاثنين فى (مسجد خليفة) ، كما تواظب على صلاة التراويح ثم صلاة القيام فى العشر الأواخر من رمضان ولا يكاد يخلو مسجد منهن وباعداد كبيرة فى صحبة المحارم حتى ليبلغ عددهن بالمئات كما يشاهد ذلك فى الجامع الكبير ، ولهذه الظاهرة اثرها الكبير والطيب فى كثير من الأسر والبيوت .

المسجد والطفل

ويحرص الآباء على اصطحاب اولادهم إلى المساجد تربية وتدريبا لهم على الصلاة فى جماعة حتى فى قيام رمضان بعد منتصف الليل وكذلك حضور مجالس العلم .

هذا فضلا عن حلقات تحفيظ القران التى تضم بين جنباتها عشرات بل ومئات الأطفال والصبيان فى مختلف ساعات النهار والليل .

إن للمسجد فى (قطر) مكانته ودوره الذى لا ينكر ، والاهتمام به على المستوى الرسمى والشعبى اهتمام ملحوظ وبارز لاسيما الاهتمام الدائب فى اختيار الخطباء وتدريب الائمة ويبدو ذلك فى إنشاء معهد تدريب لهم يقوم على التدريس به صفوة من العلماء .

هكذا يقوم المسجد فى (قطر) معلما اسلاميا وحضاريا بارزا واصيلا قديما وحديثا عمارة ورسالة ، دينا ودنيا .

دكتور حسن عيسى عبد الظاهر

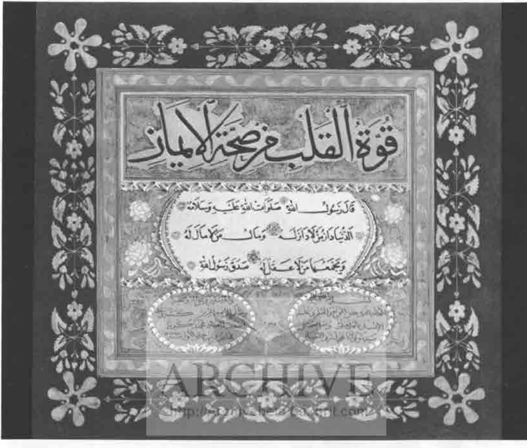
الفنان الامريكي الشيخ محمد زكريا أثناء انهماكه فى كتابة الخط العربي .

فنان أمريكي يعتنق الإسلام ويبدع في الخط العربي

بقلم : يوسف أحمد



الفنان الامريكي المسلم مع زوجته وإبنه فى حديقة بيته !



لوحة رائعة من أعمال الفنان الامريكى المسلم ، وقد اهتم فيها بالزخارف الاسلامية والمساحات اللونية التى تعكس جمال وروعة الفن الاسلامى

قصة هذا الفنان تؤكد لنا أن الفن كنشاط انسانى عظيم هو الذى يقـــرب المسافات بين الشعوب ويعرفهـــا على العادات والتقاليد التى قد تكون غائبة عن الاذهان ..

وكما نعرف فان الفن يلعب باستمرار دورا هاما فى نقل مفاهيم النـــاس ومعتقداتهم والمزج بين كثير من الافكار والآراء ، ولذلك فان اهمية هذه الرسالة ازدادت مع تقدم وسائل الاعلام التى جعلت من السهل علينا أن نتعرف فى نفس اليوم على المعارض الهامة التى اقيمت فى هذه المدينة او تلك ، اشرطة الفيديو والشرائح الشفافة والكتب ذات الطباعة الفاخرة التى اصبح فى مقدورنا من خلالها ان نرى اهم المعارض الفنية ، والتى جعلت هذا العالم الكبير يبدو امامنا وكأنه لا يحمل بين ارجائه تلك المسافات البعيدة ، فكل شىء اصبح فى متناول اليد ـ وبسرعة رهيبة ـ بداية من الأخبار والأحداث إلى اللوحة الفنية !

البداية كتاب مطبوع

ان حياة الفنان الامريكى الشيخ محمد زكريا انقلبت راسا على عقب ، عندما اهتم بقراءة كتاب مطبوع عن الفن الاسلامى فى المتحف البريطانى ، فمن وقتها اخذ يبحث فى كل مكتبة عن الكتب التى تناولت موضوع الفن الاسلامى الذى انتج هذا الفن الرفيع ، خاصة وانه لا يعلم عنه اى شىء ، وبدأ يقرأ ـ فعلا ـ عن الاسلام فى شوق ورغبة عارمة للتعرف على كافـــة تفاصيل هذا الدين العظيم ..

وقد حدث هذا فى الخمسينات ، عندما رحل هذا الفنان من مدينته « لـــوس انجلوس » بجنوب كليفورنيا إلى اوربا على ظهر باخرة أقلته من شرق الولايات المتحدة الامريكية .

وترك خلفه أثناء هذه الرحلة ذكرياته أيام صباه ، عندما كان معجبا بنمط الحياة السائد بعد ظهور موضة « الهيبز » واتساع نطاق الرغبة فى الاسترخاء والسلبية وعدم المشاركة فى تحديث المجتمع ..

وكثيرا ما كان فى تلك الفترة يضيع وقته فى اللهو مع اصدقائه بقيادة الموتوسيكلات بسرعة جنونية هربا من الملل والرغبة فى التجديد !

إلا أن حياته هذه غير المستقرة سرعان ما شعر نحوها برغبة فى التغيير ، خاصة وأن ظروفه الخاصة وتأملاته المعينة جعلته يبحث عن وسيلة تعطيه الأمل فى

فنان أمريكي يعتنق الإسلام ويبدع في الخط العربي



كاتب المقال مع الفنان الامريكي







مجموعة من لوحات الخط العربي التى قدمها لنا الفنان الامريكي المسلم ، ملتزما بقواعد الخط المتوارثة .. ثم نموذج لساعة اسلامية قديمة برع الفنان فى صنعها .

مستقبل مشرق بعيدا عن هذا النوع من اللهو الرخيص !

وهنا قرر أن يقوم برحلة أوربا ، طمعا فى البحث عن الأشياء التى افتقدها داخله ..

رحلة للمغرب

ورتبت له الصدفة موعدا مع مطالعة كتاب الفن الاسلامي ، وموعدا اخر مع فنان عربي مصرى هو الخطاط علي نور ، الذى بدأ يلازمه ويقاسمه حياته ويعرفه على الكثير من مميزات وروحانيات الدين الاسلامي وكنوزه التشكيلية المعجزة المتمثلة فى فنون الزخرفة والخط العربى بجميع انماطه الابداعية من ثلث ورقعة ونسخ وديواني ، وغير ذلك من اساليب الكتابة العربية .

وبعد أن اعتنق فناننا الامريكي الاسلام قرر السفر الى المكان المناسب والبيئة الخصبة للاسلام ، ووقع اختياره على المغرب هذا البلد الساحر الذى عشقه من قبله فنانو أوروبا فى القرن السابع عشر مثل ديلاكروا وغيره وأصبح مسرحا لممارسة الكثير من المدارس الحديثة مقتبسين حياة الشرق وسحره والابهارات اللونية التى تزخر بها بلاد المغرب .

لم يدخل فناننا الامريكى الذى اصبح اسمه محمد زكريا اي معهد او مدرسة لتعليم الخطوط ، ولم يكن يعرف حرفا من العربية قبل هذا التحول الخطير الذى دفع فناننا لان يجعل شغله الشاغل هو اقتناء الكتب والمجلات التى تعني بالخط العربي وفنونه واسراره ؟!



هذه اللوحة البديعة استخدم الفنان فى كتابتها الوانا واحبارا صنعها بنفســـــه .

الخط حياته !

لقد حاول فى بادىء الأمر تقليد انماط الخط العربى ، ومكث السنوات العديدة فى التعرف على اسرار هذا الفن يعمل ويتعلم فى جدية لا مثيل لها .

اخذ يدرس بامعــان كل ما وقعت عليــه عيناه فى معاهد الخط العربى ومكتبته ووثقائه التاريخية والمستحدثة ، وما أن احس بانه قد استوعب كل هذه المؤثرات حتى بدأ فى اتجاه جديد ، حاول أن يشق لنفسه اسلوبا مميزا يجمع بين كلاسيكيات الخط وقواعده المتوارثة وبين أسلوبه وشخصيته المميزة مازجا بين الزخارف والخطوط والتشكيلات الفنية (الا ابيسك) ولكن أهم تلك الملامح الى تســتحق التسجيل هو ما عنى به اكثر من غيره من صناعة الوانه واحباره واوراقه بنفسه ..

كان كالناسك المتعبد فى محراب الفن الاسلامى الذى ملك عليه حياته ووجدانه ، وعاما بعد عاما استطاع أن يتمكن من اتقان هذا التخصص الرائع ..

واخيرا قفل راجعا الى امريكا ليبدأ حياة حديثة كلها عطاء وتالق ، خاصة وانه يعتبر حدثا فريدا من نوعه فى المحافل الثقافية والفنية الامريكية .

وتهافتت المؤسسات الفكرية على انتاجه وتســـابق جامعو التحف الاســـلامية والمهتمين بالتراث العربى وفنون الخط بالذات الى الاستفادة من خبراته واقتناء أعماله ، وأسرع المسئولون فى قسم الدراسات الشرقية بجامعة « جورج تاون » بالعاصمة الأمريكية الى التعاقد معه ليصبح استاذا متخصصا فى تعليم الخط العربى .

لقاء مع الفنان

وعندما سمعت عنه قررت زيارته ، فذهبت الى محراب عمله ، واستقبلنى بكل سماحة المسلم ومثاليات الفنان المؤمن ، واطلعنى على المساحيق القديمة التى قرا الكثير عنها فى الكتب الاسلامية القديمة والتى اخذ يطبقها فى صنع احباره بيده .

وعرفت اثناء لقائى به ان هذا الفنان برع فى صناعة الساعات الاسلامية القديمة بنفس الطريقة التى كان المســـلمون يستخدمونها فى الماضى ، وهو يعتمد على هذه الساعات فى تحديد الوقت الى درجة اننى صليت وراءه صلاتى العصر والمغرب على توقيتها الدقيق !

وقد بدأت اخيرا المؤسسات الثقافيـــة تعترف بهذا الفنان المبدع ، وبدأت جامعة جورج تاون فى طباعة ونشر كتاب كامل ضمنه اربعين شكلا من اشكال الخط العربى ، كما انه بدأ يمارس رسالته فى تعليم عشاق الخط العربى من الأوربيين والأمريكيين كافة التفاصيل التى تجعلهم يتذوقون بصورة اكبر هذا الفن الجميل ..

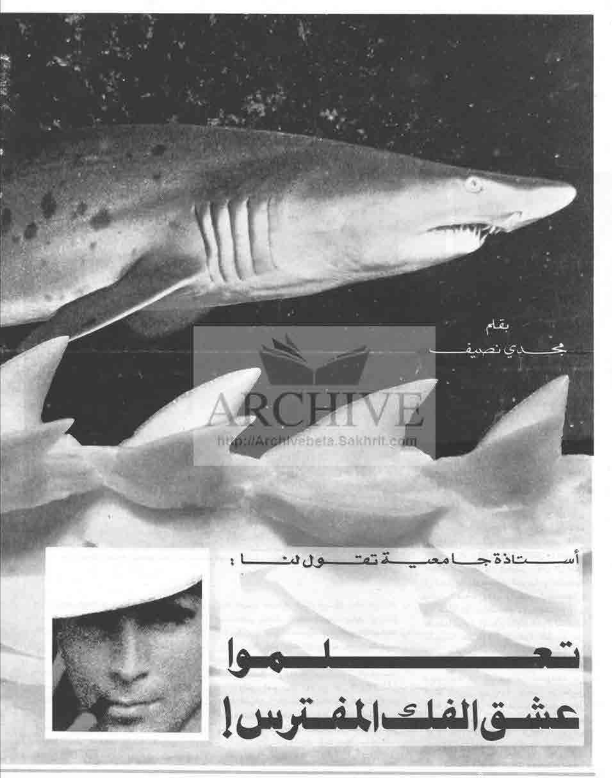
اننى اذ اقدم هذا الفنان الامريكى المسلم الى القارىء العربى ، فان كل أملى ان تهتم به المؤسسات العربية والخليجية وتقيم لأعماله معارض على ارضــها ، ويا حبذا لو استضافته دول الخليج وفى مقدمتها وزارة الاعلام بدولة قطر ، ليتعرف جمهورنا على هذه الظاهرة الفريدة من خلال معرض متكامل لخطوطه العربية الغاية فى الجمال والدقة ، ويمكننا اثناء استضافته أن نستفيد من معلوماته عن الخط العربى وصناعة الاحبار عن طريق إقامة ندوة حول هذا الموضوع الهام ، وكل ذلك - بالطبع - إضافة إلى اننا نتيح امامه بهذه الزيارة فرصة اللقاء باخوانه المسلمين فى الوطن العربى .

يوسف احمد

بقلم
مجدي نصيف

أستاذة جامعية تقول لنا:

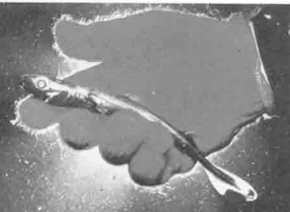
تعلموا عشق الفلك المفترس!



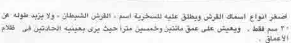


سمكتان من اسماك القرش فى احد الكهوف تحددان مكان الفريسة لتنطلقا نحوها . والى اسفل « القرش النمر » وقد ظهرت اسنانه الحادة .
والى اليمين « القرش الحوت » اكبر سمكة قرش فى محيطات العالم ويصل طولها ١٨ متراً لكنها لا تهاجم الانسان

تقوم البروفيسور « ايوجين كلارك » الأستاذة بالمعهد البحرى « بكيب هيز بفلوريدا » بدراسة خاصة عن سـمك القرش .. ولذلك عرفت بين زملائها باسم « سيدة سمك القرش » لأنها تعتبر نفسها صديقة لهذا الوحش السلاب النهاب الذى يذرع المحيطات وينشر الرعب بين الصيادين والمصطافين ، حتى لقد بنيت عليه أسطورة « الفك المفترس » التى نجحت على الشاشة الفضية وحققت كفيلم أرباحاً خيالية ، رغم أنها قصة مبالغ فيها !







اصغر انواع اسماك القرش ويطلق عليه للسخرية اسم « القرش الشيطان » ولا يزيد طوله عن ٣٠ سم فقط . ويعيش على عمق مائتين وخمسين متراً حيث يرى بعينيه الحادتين فى ظلام الأعماق .

نوع من سمك القرش يطلق عليه اسم « القرش الخنزير » يعيش فى قاع البحار ويأكل نجوم البحر والحيوانات الصدفية ويصل طوله الى حوالى المتر

تقول البروفيسور ايوجين كلارك مدافعة عن « القرش » .

ـ « لقد بالغ الناس كثيراً فى تصوير سمك القرش كاكل للبشر ، ولعبت الافلام مؤخراً دوراً كبيراً فى هذا التصور .. انني اريد ان اقول انه حتى « سمك القرش » يستحق بعضا من التعاطف ومن الخطأ القول ان سمك القرش نوع فتاك رهيب مسلح بانياب حادة وله شهية مفتوحـــة دائما .

الذكاء والأصل

فبعد ثلاثين عاما من الدراسة العلميـة يظهر سمك القرش ككائن لم نقيمه التقييم المضبوط . ففى فلوريدا قامت الاستاذة كلارك بتدريب سمك القرش على قرع الجرس حين يجوع . وتقول الاستاذة .

ـ إن سمك القرش ذو ذكاء حاد وذاكرة جيدة ، وهو يتعلم بنفس السرعة التى تتعلم بها فئران التجارب فى المعامـل ، وله ذاكرة تستفيد من الاخطاء » .

واذا ما قمنا بمقارنة الانسان بسمك القرش . فالانسان ليس الا محدث نعمة على هذه الكرة الارضية بالنسبة له . لقد تواجد سمك القرش فى محيطات ارضنا منذ اكثر من ٣٠٠ مليون سنة ، بينما تواجد الانسان منذ ثلاثة ملايين عام على اكثر تقدير علماء الاجناس البشرية . اسماك القرش إذن هى « حفريات » حية ، مزودة بكل ما تحتاجه لتقوم بدورها ، كمفترسات تجوب البحار ، وهى لم تتغير منذ نشاتها ، بينما استمرت معظم الحيوانات الاخرى فى التطور ، استقر سمك القرش « ماكينة مفترسة » بحرية متحركة .

ويعكس التشريح الاولى لسمك القرش اصلها القديم . واول ما يلفت النظر ان كل اسماك القرش غضروفية ، اى ليس بها عظام . وسمك القرش البالغ له خمسة ازواج من الخياشيم المنفصلة (كالجنين البشري عندما يكون عمره ثلاثة اسابيع) . وجلده خشن ـ كورق « الصنفرة » ـ مكون من ملايين الاشواك المكونة من مادة الأسنان ، فهي بذلك عبارة عن ملايين الاسنان . واسنان سمك القرش تتكون من نفس المادة ، لكنها ليست مثبته باللثة (كما هو الحال فى الانسان) ، وإنما تنمو دائما كما ينمو الشعر والاظافر ، وهي تنمو فى صفوف تتحرك دائما إلى الامام لتحل محل ما فقد او تاكل من الاسنان الامامية .

الحاسة السادسة

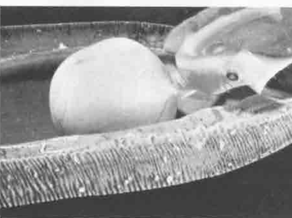
وسمكة القرش عبارة عن جسم ـ او بالاحرى ماكينة متحركة ذات حساسـية فائقة . ان حاسة الشم عند القرش يمكنها ان تدرك رائحة عصير سمك التونا عندما يكون تركيزه فى الماء جزء من اكثر من نصف المليون . ويمكنه ان يشم رائحة دم حيوان من على بعد نصف كيلومتر . لكنه يستطيع ان يعرف ما اذا كانت تلك السمكة التى تبعد عنه مسافة ٣٠٠ متر ، مريضة او سليمة ، برصد ذبذباتها ، عن طريق نهايات اعصاب حساسة للغاية موجودة تحت جلده !

هذه الحاسة السادسة هى التى تجعل سمك القرش صيادا مفترسا مميتا . إنه يستطيع حتى ان يحدد مكان الســمك « المسطح » الذى يدفن نفسه تحت الرمال ، بالاتجاه نحو الاشارات الالكترومغنطيسية التى تصدرها كل الاسماك . ويعتقد بعض العلماء ان اسماك القرش قادرة على التقاط الاشارات الاليكترومغنطيسية من الارض ، والاستعانة بها للابحار فى رحلاتها لمسافات هائلة فى المحيطات .

وعينا سمكة القرش لا تغمضان أبداً . ويؤكد الدكتور صمويل جروبر من جامعة ميامي ان حاسة الرؤية عند سمك القرش قوية للغاية ، بل إن بعض الانواع وهو مايطلق عليه اسم « قرش الليمون » تصل حاسة الرؤية عنده إلى عشرة اضعاف تلك الحاسة عند الانسان . ويضيف الدكتور جوبر قوله :

ـ إن القرش يمكنه ايضا التفرقة بين الالوان . ونامل من خلال قيامنا ببعض التجارب ان نصل إلى الالوان التى يفضلها اكثر من غيرها !

وبدا العلماء فى الولايات المتحدة الأمريكية برنامجا لمعرفة تحركات اسماك القرش ، ومنذ بدا البرنامج العام الماضى ، تم الامساك بـ ٣٠ الفا من هذه الاسماك



جنين سمكة القرش عن قرب . الكيس داخل البيضة يطعمه لمدة عام كامل

جنين سمكة قرش تحيط به كبسولة للحفاظ عليه . وقد ثبت الجنين بقطعة من صخور المرجان وتقوم الكبسولة بحماية الجنين وتغذيته حتى يفقس .

ووضعت عليها علامات مميزة وارقام ، ثم اخذت النتائج تتوالى بعد ذلك . ظهر ان سمك القرش يسبح ويسير لمسافات خيالية فى بحثه الدائب اللانهائي عن الطعام . واعطى لقب «بطل المسافات الطويلة» « للقرش الأزرق » وطوله ثلاثة امتار . وقد امسك باحد هذه الاسماك عند الشواطىء الشرقية للولايات المتحدة ، ثم امسك به مرة ثانية بعد عام فقط ، عند « جبل طارق»

الانسان اخطـر

وهناك ٣٥٠ نوعا على الاقل من اسماك القرش مدونة لعلماء الأحياء ، ويزداد عددها كل عام . ففى عام ١٩٦٧ تم اكتشاف نوع جديد سمى بـ « الفم الضخم » على شواطىء هاواي ، بعد ان ابتلع خطا مرساة سـفينة ، وتشع فكاه الفائرتان لمعانا فسفوريا ، تمكنه من ان يرى بوضوح فى احلك الاعماق . لكنه رغم مظهره الهائل لا ياكل إلا الكائنات البلانكتونية العالقة بالماء .

واكبر سمكة قرش فى العالم هى النوع المعروف باسم « قرش الحوت » . وهو نوع يصل طوله فى بعض الاحيان إلى ١٨ مترا. واصغرها النوع المعروف باسـم « قرش الشيطان » ، والنوعان ياكلان البلانكتون اي العوالق . هناك نوع اخر صغير الحجم اسمه « قرش المطبخ » لانه ياكل اي شي ء فى طريقه ، ولحسن حظ البشرية ان هذا النوع لايزيد طوله عن النصف متر فقط ، لكن شهيته هائلة بل عنيفة ، فهو يستطيع ان يقضم قطعا وافرة من اسماك اكبر منه بكثير ، ثم يختفى قبل ان تلحق به ضحاياه . وفى إحدى المرات قضم احدها غطاء مطاطيا لاحد اجهزة الغواصـات النووية الامريكية .

إن نهل هذا الشره ، وتلك الاسنان ، والحركة الدائبة السريعة ، هو ما يجعل سمك القرش خطيرا للغاية . ويمثل « قرش الحوت » بالذات خطرا حقيقيا وسجلاته تشهد بذلك . ولكن نسبة حدوث حوادث هجومه إلى الناس مبالغ فيها جداً . لكن الانسان يمثل خطورة على سمك القرش اكثر من خطورة سمك القرش على الانسان، إذ يقتل الانسان ٣٠٠ سمكة قرش سنويا ، بينما تذكر سجلات معهد سميشونيان بان عدد المرات التى يهاجم فيها سمك القرش الانسان لا تتعدى ٢٠ هجوما كل عام فى كل محيطات وبحار العالم . حتى ان احتمال الموت بسبب عاصفة برقية اكبر بكثير من احتمال الموت عن طريق هجوم لسمك القرش ! .

مهاجمة الصيادين

وإذا كان عدد انواع سمك القرش يصل إلى اكثر من ٣٥٠ نوعا . وليس فيها اكثر من ثلاثين نوعا هي الانواع الشرسة تضم « النمر » و « راس المطرقة » و « ماكو » و « الممرضة الرمادية » و « الثور » . واكثرها شراسة هو « راس المطرقة » .

تقول الاستاذة الدكتورة كلارك مدافعة عن اسماك القرش :

ـ « إن اكثرها شراسة وهو « راس المطرقة » يفضل تجنب البشر . فهو لا يهجم إلا حين يستفز . ومن الحظ السيىء ان حركة السابح فى الماء تولد موجات ضاغطة يفسرها سمك القرش بانها علامات ضيق ، فيتجه نحو ضحيته المنتظرة » .

وطبقا « لمكتب هجوم القرش » بالولايات المتحدة فان اكثر الأوقات خطورة بالنسبة للسابحين حين ترتفع درجة حرارة الماء عن ٢١ درجة مئوية لان الماء الدافىء يزيد من سرعة التمثيل الغذائي فى سمك القرش ، ومن ثم احتياجه للغذاء . لذلك ففى بريطانيا التى يصطاد فيها الهواة والصيادون اربعة الاف سمكة قرش سنويا تقلل برودة المياه إلى حد كبير من هجوم سمك القرش . ورغم ذلك تتجول « الماكو » حول شواطىء بريطانيا ، وهناك حوادث مسجلة حول هجومه على الصيادين .

ورغم كل ما يقال من حواديت حول اسماك القرش ، تظل الحقيقة ان الانسان يصطاد كل عام ماوزنه ٣٠٠ الف طن من سمك القرش ويعطى كبده زيتا مشهورا جدا فى صناعة مستحضرات التجميل التى تستخدم من بين اشياء اخرى لصنع احمر الشفاة .

● ● ●

إن الاستاذة الامريكية « ايوجين كلارك » تتعاطف بشدة مع سمك القرش ، ولا تنظر إليه نظرة الخوف التى ترعبنا ، وهى دائما تقول لكل الذين يقابلونها :

ـ تعلموا عشق الفك المفترس .. ولا تصدقوا خيالات الذين ينشرون الرعب بين الصيادين والمصطافين ! .

مجدى نصيف

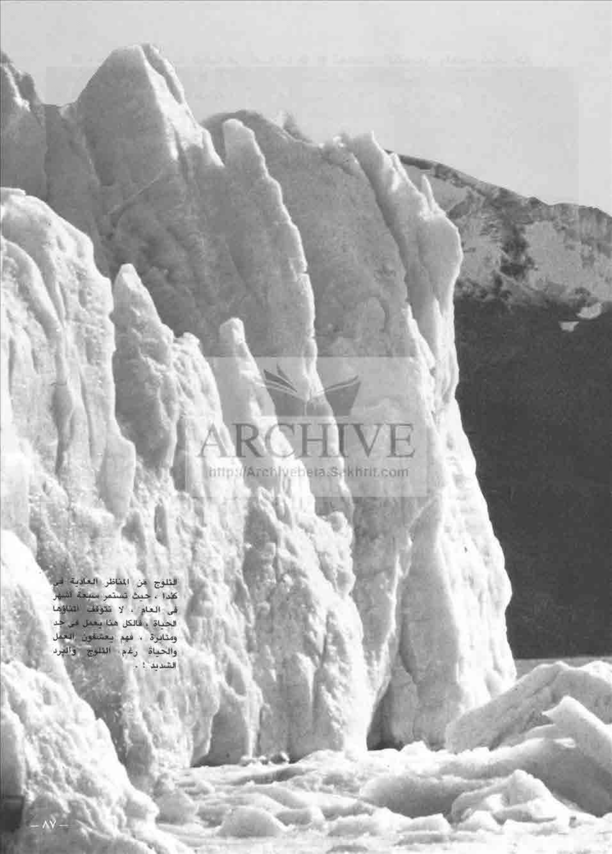
شهر في كندا

شعب دءوب يعشق العمل.. والحياة

بقلم: نادية رزق

من يرى الكنديين فى الصيف بحماسهم وحبهم للحياة والعمل .. لا يعتقد أبدا أنهم انفسهم الذين يعيشون سبعة أشهر فى العام وكأنهم داخل ثلاجة ، وإن كانوا يمارسون حياتهم كالمعتاد . فهم يذهبون الى أعمالهم والاولاد لدراستهم وجميعهم يخرجون لقضاء عطلة نهاية الاسبوع .

والحقيقة ان توفر الخدمات عامل مساعد فى سهولة الحياة وسط الثلوج .. فوسائل المواصلات تسير فى مواعيدها . التليفونات تعمل كالمعتاد ، ومثلها الكهرباء .. والحياة تسير بنفس القوة والارادة بالرغم من الانخفاض « الرهيب » فى درجة الحرارة التى تصل أحياناً الى ٢٥ ، ٣٠ درجة تحت الصفر . فما ان ياتي الصيف حتى يبدا الكنديون فى تعويض فترة الشتاء القاسية حيث يذهبون الى المصايف والحدائق ، وتنتشر الخضرة داخل وخارج البيوت وكانها تعويض للعين والنفس عن فترة الجدب والبرد !



الثلوج من المناظر العادية فى كندا ، حيث تستمر سبعة أشهر فى العام ، لا تتوقف أثناؤها الحياة . فالكل هنا يعمل فى جد ومثابرة ، فهم يعشقون العمل والحياة رغم الثلوج والبرد الشديد ! .

● « سوق الحميدية أيضا في كنـدا ! ● ● تعاطف الكنديين واضح تماماً مع القضية الفلسطينية ! ● ● ● ماذا يطلب العرب فى كندا من جامعة الدول العربية ؟
● ● ● ● من هم المحظوظون فى هذه البـــــلاد ؟
● النهضة الاقتصادية من أسباب نمو الفنون بكندا ! ● ● الكتاب والأدباء الكنديون ... لماذا تتجاهلهم البلاد العربية ! ● ● ● مهرجان سنوي للدراما يقام بكل مقاطعة كندية ! ● ● ● ● المشاهد فى كندا يستطيع استقبال ٧٩ قناة تليفزيونية !٠
● شوارع كندا كأنها مبنى الأمم المتحدة ، تجمع كل جنسيات العالم ! .



بـــرج تورونتـــو الشهيـــر كمـا يبـدو فى الليـــل وخلفيته بإطلالات السحاب

شعر في كندا

ولو تتبعنا جودة الخدمات المتوفرة لسكان كندا لعرفنا صعوبة القيام بها وسط هذا الجو « المثلج » والظروف البيئية الصعبة . فكندا قطر كبير جداً يمتد من المحيط الأطلنطي حتى شاطىء المحيط الهادى ، ومن حدود الولايات المتحدة حتى القطب الشمالي ، وهي قدر مساحة انجلترا سبعون مرة ، ولا يفوقها فى المساحة سوى الاتحاد السوفييتي ، ولكن متوسط كثافة السكان بها اقل من ٩ اشخاص فى الكيلومتر الواحد ..

وفي هذه المساحة الشاسعة نجد تفاوتا كبيراً فى المناخ ، فاربعون بالمائة من مساحتها تقع داخل المناخ شبه القطبي .. ولهذا السبب يتركز اغلب السكان فى الجنوب .

وتعتبر كندا بلاد الجبال المرتفعة ، وتمتد الجبال بها من الشمال الى الجنوب وهى جبال « الكورديلليرا » الغربية .. وإلى الداخل تمتد جبال الروكي التى تصل جنوبا حتى الولايات المتحدة ، ولها قمم ترتفع لاكثر من ٣٣٣٣ متراً وتتمتع البلاد باكبر عدد من البحيرات فى العالم : بحيرة متشجان ، وبحيرة سوبريور ، وبحيرة هورون ، وايري ، وبحيرة اونتاريو . بالاضافة الى نهر سانت لورانس الذى يستمد ماءه من البحيرات الخمس ويكونون اكبر طريق مائي فى العالم .

الثروات المتعددة

اما مصادر الدخل هناك فعديدة ومتنوعة واهمها تاتي من الاخشاب حيث يوجد بها اكبر غابات العالم التى تشتمل على الكثير من انواع الاشجار ، يكفى ان نعرف ان نـصف الورق الذى تطبع عليه جرائد العالم كله ياتي من كندا .. كما ان الثروة المعدنية بها ضخمة جداً ، فبها النيكل ، وتعتبر ولاية « البرتا » مصدراً هاماً فى العالم لانتاج البترول ، ويوجد اليورانيوم فى اجزاء متعددة منها ، كما تتمتع بكمية هائلة من اليورانيوم ، كما تستخرج الفحم . إلا ان بعد المسافة بين المراكز الصـناعية ومصادر الطاقة يهبط بالانتاج .

وقد ادى قلة عدد السكان مع توافر مساحات كبيرة من الارض إلى ضرورة تنمية الميكنة الزراعية فى كندا .. غير ان المناخ السائد فى معظم انحاء البلاد لا يسمح سوى بفصل زراعي قصير . وبالرغم من ذلك تعد من الدول المصدرة للطعام فى العالم ، والمحصول الرئيسي هو القمح ، ولا يفوقها فى تصديره سوى الولايات المتحدة كما يزرع الشعير والبطاطس وفول الصويا والتفاح والدخان .

وتقوم كندا بتصدير الثلثين مما يتم صيده من السمك كل عام ، وتعد الثالثة فى هذا المضمار بعد اليابان والنرويج .

واهم الاسماك السالمون .. وهو يصطاد من المحيط الهادي .. وتستخدم صناعة صيد السمك الكندية نحو ١٥٠٫٠٠٠ شخص ، وبها اكثر من ٩٠٠ مصنع لتعليب الاسماك.

اطفال كندا الذين يمثلون كل شعوب العالم .. إنهم اصحاب النحت الحقيقية في كندا !

سياحة من الهواء

عرفت كندا كيف تجعل من نفسها بلدا سياحيا يؤمه الآلاف سنويا ، وهي أصلا لا تتمتع بمعالم سياحية ــ كالتي توجد في العالم العربي ــ سوى شلالات نياجرا وتوجد على الحدود بين كندا والولايات المتحدة الامريكية ، والقسم الكندي منها على شكل حدوة حصان . وقد استطاع القائمون على استغلاله سياحياً أن يجعلوا منظر الشلالات خلابة خصوصا في الليل باضافة الاضواء والظلال ، وإنشاء مدينة حولها بها كل ما يريده السائح من فنادق والعاب ومحلات ويؤمها الاف من السياح ليستمتعوا بمنظر اندفاع ملايين الاطنان من المياه التي تستعمل في توليد الطاقة الكهرومائية .. وكل المشروعات السياحية قائمة على الأفراد والشركات الخاصة ، فهناك حديقة الحيوان المفتوحة (السفاري)



الكاتبة مازو . د . لاروش اصدرت سلسلة من الكتب القيمة التي تبحث في الادب الكندي .



ستيفن ليكوك .. اديب كندي اشتهر بكتاباته الكوميدية الراقية التي يعشقها الجمهور .

شعر في كندا

.. وبعد « برج اونتاريو » ـ ويبلغ ارتفاعه حوالي ٥٥٦م ـ من المعالم السياحية بكندا ايضا حيث توجد اسفله مدينة كاملة من الالعاب .. اما الكنديون فيفخرون بقلعتهم التاريخية وتدعى « كزالوما » التى بناها حاكم كندا منذ ١٥٠ عاما ليستقبل فيها ملكة بريطانيا اثناء زيارتها لكندا ، وتبدو القلعة من الداخل عادية قياسا على الآثار الموجودة بالبلاد العربية ، ولكنهم عرفوا كيف يجذبون السائحين لرؤيتها ..

مع التاريخ

فى عام ١٤٩٧ اكتشف كندا رحالة يدعى « جون كابوت » ، وبعدها تطلع الفرنسيون لاستعمارها ، فانشاوا المستوطنات فى منطقة تدعى « نوفاسكوتيا » عام ١٦٠٤ ،

وفى منطقة « كوبيك » عام ١٦٠٨ . وسرعان مابدا الصراع بينهم وبين البريطانيين للسيطرة عليها فنشبت الحرب الفرنسية الهندية عام ١٧٥٤ ـ ١٧٦٣ التى انتهت بتخلى فرنسا عن الأراضي الكندية لبريطانيا بموجب معاهدة باريس عام ١٧٦٣ . وفى عام ١٨٦٧ اتحدت مقاطعات كندا وشكلت ما يعرف بـ « دومنيون كندا » ، وعند انشاء الكومنولث انضمت إليه عام ١٩٣١م وملزالت الى الآن صورة ملكة بريطانيـــا على الدولار الكنـــدي ، وفى الدوائر الرسمية إلا ان تبعيتها لبريطانيا اصبحت شكلية ، وتدور حاليا مناقشات فى البرلمان الكندي ، لاستقلال كندا تماماً عن بريطانيا .

وقد اشتركت كندا فى الحربين العالميتين إلى جانب الحلفاء .. وبعد الحرب الثانية بدات كندا تاخذ وضعها معتمدة على الولايات المتحدة التى يرتبط اقتصادها بها حتى الآن .. وهناك كثير من رؤوس الاموال الأمريكية التى تجد مجالا واسعا للاستثمارات بكندا ، إلا ان هذه التبعية الاقتصادية لا تروق للاقتصاديين الكنديين ، حيث يرون انها سبب للتضخم الموجود حالياً بسبب ارتفاع الأسعار ، وازدياد نسبة البطالة ، مما اضطر الحكومة الى وقف كثير من المساعدات التى كانت تقدمها إلى بعض الفئات مثل « الضمانات الاجتماعية » للمتعطلين عن العمل ، وزيادة الضرائب .

وما يثير الراي العام الكندي هذه الايام هو فرض ضريبة على الماكولات بنسبة ٧٪ بعد ان كانت معفاة تماما من الضرائب ولا يمر يوم دون ان تسير المظاهرات من المستهلكين واصحاب المطاعم ومحلات الطعام للمطالبة بالغاء هذه الضريبة بعد ان قل اقبال الناس على الشراء .

ولكن الحكومة الكندية مسئولة عن الخدمات الهامة مثل العلاج ، ورصف الطرق ، وانشاء الحدائق. ومواردها تاتي عن طريق الضرائب . وتتميز كندا بشبكة ضخمة من الطرق والكباري العلوية ومترو الأنفاق الذى يربط كل مقاطعة من جهاتها الأربع .

هل يتحقق الانفصال ؟

مازالت مسالة انفصال كوبيك الناطقة باللغة الفرنسية تؤرق بال السياسة الكندية ، ومازالت هناك دعوات من اعضاء برلمان تلك المقاطعة تنادي بالانفصال عن كندا الام ، وتكوين دولة مستقلة ، إلا ان الاستفتاء الذى طالب باجرائه « بيير ترودو » رئيس الوزراء فى العام الماضي ، واسفر عن رفض سكان تلك المقاطعة الانفصال مفضلين البقاء تحت راية كندا الموحدة ، قد شجع على ابتعاد شبح الانفصال ولو مؤقتا . وحجة الحكومة الكندية فى ذلك ان الدولة مكونة من جنسيات متعددة من المهاجرين ، ففيها الصينيون ، والفرنسيون ، والانجليز ، والأفارقة ، والعرب .. ولو طالبت كل جنسية بانفصالها لتفتتت كندا ، ولساعد ذلك على ظهور دعوات انفصالية فى كل المقاطعات ... وتعتبر كندا مثل هيئة الامم المتحدة ، فهي تضم جنسيات من كل انحاء العالم ، ويتمتع الجميع بنفس الحقوق دونما تفريق .

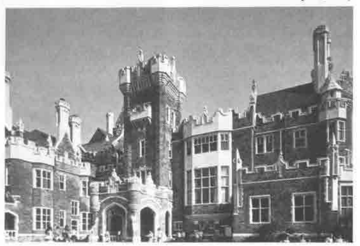
والعرب فى كندا

ولو تتبعنا المهاجرين العرب الى كندا لوجدنا لهم وجوداً متمثلا فى اكثر من شكل سواء على الصعيد الرسمى او الاجتماعي او الاقتصادي والاجتماعي ، فالهجرات العربية بدات ما بين عامي ١٨٧٠ و ١٨٨٠ من لبنان ، ثم نشطت بعد الحرب العالمية الأولى ،وازدادت عام ١٩٥٦م وحتى ١٩٦٠ عندما بدا بعض العرب مثل المصريين والعراقيين واللبنانيين من الأطباء والمهندسين والخبراء فى الاتجاه لكندا ، بلغ عددهم وقتها حوالي ١٥ الفا ، واغلبهم يشغلون حاليا مناصب هامة فى المجتمع الكندي ، ومعظم العرب يعملون فى إدارة المصانع والتجارة ، وهم يشكلون نسبة ٩٠٪ من عمال المصانع فى مونتريال ، و٦٠٪ لباقى كندا .

وتقول التقارير الرسمية الكندية إنه ما بين عام ١٩٦٦ وحتى ١٩٧٦ كان يصل لكندا حوالي ١٢٠٠ عربي سنويا .

وعندما كنت أسير فى شوارع كندا كانت تطرق أذني كلمات عربية ، فكنت اسمع احدهم يسال زميله « الساعة كام ؟ » ،

قلعة « كازالوما » التى يصل عمرها إلى ١٥٠ عاما فقط ، ومع ذلك فإن كندا تخلق من « الحبة قبة » فى آثارها !



« اسرع قليلا » .. وقتها كنت اشعر اننى لست فى « اخر الدنيا » .. كما يقولون !

والاعلام الكندي محايد ، فعندما بدأ الهجوم الاسرائيلي على بيروت ، كانت محطات التليفزيون تعرض الأفلام ، وترسل مراسليها للقاء ياسر عرفات وغيره من قادة المنظمة .

ويتعاطف الشعب الكندي مع القضية الفلسطينية . فيظهر هذا واضحا فى تعليقات الصحف والاذاعة والتليفزيون ، ولكن هذا لا ينفى وجود دور للصهيونية فى كندا حيث يوجد كثير من رجال الاعمال اليهود ، وهؤلاء لهم ثقلهم فى البرلمان .. إلا ان موقف الحكومة الكندية يبدو واضحا الى جانب العرب .. وخاصة عندما نقلت كندا سفارتها الى القدس ، حين كان جو كلارك رئيس الوزراء فى الحكم ثم اعادتها مرة اخرى الى تل أبيب . كما تقيم كندا علاقات اقتصادية كثيرة مع العالم العربى .

وتنتشر النوادي العربية بكندا . منها الاجتماعية والثقافية . ويوجد عدد من المساجد فى كل مقاطعة .. كما تنتشر المحلات العربية التى تحمل اسماء مثل « خان الخليلي » و « سوق الحميدية » و « العربى » . وتبيع البهارات والملوخية والخبز العربي .

إلا أن الشكوى التى سمعتها فى اماكن متعددة من العرب المهاجرين إلى كندا ، هو عدم وجود رابطة واحدة تضمهم جميعا ويطالبون جامعة الدول العربية بالقيام بدور فى هذا الصدد ، خاصة فيما يتعلق بانشاء مدارس لتعليم العربية لأبناء المهاجرين حتى لا يفقدوا صلاتهم بوطنهم الأم .



المحظوظون فى كنـــدا !

الأطفال فى كندا يتمتعون بكل شيء ، وحسب القانون لابد من إيجاد اماكن خاصة للعبهم مثل حمامات السباحة الملحقة بالعمارات الضخمة والحدائق العامة المزودة بالعاب مجانية .. وتستطيع العائلات الاستفادة من ملاعب المدارس وحدائقها فى الاجازات حيث انها بدون اسوار .. والطفل الكندى يستطيع أن يناقشك فى الاقتصاد .. والفضاء .. والتاريخ ..

والمراة ايضا من الفئات المحظوظة بكندا على عكس مثيلاتها فى كثير من الدول الاوربية ، فلها نفس حقوق الرجل ، وتعمل بكل الوظائف دون تمييز .. وقد فتحت مواطنة كندية تدعى بين سـميث الباب امام زميلاتها للعمل كشرطية إطفائية وذلك عندما رفعت قضية وكسبتها ضد شرطة الاطفاء التى رفضت استخدامها عندما حددت شروط القبول للرجال فقط ، واستطاعت بحكم المحكمة ان تدخل الامتحان وتنجح ..

ولكن بالرغم من المكاسب التى حصلت عليها المراة الكندية ، إلا ان هناك صيحات تطالب النساء بالاهتمام باولادهن وبيوتهن وتدعو لاعادة النظر فى الضغوط النفسية التى تقع على النساء نتيجة لبقائهن طوال اليوم خارج المنزل مما يسبب التفكك الأسري .



تمثال من فنون الهنود الحمر اصحاب البلاد الأصليين .

فنون الهنود الحمر

يرجع نمو الفنون والحياة الثقافية فى كندا إلى التغيرات السريعة العلمية والثقافية فى البلاد ، ومنذ عام ١٩٥٠ كانت النهضة الاقتصادية سببا كبيرا فى استمتاع غالبية الكنديين بالفنون ، هذا بالاضافة لوجود مهاجرين قادمين من مناطق متعددة من العالم .. أصحاب الثقافات القديمة امثال الصينيين والعرب

وفى كل مقاطعة يوجد مجلس أعلى للفنون تساهم الحكومة فى انشائه ، وهناك العديد من الادباء الكنديين الذين قدموا اعمالا لاقت رواجا فى العالم ، وإن كان مازال الكثيرون منهم لا يعرفهم القراء العرب من امثال « مارك لسكاربوتس » و «روبرت وي » و « ستيفن ليكوك » و «توماس رادال ومــازو . د . لاروش واخـــرون

والذى يزور المتاحف الكندية يرى آثارا واضحة للاعمال الفنية المكتشفة فى الأماكن التى كان يقطنها سكان كندا الاصليون من الهنود الحمر فى الساحل الشمالي ابتداء من عام ١٨٨٠ . هذا بالاضافة إلى ما تشمله الجامعات الكندية المتعددة من مجموعات هامة مماثلة لأغراض البحث العلمي .

وتعطى الحكومة اهتماما خاصا للمسرح فى كندا منذ بداية عام ١٩٢٠ ، ويقام سنويا مهرجان للدراما فى كافة المقاطعات تتبارى فيه الفرق فى تقديم اعمال عالمية ومحلية .

أما السينما فقد بدأت تظهر عالميا عندما اشتركت كندا فى المهرجانات بافلام من انتاجها ، وبدأ جمهور المشاهدين فى العالم يتعرف على الأسماء الكندية من امثال « بيير جاسمان » و « ليلي مارفن » .. ويوجد فى جامعات كندا ٣٢ قسما لدارسة وأبحاث الموسيقى ، كما لا ننسى اوركسترا مونتريال السيمفوني الذى قام بجولة اوربية عام ١٩٨٠ ، وشد انظار واسماع معظم العواصم التى زارها .

أما الارسال الاذاعي والتليفزيوني فهو ملك لشركات وافراد ، ولا تمتلك الحكومة الكندية سوى محطة واحدة رسمية ، وعلى سبيل المثال يوجد بمقاطعة تورونتو فقط ٤ محطات إرسال تليفزيوني ، بالاضافة لاستمتاع المشاهد ببرامج تليفزيونية لاكثر من ٧٩ قناة .

وعند عودتي وأثناء الرحلة الطويلة فوق المحيط الهادي والتى استغرقت حوالى ٨ ساعات ، كنت أفكر فى هذا الشعب الدؤوب الذى يحب عمله ويستمتع به ، كما يستمتع باوقات فراغه ، وجمال بلاده سواء فى اثناء الثلج او الحـــر . !

نادية رزق

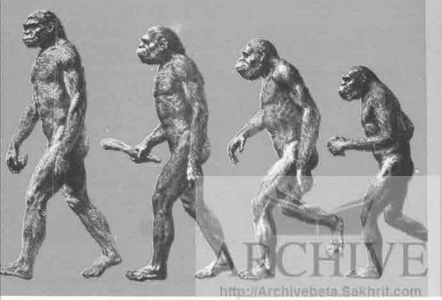
بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

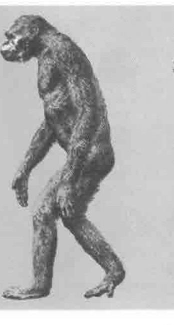


العلم أمام القضاء في قضية القرد المظلوم

فى أوائل هذا العام ، وبينما العلماء يحيون ذكرى مرور مائة عام على وفاة تشارلز داروين ، صاحب نظرية التطور الشهيرة ، ظهر لهم فى الأفق ما يكدر صفوهم ، ويعكر مزاجهم ، ويحول بعض اهتمامهم فيما يكتبون ويعلقون على اراء العملاق الذى يرقد منذ قرن من الزمان فى هدوء وسلام .. فهناك قضية مرفوعة امام إحدى محاكم ولاية كاليفورنيا تهاجمنظرية التطور ، والتطوريين ، والذى رفعها ضدهم مجموعة من الناس المتعصبين ، وهم الذين يطلقون على انفسهم « جماعة الخلق المستقل» .. أى أن الانسان لم يتطور عن قرد ! .

على هذه الصفحة ، وفيما يتلوها من صفحات ، تستطيع أن تشهد وتقارن « الموكب » المثير والغريب للكائنات التى ادت الى ظهور الانسان الحكيم فى رحلة طويلة عمرها حوالي ٢٥ مليونا من الاعوام ، وهي تشير الى الحلقات التطورية الناقصة التى تنبأ بها داروين منذ اكثر من قرن وثلث قرن من الزمان ... ولقد اشار إليها دون ان يشهد فى حياته اثرا لاي كائن منقرض منها ، فكل هذه المخلوقات التى نراها هنا قد كشف علماء القرن العشرين عنها الحجاب على هيئة حفريات فى القارة الافريقية ، وهى الدليل الوحيد الذى يستند إليه العلماء الآن فى رسم صورة شبه متقنة لأسلاف الانسان ، وهى ـ بلاشك ـ قابلة للتحوير والتعديل والتطوير ، كلما زادت حصيلة العلماء من الكشف عن حلقات اخـرى من الحفريات ... اما كيف توصلوا الى اظهار هذه الكائنات الحفرية بالصور التى نراها هنا ، فذلك يرجع الى منهج علمي له اصوله ومقوماته ، وهو ما سنتعرض له فى دراسات اخرى قادمة .. لاحظ أن البداية كانت مخلوقات اشبه بالقرود ، ثم اعتدلت قاماتها ، وكبرت رؤوسها ، وارتفعت جباهها ، وكلما مر الزمن ، تحولت من اشباه القرود الى اشباه الانسان .





ولقد شغلت هذه القضية اجهزة الاعلام التى بلغت فيها ، لتشغل بدورها الراي العام ، فطغت احداثها على مناسبة احياء ذكرى الرجل الذى هوجم كثيراً فى حياته ، وبعد مماته ، وإلى يومنا هذا ، فربما يستمر ذلك إلى اجيال قادمة .

ولم يحدث فى تاريخ العلم أن تقدم نظرية علمية لتمثل امام القضاء فى قفص الاتهام إلا هذه القضية المعروفة باسم نظرية التطور والنشوء والارتقاء والاختيار الطبيعي ، فالمعارضون للنظرية هم اصلا من خارج ساحة العلم ، وهم الذين يطلقون على انفسهم انصار أو جماعة « نظرية « الخلق المستقل » ، ودليلهم الوحيد الذى يستندون إليه هو ما جاء فى أسفار العهد القديم والجديد ، وهو ان الله قد خلق الانسان خلقاً مستقلا قائما بذاته ، ولا تربطه بالكائنات الأخرى ادنى رابطة ، ومن اجل هذا يعترضون على تدريس نظرية التطور فى المدارس حتى لا تصبح مفسدة لعقول النشء ، ومخيبة لآمالهم فى عقائدهم .

جدل مستمر

ففى أوائل هذا العام ، افردت معظم المجلات العلمية صفحاتها لعرض نظرية التطور بمفهومها الدارويني ، ومفهومها الحديث ، خاصة بعد أن زادت الحصيلة العلمية وتطورت على ايدي كثير من العلماء الذين جاءوا من بعد داروين ، ولقد شهدوا للرجل شهادة حق ، ولم يكن ذلك عن طريق مجاملة ، لان المنهج العلمي لا يحتمل المجاملة او النفاق او التدليس على حساب الحقيقة العلمية ، فهم ـ أي العلماء ـ الحراس والأمناء على محراب العلم من اي دنس أو تلوث ، ولو حدث ، فسوف يكتشفونه إن آجلا أو عاجلا ، لأن كل حقيقة علمية لاحقة ، قد تأسست على حقيقة سابقة ، ولهذا فان لبنات البناء العلمي ذاته هي الحقائق ، وطريقة البناء تتمثل فى النظريات والمعادلات والقوانين ، وهذه لم تنشأ من فراغ ، بل من نظام الخلق ذاته .. والنظام حق ، والخلق حق ، لانه من الحق ، ومن اجل هذا تقدم العلماء ، فتقدمت شعوبهم تبعا لذلك .

وفى أوائل هذا العام أيضاً ، نشرت عدة مجلات علمية تفاصيل هذه القضية التى رفعها اصحاب فكرة الخلق المستقل ضد نظرية التطور ، فتجيء مجلة علمية بريطانية (نيوساينتست ـ العالم الجديد) لتكتب تعليقاً مستفيضاً بعنوان « انتصار العلم ـ على الطريقة الأمريكية » ، وفيه تناولت عرضاً للقضية ، وتبعتها بعد ذلك بشهرين من نفس العام مجلة « العلم ـ ٨٢ » الأمريكية بمقال تحليلي عنوانه : التطور ـ منذ عصر داروين ، وفيه تناولت أيضاً نفس القضية بالتحليل ، كذلك أفردت مجلة « الكشف » العلمية الأمريكية مقالين ، احدهما بعنوان : المنادون بفكرة الخلق المستقل فى مجابهة خطرة مع التطوريين ، والثاني بعنوان : التطور كحقيقة ونظرية وهى أيضاً فى موضوع القضية ورغم حساسية الموضوع ، إلا أن القاضي لم يجد حرجاً ـ نظراً للأدلة القوية التى قدمها العلماء ـ فى



الحكم لصالح النظرية الداروينية . وعلى هذا تعلق إحدى الصحف الأمريكية : « الدين فى مجابهة العلم .. مرة اخرى » .. وهى بذلك تشير الى محاكمتين اخريتين جرت احداثهما فى امريكا عامى ١٩٢٥ ، ١٩٦٨ . وجاءت الاولى من جراء شكوى تقدم بها بعض أولياء التلاميذ فى إحدى مدارس ولاية تينيسي ضد احد المدرسين ـ لانه يفسد عقول التلاميذ بتدريس نظرية داروين المخالفة لنصوص الانجيل . ولقد عرفت هذه القضية باسم قضية القرد ، وصدرت عدة تشريعات قانونية تنظم هذه العملية ، لكنها لم تنفذ إلا فى اضيق الحدود ، ثم فقدت فاعليتها بمرور الوقت ، وعلى هذا يوجه محامى المتهم كلارنس دراو الى هيئة المحكمة سؤالا واقعيا : اليس من الصعب على العقل ان يتقبل انه بالامكان اجراء محاكمة من هذا القبيل فى القرن العشرين واين ؟ .. فى الولايات المتحدة الامريكية ؟! .. ومغزى هذا السؤال لا يخفى على لبيب ، لانه يعنى جمودا فكريا فى عالم اخذ باسباب العلم .

لكن مما لاشك فيه ايضا انه من الاصعب على العقل ان يتصور ذلك فى نهاية القرن العشرين ، وخاصة فى مسالة علمية يجب ان تناقش من قبل جهات علمية ، لا قضائية ، ورغم ذلك فقد ناصر القضاء راى العلماء . وقال القاضى اوفرتون فيما قال : ان نظرية الخلق المستقل ليست نظرية علمية ، وهى لا تستطيع ان تقف ضد نظرية التطور . ولقد كسب العلم هذه الجولة . لكن العلماء فى قرارة انفسهم يعلمون تماما انها لن تكون الجولة الاخيرة ، طالما ان الناس يجهلون معنى النظرية ، ومعنى الخلق الذى قامت عليه النظرية .

خلط مشين

ولاشك ان معنى النظرية فى عقول الناس ، غير معناها فى عقول العلماء ، فهى فى عرف الناس ظن وتخمين ، او هى حقيقة زائفة ، او قد يذهبون الى ابعد من ذلك فيستنتجون ان العلماء «يخترعون» النظريات لتغطية عجزهم فى الفهم والادراك ، وهذا ـ بدوره ـ قد يؤدى الى انطباع مشوش ربما يهوى بمعنى النظرية العلمية فى عقولهم الى الحضيض . فالحقيقة فى زعمهم اقوى من النظرية ، والنظرية وليدة الافتراض ، والافتراض ناشىء من التخمين ، اى كانما العلم فى عرفهم مجموعة من التخمينات ، تمخضت عن نظريات ، وبهذا المنطق الساذج والزائف ينشرون فتاواهم على الناس فيريحون ويستريحون .

وتختلط هذه المفاهيم الخاطئة اكثر فى عقول الناس الذين يهاجمون نظرية التطور ، وذلك عندما يتشدقون بان النظرية لازالت غير مستقرة بدليل أن العلماء انفسهم لايزالون يثيرون كثيرا من الجدل حولها ، وهذا وحده ، كفيل باسقاطها ، وبرهان قوى على فشلها (البعض يفضلها عفونة !) . وعندئذ «يفركون» ايديهم سعادة وطربا علامة على الانتصار .

وقد يكون ذلك صحيحا من حيث المظهر ، لكنه ليس كذلك من حيث الجوهر ، لان الجدال او النقاش فى المسائل العلمية ليس دليلا على الفشل ، إذ لو صح ذلك عند الذين يرددونه ، لاسمينا المؤتمرات العلمية «مؤتمرات الفشل» ،



لانها تقوم ايضا على الجدال والمناقشة وتبادل وجهات النظر ، واختلاف الاراء ، ليس فى مسائل سياسية او عقائدية او فلسفية او اجتماعية وما شابه ذلك ، بل فى حقائق الكون ذاته ، والاجتهاد هنا ليس فى الحقائق ، بل فى ادراكنا لهذه الحقائق ، وليس العلماء ـ بطبيعة الحال ـ نسخة واحدة فى الفكر ، بل لكل منهم فكره الخاص عن اية ظاهرة او حقيقة تخضع للدراسة والتجربة والتمحيص ، ولاشك ان عرض الاراء المختلفة ، وتناول وجهات النظر ، والاختلاف فيها وعليها ، لاشك انه ينطوى على عملية صقل وتطوير وارتقاء بالمفاهيم ، وعندما ينفض الجمع يذهب كل منهم ـ بافكار طازجة ـ الى معمله ومعهده ، ليبحث ويجرب ويستنتج ، ويعود بحصيلة ما جمع الى مؤتمر قادم ، وهكذا تسير الأمور ، وتتطور المفاهيم ، وترتقى المعرفة بحقائق الكون واسراره ، ومن اجل هذا يعطينا العلم باستمرار كل ما هو جديد ومتطور .

ومن خلال هذه المفاهيم لن تجد ادنى عناء فى معرفة اصول نظرية التطور ، لانها ايضا خضعت للتطوير بمرور الزمن ، وهى لازالت باقية وصامدة لان اساسها سليم ، وكل ما يضاف اليها ، يزيدها شموخا ورونقا واصالة ، وهى هنا كاى بناء اخر ، فاذا انهار البناء باضافة ادوار زائدة ، فلاشك ان الأساس عليه اساس واه وضعيف ، وعكس ذلك صحيح .

ثم ان العلم ليس كلاما يتردد ، بل منهجا اصيلا له مقوماته وتطبيقاته التى نراها مجسدة فى حياتنا ، ومن هنا تنبع اصالته ، وهو بهذا يختلف عن اى كلام اخر ، فما اكثر ما نصح الفصحاء وتحدث الخطباء ، وكتب الحكماء ، لكن كل هذا لم يتمخض عن تطبيق يطور حياة الناس او على الاقل يجعلهم ارقى سلوكا ، واكثر تالفا ، واعظم تعاطفا ، لكن حالنا ـ للأسف الشديد ـ يشير الى غير ذلك ، رغم الكلام الذى يتردد ليل نهار ، وربما كان العيب فى الناس ، وليس فى الحكم والنصائح او اى منهج اخر يعتمد على كلام كثير نستهلك فيه وقتنا وطاقتنا دون اضافة حقيقية تعلى شاننا !

لكل شيء بداية متواضعة

ولاشك ان نقد اية نظرية وتقييمها ، يستلزم ممن ينتقدها الماما عميقا باصولها ، ولهذا إذا اردنا ان نعرف قيمتها ، فلنرجع الى المشتغلين فى حقل الكائنات الحية ، او بالتحديـــــد فـى تطورها ، وهم كثيرون ، ولناخذ منهم واحدا كان قد ادلى بدلوه فى قضية القرد الاخيرة ، فنراه يعلق على تلك المحاكمة الغريبة فيقول : عندما اجلس لأفكر اننا لازلنا نقع مرغمين مرة اخرى فى شراك الصراع القائم على واحدة من احسن النظريات المؤسسة على الأدلة المدعمة بالحقائق ، ومن أعظم المفاهيم الواضحة فى مجال كل العلوم ، فاننى لا اعرف أن كان ذلك يدفعني لكي اضحك او لكي ابكي ! .

ويذكر دكتور ريتشارد دوكينز بقسم علم الحيوان ـ جامعة اكسفورد فى مقال له بعنوان « الداروينية المطلوبة » .. يذكر « إن نظرية داروين فى الوقت الحاضر قائمة ومدعمة بكل الدلائل التى لها صلة وثيقة بالموضوع ، ولا يشك فى صحتها الآن اي عالم من علماء الحياة المتمكنين » .

وفى مقالة له بعنوان « التطور منذ عصر داروين » يقول د . بويس رينسبيرجر رئيس تحرير مجلة العلم ـ ٨٢ » .. لو ان نظرية داروين التطورية ظلت بدون مجابهة او تغيير طوال المائة عام التى انقضت بموت الرجل ، لكانت واحدة من اندر وارفع الانجازات التى تمت فى العلوم ، فهى التى بصرتنا بالكيفية التى تقوم عليها الحياة ، كيف نفهمها ونصفها بدقة منذ اللحظة التى اعلنت فيها لكن المجابهة التى حدثت بين العلماء حول النظرية ، لم تكن بالتشكيك فى مدلول التطور ذاته ، بل فى الكيفية التى نعمل بها من خلال النظرية » .. وهو بذلك يعني أن الاختلاف فى الوسائل ، وليس فى الهدف ، لأن التطور ذاته لا خلاف عليه .

وحتى القاضي افرتون الذى حكم هذا العام لصالح النظرية يشير إلى ان « التطور هو حجر الزاوية فى العلوم البيولوجية الحديثة ، ولهذا فان كل طالب يحرم من تدريسه ، فلاشك اننا ننكر عليه جانبا هاما من المنهج العلمي » !

ولسنا هنا متحيزين لداروين ولا لنظريته تحيزا اعمى ، ولسنا كذلك فى موقف المدافع عنه او عنها ، لكن التحيز الحقيقي ينصب اساسا على ما درسناه ، وكذلك على الحقيقة العلمية التى تمتهن على أيدي ادعياء العلم ، إذ لو درسوا وتعمقوا ، لادركوا أن التغيير شيء متوارث فى طبائع الكون والحياة ، وان هذا التغيير يسير نحو هدف او اهداف لا خـــلاف عليها ، ثم ان كل شيء يبدا بسيطا ، وبمرور الزمن يتعقد ، او بمعنى اخر يتطور ، ليس فقط على مستوى الكائنات الحية ، بل على مستوى الكون ذاته بما فيه من سدم ونجوم ومجرات ، ومن وراء تلك سنن وشرائح تغير وتبدل وتطور ، ولهذا فانه من الصعب على العقل أن يتصور ـ مجرد تصور ـ ان يبقى كل شيء على حاله ، فذلك يعنى الجمود ، ولا ندري حقا كيف يعادي بعض الناس سنة التطور ، ويفضلون عليها فكرة الجمود ، اللهم إلا إذا كانت العقول ذاتها جامدة غير متطورة بتطور العصر الذى نعيش فيه ، فهذا يعنى التخلف ، ومن تخلف ، بافكاره تجمد ، فلا يلومن إلا نفسه ؟ ولن يضير العلم فى ذلك فى قليل او كثير .

وحتى فكرة التطور قد بدات ايضا بداية متواضعة ، ثم تطورت ، وكذلك الأديان التى انتهت فى اخر مراحلها بالاسلام (هل هناك اعتراض على ذلك ؟) ، فلقد اشار طاليس الفيلسوف الاغريقي الذى عاش فى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد إلى ان بداية الخلق قد ظهرت فى الماء ومن الماء ، ويجيء ارسطو بعده بقرنين من الزمان ليقارن بين بعض السمات التشريحية لبعض الحيوانات ، ويشير إلى وجود صفات مشتركة ترتقى بارتقاء رتبة الكائن الحي ، وحتى جد داروين نفسه ـ دكتور ايرازموس داروين ـ الطبيب والشاعر والعالم ـ قد الف كتابا فى عام ١٧٩٤ خصص جزءا منه لعلم الامراض ، والجزء الاخير عن توالد الأجيال فى الحيوان ، وفيه تعرض لشرح الحياة ذاتها من خلال نظرية تطورية ، فنراه يتساءل : هل نستطيع أن نتجرا كثيرا ونتصور على مدى عصور جد طويلة ، أي منذ ان بدات الأرض فى التكوين ، ربما بملايين العصور التى سبقت ظهور الجنس البشري .. هل يمكن ان تكون لدينا الجراة الكافية لنتصور ان كل الحيوانات ذات

الدم الحار قد نشأت من خيط واحد حي ..؟!» ..
ولقد كانت « جراته » على التصريح بهذا القول ناشئة من تخوفه من افكار عصره الذى عاش فيه ورغم ان كتابه هذا قد ترجم الى عدة لغات ، إلا ان احدا لم ياخذ ماجاء فيه محمل الجد ، على عكس ماجاء به حفيده تشارلز داروين ، فلقد كان جريئا غاية الجراة بالنسبة لعصره ايضا ، ويرجع ذلك - فى المقام الأول - الى وقوفه على ارض صلبة ، وتسلحه بحقائق كثيرة ، امضى فى تحقيقها سنوات طويلة ، حتى انه كان يصف نفسه بقوله « لقد سعيت بثبات لكي اجعل تفكيري حرا غير متحيز ، وبحيث لا اجد غضاضة فى التخلى عن اية نظرية اصل إليها ، مهما كانت قريبة مني ومحببة الى نفسي ، طالما جدت حقائق مناقضة لها » .. وهـــذه صفـــة محمودة ، لأن التحيز لراي بدون دليل يسانده ، سوف يصطدم لا محالة بمن يفنده ويهدمه ، وهو حرص واجب فى مجال العلوم التجريبية .

ويجيء العالم الطبيعي الكبير لامارك الفرنسي (١٧٤٤ - ١٨٢٩م) وهو واحد من اشهر عالمين طبيعيين فى فرنسا - ليدرس ويصنف الحيوانات اللافقارية الى انواع واجناس وعائلات ، ووجد بينها علاقات تطورية ، وبحيث تبدو وكانما هي ترتقى فى حلقات او درجات ، ولهذا كتب يقول : اي مواطني .. ابدأوا بابسط كائن ، وانتهوا باعقد كائن ، وعندئذ ستتوصلون الى الخيط الحقيقي الذى يربط بينهما جميعا ، وستتوصلون ايضا الى الفكرة المتقنة التى تدل على ارتقائها فى سلاسل تطورية ، وستقتنعون تماما ان ابسط الكائنات قد تمخضت عن كل ما عداها » (اي ما فوقها) .

وطبيعي ان داروين قد اطلع على كل هذه الآراء ، ودفعته دفعا الى مزيد من البحث والتقصي والملاحظة ، وقدم لنا ثروة علمية هائلة ، فاقت كل ما حصله السابقون كما ونوعا ، ولقد فسرها بما يتلاءم مع امكانات عصره المتواضعة ، وهي تختلف حتما عن الامكانات المذهلة التى يعيش فيها علماء القرن العشرين ، وبها تعمقوا فى باطن الخلق ، فتطورت افكارهم بتطور الحصيلة العلمية الهائلة التى تتعاظم مع مرور الزمن .

بين الظاهر والباطن

ولاشك ان الخلق ينطوى على ظاهر وباطن ، والظاهر للناس ، والباطن للعلماء ، إذ يرونه - اى الباطن - بعين غير عيونهم التقليدية ، ولقد توصل كل من داروين ووالاس الى حقائق التطور من خلال نظرتهما ودراستهما للظاهر ، اى الى الصفات التى يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، لكن ليس كل من نظر بقادر على ان يستنتج ، بل إن ذلك يستلزم استعدادا خاصا واستيعابا جادا ، وفكرا منظما ، ومنهجا علميا محددا ، وتدوينا له أصول ، وحصيلة تحتاج الى ترتيب ، ثم ربط كل هذا فى نسيج من المعرفة .. هو النظرية العلمية .

وغنى عن القول ان الخلق منظم ، ولقد انعكس نظامه على فكر منظم كذلك ، ومن اجل هذا يحقق العلم اهدافه ، ويصل الى انجازات لا يستطيع الوصول اليها هؤلاء الذين يقفزون الى الاستنتاجات قفزا ، او يحكمون على النتائج العلمية حكما غوغائيا ، او ياخذون الامور اخذا عشوائيا ، ذلك ان الاستنتاجات العلمية بمثابة مخاض عقلى صعب ، او ولادة عسرة تخرج من العقول المهياة لها بعد تمحيص عظيم ، وصقل جميل ، وطبيعى ان اى عالم جاد يدرك مقدما ان نظرياته او استنتاجاته سوف تخضع إن اجلا او عاجلا الى اختبارات مستمرة من العلماء الآخرين ، فاذا حققت الهدف ، تقبلوها قبولا حسنا ، وإذا كان غير ذلك ، فالى سلة المهملات !

ولقد اعترف داروين بعجزه عن ادراك بعض النقاط التى قابلته فى دراسة الكائنات وتنوعها وارتقائها فى حلقات ، ولابد ان نعطيه عذره ، إذ لا يمكن لانسان ان يتوصل الى معرفة كاملة ، ولقد عرف العلماء الذين جاءوا من بعده ما غاب عنه ، وخاصة علماء النصف الثانى من القرن العشرين ، لانهم درسوا الظاهر والباطن بتفصيلات اكثر ، وعرفوا ان تنوع الكائنات وارتقائها إنما هو نتيجة لفكرة رائعة ارسى الله قواعدها فى الباطن .. فى لب الكائنات ، والفكرة تكمن فى شفرات وراثية لم يكن داروين يدرى عنها شيئا ، ولا كذلك العلماء الذين عاشوا فى عصره ، ولو عرفها ، لكانت نظريته فى اصل الانواع اتقن بناء ، واكثر اشراقا فى العقول ، لكنه مع ذلك حقق الكثير من خلال دراسات مقارنة بين الانواع ، وتوصل الى وجود علاقات واضحة تربطها فى حلقات ترتقى وتتطور بمرور الزمن .

وطبيعى أن الذين ينظرون الى الكائنات نظرة سطحية يجدون انه من الصعب جدا على الفهم والادراك أن يتقبلوا علاقة هذه الكائنات ببعضها او اشتراكها فى اصل واحد ، ولهم عذرهم ، فما هى الصلة مثلا بين سمكة تسبح ، وثعبان يتلوى وطائر يطير ، وحيوان يمشى على اربع ، واخر ينتصب معتدلا على ساقين ؟ .. ومن هذه المقارنة السطحية تنبع فكرة الخلق المستقل لكل نوع من الانواع ، ومع ذلك فالعلم لا يستقى منهجه من اراء الناس ، بل إن مرجعه الأصيل الذى يرجع اليه ، هو «كتاب» الخلق ذاته ، او «القاموس» الصادق الذى يحوى المفردات ، والمفردات تنعكس على الصفات الظاهرية التى نراها فى الكائنات ..

اصول مشتركة

ويمثل هذا المفهوم المبسط ينظر العلماء الى كل الكائنات ، بما فى ذلك الانسان بطبيعة الحال فكلها من عناصر هذه الأرض ، والعناصر فيها جميعا واحدة ، وهى تتجمع حسب خطط موحدة

تعريف بأسلاف الانسان التى انقرضت ، وهي التى تراها فى العرض المصاحب لهذا المقال :

١ - بليوبيثيكس : الاصل الذى تسلسل عنه قرد الجيبون .
٢ - بروكونسول : الاصل الذى تسلسلت عنه القردة العليا (مثل الشمبانزى)
٣ - دريوبيثيكس : لازال عليه جدل فى صلته بالكائنات الشبيهة بالانسان .
٤ - اوريوبيثيكاس : مشكوك فى صلته بالجذور القديمة لأشباه الانسان .
٥ - رامابيثيكاس : بداية اصول اشباه الانسان ، وظهر منذ ٥ مليون عام .
٦ - اوسترالوبيثيكاس : طور متقدم عن سابقه ، وكان يمشي منتصبـــا على قدمين .
٧ - بارانثروبس : من اشباه الانسان ، وظهر من حوالي ٣ مليون عام .
٨ - اوسترالوبيثيكاس الاحدث : جاء بمخ اكبر وعرف استعمال الاحجـــار كادوات .
٩ - هومواريكتس (اي الانسان المعتدل): اول بشائر عائلة الانسان .
١٠ - نوع مبكر وبدائي يتبع الجنـــس البشري ، وبدا ظهوره منذ ٤٠٠ الف عام وانقرض .
١١ - انسان جاوة - يحمل صفات بشرية ومشكوك فى نسبه ، وانقرض .
١٢ - انسان روديسيا : ارقى من الانسان المعتدل ، لكنه انقرض .
١٣ - انسان نيندرتال : عاش متجولا حول حوض البحر الابيض وانقرض .
١٤ - انسان كرومانيون : اقرب الى الانسان الحديث او الحكيم ، فقد كان اول من عرف الرسم على جدران الكهوف .
١٥ - الانسان الحديث (هوموسابيينس) جاء متوجا للمشوار الطويل .

ونظم مقدرة ، ومنها تنشا الشفرة ـ شفرة الحياة والشفرة ايضا واحدة ، لكن من اهم صفاتها الطفرة ، والطفرة تعنى تغيرا او حيودا عن الأصول ، ومن هذا السر الذى كشف العلم الحديث عنه الحجاب ، يمكن تفسير التنوع الهائل فى طوفان المخلوقات ، والتنوع والتغير يحمل فى طياته بذور التطور . ولاشك ان حصيلتنا العلمية عن اسرار الشفرة الوراثية ، والتكوينات الخلوية ، والتفاعلات الكيميائية ، والعمليات الفسيولوجية ، والهندسة العضوية التى تقوم عليها حياة المخلوقات حصيلة هائلة لها وزنها ، ومن خلالها نستطيع أن نتتبع مسارات التطور واصوله ، لكن هذا موضوع اخر سوف نفرد له دراسة مستقلة ، لنوضح فيها الفكرة البديعة التى وضع الله أسرارها فى كل مخلوقاته ، فخلق يقوم على فكرة مذهلة احق ان نتدبر فيه ، ونسعد به ، ولا يقدر ذلك إلا العلماء العالمون ببواطن الأمور .

وطبيعى اننا لا نستطيع أن نتعرض هنا لكل الأصول الموجودة فى الخلق ، ولا كذلك الاصول التى قامت على اساسها نظرية التطور ، فما عرض منها ، وما قيل عنها ، لا تكفيه مجلدات من فوق مجلدات ، لكن يكفى ان نشير هنا الى ظاهر الخلق ، فهو اقرب الى تصور الناس ، وهو ايضا الذى دفع داروين الى صياغة نظريته ، ولكن بدراسات اعمق غورا ، واستنتاجات اعظم تنظيما .

فهناك علم قائم بذاته يتناول تقسيم المخلوقات الى ممالك وقبائل وطوائف ورتب وعائلات واجناس وانواع وسلالات ، ولابد من هذا التقسيم ، لأنه فى حد ذاته ينطوى على تنظيم ، خاصة وان لدينا حصيلة هائلة من انواع الكائنات ، فعددها يربو على المليونى نوع ، غير ما انقرض واندثر ، وهو كثير ، ولهذا يقدر العلماء ان عدد الانواع التى انقرضت يزيد على عشرة ملايين نوع ، وفى تقدير اخر عشرون مليونا ، ومعظمها اكتشف على هيئة حفريات محفوظة او مطبوعة على الصخور .

إذن .. كيف يمكن دراسة هذه الملايين من الأنواع ، وايجاد علاقات بينها ، فنحيل هذه الفوضى الظاهرية الى نظام ؟

الواقع أن النظام موجود ، لكنه يحتاج من يرتبه ويصنفه فى مجموعات تجمعها صفات مشتركة .. وربما كان القرآن الكريم قد ألمح الى ذلك بطريقة مختصرة «والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشى على بطنه ، ومنهم من يمشى على رجليه .. ومنهم من يمشى على اربع ، يخلق الله ما يشاء» (النور / ٤٥) .. وعلى هذا الخلق ينكب العلماء فى تقسيمات كثيرة كما ألمحنا .. فهناك مثلا الحيوانات الفقارية ، اى التى لها سلسلة ظهرية تتكون من فقرات والحيوانات اللافقارية اى التى بدونها ، ولهذه وتلك قبائل وطوائف ، فمن الفقاريات مثلا تبرز طائفة الثدييات ، اى التى تدر لبنها فى غدد (حلمات) لترضع بها مواليدها ، ونحن من الثدييات ، لأننا نرضع كغيرنا ، وغالبا ما يكون لاناثها ارحام لتحمل فيها اجنتها ، ومن هنا كانت لنا بعض صفات مشتركة مع ما دوننا .. كذلك تنقسم الثدييات الى ٣١ رتبة ، ولنا رتبة تسمى الأوليات وتشترك معنا فيها على سبيل المثال لا الحصر عائلات قرود العالم القديم والجديد والقردة العليا (الشمبانزى وانسان الغاب والغوريلا) وهى اقرب الأنواع شبها بالانسان ، ومع ذلك ، فالعلماء متفقون على اننا لسنا من سلالتها او اصولها ، لأن شجرة النسب قد تفرعت من اصل اخر قديم ، وسوف نعود لتوضيح ذلك بشىء من التفصيل فى دراسة قادمة .

هذه إذن قطرة من بحر ، لأن علم التقسيم يقع فى مجلدات من فوق مجلدات ، فلو اننا افردنا لكل نوع (حى ومنقرض) نصف صفحة فقط للتعريف به ، فان ذلك يستلزم ما بين خمسة وعشرة ملايين صفحة ، تشغل خمسة الاف مجلد (على اقل تقدير) ، فى كل مجلد ٢٠٠٠ صفحة .. و «يخلق الله ما يشاء» ، ليدرس العلماء ليل نهار ..

وقد يبدو اننا خرجنا من موضوع الى موضوع ، وما ذلك بخـــروج ، بل اوردنا ما اوردنا ليتبين لنا كيف يتعامل العلماء مع هذا الطوفان من انواع المخلوقات ، ومنهم داروين بطبيعة الحال ، لكن ذلك لا يوضح لنا كيف تسلسلت كل هذه الكائنات من بساطة الى تعقيد ولا كيف اشتقت من أصل واحد ، تمخض بعد ذلك عن اصول ، ثم كيف يمكن تصور ان هناك علاقة ما بين الديدان والحشرات والبرمائيات والأسماك والزواحف والطيور والحيوانات الثدية بما فيها من خنازير وخيول وجاموس وفئران وقطط وكلاب وقرود .. وبشر ؟

إنه تصور صعب وردىء ، ومع ذلك ، فان كل من يدرس ، لابد أن يستنتج ويدرك ، وهذا ما فعله داروين ، او من جاء قبله وبعده ، ومن هذه الاصول نشأت نظرية التطور ، لتفسر التطور والتنوع ، لكن لابد أن نشير ان النظرية ذاتها قد اخذت عليها بعض المآخذ ، لكن ليس معنى ذلك انها فى جملتها خاطئة او زائفة ، بل يعنى أن مفهومنا الأكثر تطورا للتطور ذاته قد اعطانا زادا فكريا اكبر ثراء ، لنحكم حكما اكثر صوابا ، ونرتقى بها الى الصيغة المناسبة لأنماط التفكير العلمى المعاصر .

وماذا تمضخت عنه بحوث العلماء الحاليين عن اصل الانسان وحسبه ونسبه ؟ .. وهل تخلوا عن الفكرة التى نادى بها داروين من قبل ، ونسب الانسان الى رتبة القرود ؟

الواقع ان داروين لم يقل ذلك صراحة ، بل اشار الى أن الانسان ـ بطبيعة اشتراكه فى صفات كثيرة مع صفات الرتبة ـ له اصول قديمة اشتق منها ، لكن هناك فجوة واسعة ، او حلقات تطورية ناقصة بين الانسان واقرب الكائنات الحية شبها به ، نعنى عائلة القردة العليا ، وهو لم يستطع طيلة الخمسين عاما التى قضاها فى البحث ان يشير الى حلقة واحدة ، واعتبر ذلك نقصا معيبا فى نظريته ، لكنه ـ مع ذلك ـ اشار الى امكان الكشف عن بعض هذه الحلقات التطورية او كلها ، وقال : ان القارة الافريقية ربما تكون هى الموطن المناسب للبحث عن هذه الأصول فربما وجد من ياتى بعده ما اسماه باشباه الانسان .

ولقد تحققت نبوءته ، واكتشف علماء الحفريات ثروة لاباس بها من مخلوقات حفرية مثيرة ، فلا هى ببشر ، ولا هى بقرود ، لكنها تتدرج من صفات القرود الى صفات الانسان الحالى ، واصبح للانسان عائلة قديمة تضم عدة انواع ، انقرضت جميعا ، بعد ان عبرت عليها الحياة مشوارها الطويل ، لتنتهى بالانسان ، وهو ما تراه فى الصور المنشورة ضمن هذا المقال ، ففيها ما يغنى عن الكلام فى مثل هذا المجال ، لكنك تستطيع ان ترى بنفسك ان الأنماط شبه البشرية تختلف اعظم ، كلما باعدت بينها حقب زمنية اطول ، وهى تقدر هنا بملايين السنين .

وقد يخالج الكثيرون الشك فى طبيعة هذه الكائنات ، وقد يتساءلون بمرارة : ومن اين جاء العلماء بهذا ، وهو ما لم يره احد على الاطلاق ؟ .. وقد يستطردون فيقولون : ان الأمر يبدو وكأنما هو «تلفيق» متقن لشىء غير موجود اساسا ، وإلا فأين الدليل الذى يوضح ذلك ؟

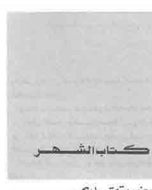
صحيح ان احدا لم ير مثل هذه المخلوقات ، لكن العلماء اكتشفوا الكثير منها فى القارة الافريقية .. اكتشفوها حفريات محفوظة ، وراوها عظاما مدفونة ، وعاينوها هياكل تنبىء عن الأصول .. كيف ؟

لهذا دراسة اخرى قادمة نوضح فيها الأمور ، ونقرأ منها «كتاب» التاريخ المطبوع على صفحات الصخور .. فالصخر احيانا اصدق انباء من الكتب ، ومن الناس ، «ولكن أكثـــر الناس لا يعلمون» .

د. عبد المحسن صالح



المستشرق الفرنسي « روجيه جارودى » الذى يحتوى كتابه عن الاسلام على معلومات جيدة مطلوب الاطلاع عليها للدراية والمعرفة



عرض وتقديم :
الدكتور علي حسن تقي

نشرت الصحف فى الفترة الأخيرة خبرا عن المستشرق الفرنسى الكبير « روجيه جارودى » يقول انه قد اعتنق الاسلام بعد أن قضى سنوات طويلة فى دراسة الفكر الاسلامى .. وعلى هذه الصفحات عرض لآخر كتاب كتبه جارودى فى الدفاع عن الاسلام !

مستشرق فرنسي في دفاع مجيد عن الإسلام

وعود الإسلام

للفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي

فى كل عام تصدر فى فرنسا عشرات الكتب عن العرب والاسلام . بعض هذه الكتب جيد وبعضها سيء ، ولكن معظمها لا يصل إلى القارىء العربى لعدم المعرفة باللغة الفرنسية أو لتعذر التسويق . كما انه لا يترجم الى اللغة العربية إلا القليل جداً من هذه الكتب . ومن بين ما صدر مؤخراً من كتب جيدة عن العرب والاسلام هو كتاب « وعود الاسلام » للفيلسوف الفرنسي الكبير روجيه جارودي . وجارودي ليس غريباً عن الاسلام والعرب فموقفه من الاستعمار الفرنسي فى المغرب العربي معروف وكذلك موقفه من الثورة الجزائرية . فعندما كان الاستعمار الفرنسي فى الجزائر يمنع على العرب المسلمين تعلم لغتهم وثقافتهم ودينهم كان صوت جارودى يأتي ليساعد الجزائريين على الوقوف ضد محو ثقافتهم الأصلية وضد "التفرنس" كما يتذكر ذلك الدبلوماسي الجزائري محمد البجاوي الذى قدم لكتاب « وعود الاسلام » ، كما أن جارودى قد ساند جميع حركات التحرر فى العالم .

لقد ظل الاسلام فى نظر الغرب مشوها لمدة طويلة . فقد اقترن بالفقر والجهل والتخلف والتعصب ونسي عهود الاسلام المشرقة . وحتى كتابات الشعراء الرومانسيين الغربيين مثل جوته وستندال وجوتييه وجيرار دى نيرفال الذين اعجبوا بالعرب والشعراء المسلمين لم تغير كثيرا فى نظرة الغربيين للعرب والمسلمين .

ولقد ظل الامر هكذا حتى هذه السنوات الأخيرة . ولكن فى السنتين او الثلاث الماضية اخذ الغرب يهتم مرة اخرى بالاسلام وبصورة جدية ومباشرة .

إن الاسلام هو دين الاغلبية فى كثير من بلدان اسيا وافريقيا والشرق الأوسط كما أن هناك اقليات اسلامية كبيرة فى الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية . ولا ننسى ان الشرق الأوسط يأخذ اهمية خاصة بالنسبة للغرب فهو يقع على أبواب اوربا كما أن البلاد العربية التي تشكل اكبر رقعة من الشرق الأوسط تحتل المرتبة الاولى فى انتاج وتصدير البترول علاوة على كونها سوقا للمنتجات الصناعية الغربية .

لقد ادت كل هذه العوامل الى اهتمام الغرب بالعرب والاسلام من جديد . فتوالت الدراسات والكتابات عن هذه المواضيع . وكما قلنا فى أول هذا المقال فانه يصدر فى فرنسا وحدها سنويا عشرات الكتب عن العرب والاسلام .

إن من الأهمية بمكان ان نطلع على هذه الكتب والدراسات التى تصدر فى الغرب اولا: من حيث ان بعضها يحتوي على معلومات جيدة يجب على العربي والمسلم ان يطلع عليها للمعرفة والدراية وثانيا: أن كثيرا من هذه الكتب توضح لنا نظرة الغرب الى العرب والاسلام وموقفه منا .

ان كثيرا من هذه المواقف خاطئة ومبنية على احكام مسبقة توارثها الغرب منذ العصور الوسطى . فكثير من الغربيين ينظر الى الاسلام على انه دين متعصب وعداوني ، وان العرب هم شعب من المتعصبين وفيهم خطر كبير على اوربا خاصة لمركزهم الجغرافي فى جنوب البحر الابيض المتوسط . والغربيون يتذكرون العرب فى الأندلس لا على انهم امة متمدنة قدمت للعالم حضارة متكاملة وسابقة للحضارات الغربية بل على انهم غزاة .

كما انهم يعتبرون هزيمة العرب فى بلاط الشهداء (معركة بواتييه فى فرنسا) على انه نصر للغرب المسيحي المتمدن على الغزاة العرب المسلمين . كما أن الحروب الصليبية من جهة اخرى قد عمقت هذه النظرة الغربية للعرب والمسلمين . واخيرا لا اخرا فهم لا زالوا يتذكرون الامبراطورية العثمانية وحصارها لفيينا وتهديدها للغرب فى البحر الأبيض المتوسط .

تصحيح بعض الاخطاء

هذه النظرة الغربية للعرب والاسلام تحمل كثيرا من المغالطات المتوارثة بعضها متعمد والبعض مبطن . فالعرب لم يكونوا غزاة ظالمين للأندلس بل على العكس حيث ان شعب شبه الجزيرة الأيبيرية هو الذى ايد العرب ليخلصوه من حكامه الظلمة . فأسس العرب فى ايبيريا مدنية قلما وجد مثلها فى التاريخ . كما ان معركة بلاط الشهداء لم تكن غزوة من قبل العرب لفرنسا كما يؤكد ذلك روجيه جارودي وإنما كانت زيارة ودية لفصيلة من الجند العرب بدعوة من امير فرنسي فهاجمها بعض الفرنسيين ، فضخمت المعركة وبولغ فيها إلى أن جعلوها من اهم الأحداث فى تاريخ فرنسا بل وفى تاريخ الغرب عامة .

لقد آن الأوان لتبديد جميع هذه المغالطات وإحلال الحقيقة محلها . فكما ان العرب بحاجة الى اوربا فان اوربا كذلك بحاجة الى العرب . إن اوربا المسيحية هي أكثر ما تكون اليوم بحاجة الى معرفة الاسلام على حقيقته . كما ان اوربا الصناعية هي احوج ما تكون الى معرفة الشرق الأوسط الذى يحمل المواد الخام والذى يحمل معه كذلك المستقبل . وهذا ماأراد ان يفعله الفيلسوف الكبير روجيه جارودي فى كتابه الجديد « وعود الاسلام »

مصدران ؟ أم ثلاثة ؟

لفترة طويلة اعتبر الغربيون ان حضارتهم قد جاءت من مصدرين لا ثالث لهما . الاول : هو الحضارة اليونانية الرومانية ، والثانى : هو الوحي الالهي لأنبياء اليهود واخرهم المسيح بن مريم عليه السلام . وبالرغم من أن هذه النظرة قد برهنت خطاها وكتب عن ذلك بعض الكتاب قبل روجيه جارودى إلا أن جارودي يعيد البرهنة على خطأ هذه النظرية ببراهين كثيرة ودامغة . فالحضارة اليونانية الرومانية لم تكن حضارة نمت من لا شيء وإنما سبقتها حضارات اخذت عنها واستفادت منها . فحضارات وادى الرافدين ووادى النيل ووادى الأندوس فى الهند كانت اقدم من الحضارة اليونانية وقد اصبح واضحا الآن أن هذه الحضارات كانت على اتصال بعضها ببعض وان الواحدة تأثرت بالأخرى . اما المسيحية فانها كذلك لم تكن بمعزل عما كان يجرى فى جميع بلدان الشرق الأوسط فاليهود كانوا فى بابل وفى مصر وهناك أنبياء عرب الى جانب أنبياء اليهود وان ابراهيم الخليل عليه السلام كان اب العرب واليهود على حد سواء .

الاسلام وتراث الغرب

لقد نمت الحضارة الغربية الحديثة وتطورت بعد ظهور الاسلام وانتشاره فى العالم وبعد قيام الامبراطورية العربية الاسلامية فى الأندلس وصقلية فلماذا لا يعتبر الغربيون الاسلام مصدرا ثالثا لحضارتهم . لقد رفض الغرب هذا الارث الثالث وهذا الرفض يؤدى بالتالى الى فقدان الوحدة بين الشرق والغرب حيث إن العرب هم همزة الوصل فى هذه الوحدة وهم بناتها . ان اول نهضة اوروبية حدثت فى اسبانيا بعدة قرون قبل تلك التى ازدهرت فى ايطاليا ، وحتى النهضة الايطالية جاءت فى بادىء الأمر من جزيرة صقلية التى عاشت تحت حكم العرب المسلمين فترة طويلة فازدهرت فيها الحضارة وتقدمت المدنية .

إن معرفة ما يدين به الغرب للاسلام ليست مهمة المؤرخ او العالم بل انه واجب كل فرد تهمه الحقيقة والمستقبل . فالاسلام بالنسبة للغرب لم يعد ذلك الدين المخيف كما كان الحال ايام الحروب الصليبية وحرب الجزائر . الاسلام هو هذه الرؤية لله والعالم والانسان الذى يخصص لكل علم وفن ولكل انسان ومجتمع خطة بناء عالم ربانى وانسانى يحتوى على البعدين الأساسيين البعد المتسامى والبعد الاجتماعى .

نقد الحضارة الغربية

فى هذه المقدمة لكتابه يقرر جارودي أيضا الحقائق الهامة التالية :

وعود الإسلام

للفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي

اولا : ليس هناك نظام اقتصادي عالمى جديدبدون نظام ثقافي عالمي جديد .

ثانيا: ان مصيبة الغرب اليوم سواء فى البلاد الراسمالية او الاشتراكية هو اعتماده على النمو المتواصل بدون هدف انساني او اخلاقي . هذا الواقع قد ادى الىمشاكل كثيرة ويؤدى بالتالي الى استعباد الآخرين والسعي وراء الهيمنة واستغلال العالم الثالث .

ثالثا: ان المسالة الاساسية والحية لعصرنا هذا ليست هي الصراع بين الراسمالية والاشتراكية التى تسعى كلاهما الىالهيمنة واستغلال الآخرين بل ان المسالة هي فى خلق مجتمع يتعدى الفردية المشوهة التىتفصل بين الفرد ومجتمعه ويتعدى ايديولوجية التقدم الذى يفصل بين العلوم والتكنولوجيا وبين الحكمة . انها في بناء مجتمع اخلاقي يجمع بين البعدين الاخلاقي المتسامي وبين مفهوم الأمة .

لقد حطم الاسلام الامبراطوريات القائمة فى زمانه ليس بقوةالسلاح فقط وإنما بقوة الدعوة الاسلامية التى دعت الىالمساواة بين البشر فجعلت شعوب هذه الامبراطوريات تتقبل الاسلام بسهولة لتخرج من الظلم والاضطهاد الذى كانت ترزح تحته فى ظل هذه الامبراطوريات .

مفهوم الجهاد

ينتقل جارودي بعد ذلك الى شرح مفصل عن وضع الجزيرة العربية قبل الدعوة الاسلامية وكذلك حالة الدول المجاورة فى ذلك الوقت ، وكيف أن شعوب هذه الدول كانت تعاني من الظلم والاستعباد ، فلذلك كانت على استعداد لتقبل الدين الاسلامي الذىيدعو للمساواة والاخاء والعدل . وبهذا الخصوص يتحدث جارودي عن مفهوم الجهاد فى الاسلام حيث ان الغربيين قد شوهوا الدعوة للجهاد وجعلوا منه (بعبعا) مخيفا . فالجهاد فى عرفهم لا يعني إلا القتل المتعصب والحرب المدمرة . لذلك فان جارودي يتوسع فى الحديث عن مفهوم الجهاد لكي يوضح للغربيين معناه الأساسي . « فالجهاد » لايعنى القتل والقتال حيث ان هناك كلمة اخرى لذلك وهي كلمة « الحرب » وإنما كلمة « الجهاد » جاءت من الجهد وهي تعني الجهد والاجتهاد فىسبيل الله ، فالقرآن الكريم واضح حين يقول « لا اكراه فى الدين » . إن القتال فى سبيل الله ليس سوى الوجه الآخر من الجهاد . فالاسلام يميز بين الجهاد الاكبر والجهاد الاصغر ، والجهاد الاكبر هو الجهاد ضد النفس للسيطرة على شهواتها وانانيتها وغرائزها وهذا هو الجهاد الاكثر صعوبة . وقد ميز النبي صلىالله عليه وسلم بين الجهادين فى حديث شريف .

يختتم جارودي مقدمة كتابه بالقول انه قبل التحدث عن الاسلام فى الوقت الحاضر وعن اثره على النهضة فى اوربا وما يمكن ان يقدمه للمستقبل فانه حرىبنا ان نتبين ما قدمه الاسلام فى السابق من صفحات مشرقة .

فى الفصول التالية من الكتاب يعرض جارودي بشكل مختصر انجازات الاسلام فى شتى الميادين .

انجازات الاسلام

فى الفصل الاول من كتابه يتحدث جارودي عن الصوفية . ويبدا بالقول بان الصوفية هي بعد من ابعاد العقيدة الاسلامية . فهي بعدها الداخلي . وان اية محاولة لجعلها تيارا مستقلا او عملا منفصلا يسيء اليها بالضرورة . فالاسلام الذى هو دين الوحدانية لا يفصل بين التامل والعمل ، بين الداخل والخارج . فالصوفية وهي شكل اسلامي للروحانية هي في الأساس توازن بين الجهاد الاكبر (اي الجهاد ضد كل الرغبات التى تبعد الانسان عن مركزه) وبين الجهاد الأصغر اي العمل لوحدة وتناسق الأمة الاسلامية ضد كل اشكال الوثنية سواء وثنية السلطة او الثروة او المعرفة الخاطئة التى تبعده عن طريق اللـــــه .

اصالة التصوف الاسلامي

إذن فانه من الخطا جعل الصوفية مطابقة للباطنية المسيحية او التامل الهندي . صحيح انه مع انتشار الاسلام حدث هناك بعض الاتصال بالباطنية المسيحية والتقشف البوذي ولكن المنبع العميق للصوفية هو القرآن الكريم .

يتحدث جارودي بعد ذلك عن الحب الصوفي وعن الشعر الصوفي فيقول ان الشعر الصوفى هو قمة الشعر العالمي ، وان الشاعر جلال الدين الرومي هو أحد القمم الشعرية العالمية إن لم يكن اعظمها . ويستعرض الكاتب اهم الشعراء الصوفيين . ثم ينتقل الى نقد الحضارة الغربية حيث الفرد الغربي فقد كل وحدة فى علاقاته مع الطبيعة والمجتمع والله . ويستطرد جارودي فى نقده للمجتمع الغربي منذ النهضة وحتى الآن ويقول إن الاسلام بامكانه ان يقدم الخميرة للصراع ضد الغربة وضد السيطرة على الانسان من قبل ،، ضرورات ،، قادمة من الخارج تسحب الانسان خارج نفسه وخارج مركزه ، لقد استطاع الاسلام ان يوجه الدور التحرري ضد الاستعمار والغربة التى فرضها الاستعمار وان الذين ينتقدون الانظمة السياسية التى تدعى الاسلام يجب عليهم ان يسالوا انفسهم هذين السؤالين :

١ ـ ما هو نصيب الغرب الاستعماري فى تعصب بعض الأنظمة الاسلامية ؟

٢ ـ انه من النبل بمكان أن لا نقارن بين نظام اسلامي كما هو ونظام مسيحي او اشتراكي كما يجب ان يكون فليس هناك اليوم مجتمع اسلامي مثالي كما ليس هناك مجتمع مسيحي او اشتراكي مثالي .

الاقتصاد .. والقانون .. والمرأة

فى الفصل الثاني من كتابه ينتقل الكاتب الى مسالة العقيدة السياسية ، وهو يتبع نفس الطريقة فى عدم فصل مشاكل العقيدة عن مشاكل المجتمع وذلك بالمحافظة على الوحدة بين التسامي والأمة بين الوحدة ومظاهرها .

ا) ففى الاقتصاد يقول جارودي إن أهم شيء فى الاسلام هو ان الملكية ليست للفرد او للجماعة او للدولة ، وإنما هي فعل اجتماعي . فالمالك ليس سوى منفذ وعليه ان يقدم حسابا بذلك للأمة مهما كانت صيغة الملكية سواء فردية او اجتماعية او حكومية . فالقرآن الكريم يندد بالذين يجمعون المال ويعددوه او يخزنوه كما ان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول بان ملكية الارض هي للذى يعمل بها .

ب ـ اما فى القانون فكما أن الله هو

الملك الوحيد فانه هو المشرع الوحيد . وهذا هو المبدا الاساسي لنظرة « التوحيد » فى الاسلام . فالتعاليم القرانية الاساسية بعكس الفردية الغربية الهوجاء هي ان الفرد ليس حقيقة معزولة وإنما يكون جزءاً من كل اعظم هو الامة وان الامة محدودة بغايات اعلى منها . وبهذا الخصوص يتعرض جارودي الى مسالة حالة المراة فى الاسلام فيقول انه يجب ان نفرق بين امرين اولا : التفريق بين التعاليم القرانية الكريمة والتطبيق فى الدول الاسلامية . وثانيا : المقارنة بين التطبيق الواقعي للشعوب المسيحية والتطبيق الواقعي للشعوب الاسلامية (وليس بين النظرية بالنسبة للبعض والتطبيق بالنسبة للآخرين) . ثم يبين جارودى بعض النقاط حول الموضوع وهي نقاط معروفة ولا داعي لتكرارها .

زيف الديمقراطية

ج) اما فى السياسة فحيث انه فى المنظور الاسلامي ليس هناك سلطة إلا لله فكذلك فى السياسة تقودنا هذه النظرية إلى نتائج شبيهة بتلك التى بيناها في الاقتصاد والقانون . فبجعل السلطة نسبية (الله اكبر) فان الاسلام لا يمكن ان يكون مطابقا لا للتيوقراطية (حكم رجال الدين) ولا للملكية المطلقة (الملكية المقدسة كما فى الغرب) ولا الديمقراطية البرلمانية . فالقرآن يبعد على سبيل المثال الملكية



الشاعر الالمانى جوته .. رغم كتاباته عن العرب واعجابه بالشعراء المسلمين ، فان ذلك لم يغير من نظرة الغربيين للعرب والمسلمين !

الدينية او حكم رجال الدين لانه لا توجد فى الاسلام كنيسة كما هو الحال فى المسيحية تحكم باسم الله . كذلك فان الاسلام يبعد بنفس الطريقة الديمقراطية البرلمانية القائمة على فردية المواطنين والتى ليس لها غاية إلا تحقيق مصلحة مجموعة دون اخرى بدون مراعاة مصلحة الامة . كل تمثيل هو مزيف ، فليس هناك فى الاسلام بديلا عن الشعب . فالديمقراطية إما ان تكون مباشرة او لا تكون .

ويختتم جارودى هذا الفصل بالنقاط التالية :

١ ـ لا يمكن اقامة اشتراكية داخل النظام الغربى المبني على النمو الاعمى بدون هدف انساني .

٢ ـ لايمكن اقامة اشتراكية انطلاقا من فرديتنا الغربية والتى تشكل الراسمالية اساسها وتعبيرها .

٣ ـ لا يمكن ان تتحقق اشتراكية بدون تسام وبدون امكانية مستمرة للتخلص من مصائرنا المقررة ومن غربتنا .

كل ثورة سيكون مصيرها الفشل إن لم يغير الانسان نفسه كما قال الله تعالى : « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .

العلم والحكمة

فى الفصل الثالث والرابع والخامس والسادس من كتابه يتحدث جارودى عن العلوم الاسلامية والفلسفة الاسلامية واللغة الاسلامية والشعر الاسلامي .

يبدا جارودى فصله هذا بالقول بان تاريخ العلوم والتكنولوجيا كما هو معروف فى البلاد الغربية يرتكز على فريضة وهى قياس تقدم العلوم والتكنولوجيا انطلاقاً من معيار واحد هو فاعلية هذه العلوم والتكنولوجيا لتحقيق السيطرة الكبرى على الطبيعة والانسان حتى ولو أدت تلك السيطرة الى تدمير الطبيعة والانسان . ان ذلك فيه خطر كبير على الانسان فالعلم يجب ان لا يفصل عن الابعاد الاخرى للانسان كالحب والخلق الفنى وتامل الحياة والرغبة البسيطة فى التوازن والاتساق فى علاقتنا مع الطبيعة وفى علاقاتنا الانسانية . فى ضوء هذه الأبعاد يدرس جارودى العلوم الاسلامية فيقول انه يجب ان لا نقع فى الخطا الذى وقع فيه بعض المؤرخين الغربيين الذين اعتبروا ان العلوم الاسلامية لم تكن سوى نقل لما حققه الفرس والهنود والصينيون وانها مجرد اكتشافات سبقت العلوم الاوربية الحديثة ، من هذا المنظور يجب فهم العلوم الاسلامية فى خصوصيتها ومعناها بانها لا تفصل بينها وبين العقيدة الاسلامية التى حددت غايات هذه العلوم . فمبدا التوحيد ، وهو مفتاح التجربة الاسلامية الألهية ، ينفى فصل العلم عن العقيدة . كل شيء فى الطبيعة هو اية من ايات الله لذلك فان معرفة الطبيعة تصبح ، كالعمل ، شكلا من اشكال العبادة وتقربا من الله .

الفلسفة والتنبؤية

يبدا جارودى فصله عن الفلسفة الاسلامية بالتفريق بينها وبين الفلسفة الغربية . فيقول ان المسالة الاساسية فى الفلسفة الغربية قد اصبحت : كيف تكون المعرفة ممكنة ، بينما المسالة الاساسية فى الفلسفة الاسلامية قد اصبحت : كيف يكون التنبؤ ممكنا . فالقران الكريم قد اتى بطريقة جديدة لرؤية الله والعالم وكذلك بقانون عمل يختلف عن الفلسفة اليونانية . فالوحى القراني قد اثار ثلاث مسائل جديدة جدا :

١ ـ مسالة معرفة الحقيقة . ما هو الحقيقى ؟ فكل شيء لا يمكن ان يرى الا بالله والله نفسه هو فى كل شيء .

٢ ـ ما هو قانون العمل الذى يتبع هذه النظرة ؟ العمل والقانون للمسلم هو الظاهر الخارجي للعقيدة . العقيدة هى الداخل والقانون هو الخارج . وليس هناك ازدواجية بين الواحد والآخر .

٣ ـ حسب القران الكريم فان الله لا يكشف عن ذاته وانما يكشف فقط قوله وشريعته .

بعد ذلك يستعرض جارودى الفلسفة الاسلامية منذ بدايتها فيتحدث عن الكندى والرازى وابن سينا والسهراوردى وابن عربى الخ ...

الفن الاسلامى

يقول جارودى ان الفن الاسلامى ، كالعلم الاسلامي والحياة الاجتماعية والفلسفة الاسلامية ، لا يمكن فهمها إلا من خلال مبدئها الأساسى وهو العقيدة الاسلامية . لقد حاول البعض ان يرد الفن الاسلامى الى اصول غير اسلامية وان يرى فيه نفوذ الفنون الاخرى . ولكن جارودي يؤكد ان ذلك غير صحيح . فنظرة بسيطة على الاعمال الفنية الكبرى الاسلامية فى

وعود الإسلام

للفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي

العالم تؤكد لنا وحدتها وأصالتها . لقد قيل انه في الاسلام كل الفنون تقود الى المسجد والمسجد يقود الى الصلاة . فالمسجد هو المركز الذي انطلقت منه الفنون وهو مركز العالم ويمثل وحدة الأمة .

الشعر .. والشعر الصوفي

ان الادب الاسلامي هو في غالبيته شعر وهذا الشعر هو شعر تنبؤي . شعر قرآني . وبعد نبذة مختصرة جـدا عن المعلقات وعن ابي نواس يرجع جارودي الى الشعر الصوفي . وكما قلنا سابقا فان جارودي متأثر جدا بالصوفية ولذلك فهو يهمل الشعر غير الصوفي في العصـور الاسلامية ويركز على الشعر الصـوفي والشعراء الصوفيين . وفي حديثه عن الشعر الصوفي يورد اهم الشـعراء الصوفيين كجلال الدين الرومي والجامي ثم يستعرض كلا من الجرجاوي والنظامي . ويتحدث عن اثر الشعراء الاسلاميين على الشعر الغربي فيورد أمثلة لذلك كاثر الشعر النبيل على شعراء الاوكسـتان التروبادور .

يعرض جارودي بعد ذلك لفترة الانحطاط في الشعر العربي اثناء السيطرة العثمانية حيث لم يخرج شاعر واحد جيد حتى القرن التاسع عشر . ففي النصف الأخير من هذا القرن ظهر في مصر بعض الكتاب الذين تحرروا من نير السـيطرة العثمانية . وهكذا ينهي جارودي فصـله عن الشعر العربي بالتعرض للشـعر العربي الحديث فيقـول ان الشعر العربي الاسلامي الحديث قد ابرز امام التـاريخ والسياسة المشاكل الرئيسية للتـاريخ والسياسة ، فهو قبل اي شيء اذن شعر تنبؤي .

الخاتمـة

يبدأ جارودي خاتمته بالقول بأن كتابه ليس كتاب تاريخ وانما هو كتـاب يهم مستقبلنا جميعا وانه محاولة جديدة لفهم الاسلام وبالتالي العالم الثالث ، لذلك فهو يثير مسالة الاسلام كقوة دافعة حية ليست في ماضيه فقط وانما فيما يمكن ان يقدمه اليوم وللمستقبل. لقد ظل الغرب لمدة الف عام يخاف من الاسلام ويخشاه وقد ان الاوان ان ينظر الى الاسلام بمنظار جديد .

دعوة لنبذ التعصب

ينهي جارودي بعد ذلك كتابه بالقول بأن المسالة الاساسية اليوم تطرح نفسها على مستوى العقيدة بشرط ان نعمل ضد النظرة المسيحية المتعصبة التي تنظر الى الاسلام على انه نقيض ومعاد لها وكذلك بشرط ان نعمل ضد التعصب الذي يميز بعض المسلمين والذي هو مخالف لتعاليم الدين الاسلامي المجيد ولروح الاسلام الذي يجعـل من المسيحية جزءا من العقيـدة الدينية . ان الحل هو بالحوار والتفاهم . وحبذا لو تحقق حلم جميل وهو ان تقوم الأمم الغربية وبالاخص تلك التي تأثرت بالثقافة والعقيدة الاسلامية بأن تخلق في المدن التي انتعشت فيها تلك الثقافات ، في قرطبة وباليرما وباريس ، مراكز للحوار واللقـاء والبحث والنشر الواسـع لما يمكن للغربيين ان يقولوه للمسلمين .

التعليق والنقد

في نهاية هذه المقالات اود ان اورد بعض الملاحظات الشخصية التي تكونت لدي عند قراءة الكتاب :

أولا : من الملاحظ أن جارودي لم ينصف الحضارة الأوربية كما يجب ، فهو يأخذ على الغرب قيامه على قاعدة النمو المستمر . وانطلاقا من رفضه لهذا المبدأ ينتقد جارودي الحضارة الغربية كلها . ونحن إذ نتفق مع جارودي في ان النمو المستمر قد ادى الى عواقب وخيمة وانه ربما يؤدي في المستقبل الى كوارث اشد خطرا ، إلا اننا نود ان نقول بأن النمو المستمر كان فيه الى فترة ما في الماضي شيء ايجابي فهو الذي دفع بعجلة التقدم الى ما هو عليه الآن . فالأزمة التي يمر بها الغرب الآن لا يجب ان تعمينا عما حققه الغرب في ميادين كثيرة . ويجب ان لا ننسى ما قدمه الغرب من تطور في العلوم والطب وعلم الفضاء وكذلك في الآداب والفنون . وهذه الأمور لا يمكن رفضها او تجاهلها مهما تعقدت الأزمة في الغرب اليوم .

إن جارودي يؤكد أن الحضارة الأوربية هي وليدة الحضارة الاسلامية الى حد كبير إذن لماذا نرفض الحضارة الأوربية وبها أشياء كثيرة من الاسلام . إننا نعتقد ان الغرب قد قدم الكثير للعالم ولكنه يمر منذ فترة بأزمة وعلينا جميعا الخروج من هذه الأزمة التي لا تهدد الغرب وحده وإنما تضر بالعالم اجمع . وعلى كل الحضارات والثقافات ان تساهم بنصيبها في حل هذه الازمة وعلى رأس هذه الحضارات والثقافات الحضارة والثقافة الاسلامية . إننا نتفق مع جارودي بأن الغرب يمكنه ان يتعلم الكثير من الاسلام ، ولكننا في نفس الوقت نقول إن المسلمين يمكنهم ان يتعلموا كثيرا من الغرب .

ثانيا : لقد أبدع جارودي في فصله عن الصوفية ، ولكنه في فصله عن الشعر يعود فيتحدث مرة اخرى عن الصوفية . إننا نجد أن فصله عن الشعر ضعيف ويبدو أن جارودي ينقصه الاطلاع الجيد على الشعر العربي . فالبرغم من أن الشعر الصوفي يشكل قسما كبيرا من الشعر العربي ، إلا ان هناك جزءا كبيرا من الشعر العربي غير الصوفي . وهذا مالم يتعرض له جارودي . ولا نستطيع القول ان الشعر العربي غير الصوفي يقل جمالا أو عظمة عن الشعر الصوفي ، فالشعراء مثل المتنبي وابو تمام والبحتري وابن الرومي لم يكونوا شعراء صوفيين ولكنهم يشكلون قمما من قمم الشعر العربي . لذلك اعجب من ان جارودي لم يتحدث عنهم في كتابه .

ثالثا : يدمج جارودي العالم العربي في العالم الثالث . وقد ان الأوان ان نميز بين الاثنين والا نخلطهمـا خلطا سطحيا غير دقيق . فالعالم العربي ولو انه جزء من العالم المتخلف إلا انه يختلف عنه اختلافا كبيرا . فالعالم العربي هو حلقة الوصل بين الشرق والغرب وهو يقع على ضفاف البحر الابيض المتوسط . وهناك وشائج كثيرة بين العرب والأوربيين وخاصة الأوربيين الجنوبيين بحكم المجاورة والتبادل الثقافي والحضاري . فكما ان هناك علائق كثيرة بين العرب والصين مثلا فان هناك علاقات أوثق بين العرب وأسبانيا .. بين العرب وصقلية .. بين العرب واليونان .. الخ .

هذه هي بعض الملاحظات التي بدرت لي عند قراءة كتاب « وعود اسلامية » لجارودي ، ولكنها لا تقلل من قيمة الكتاب ومن اهميته للقاريء العربي ، وعسى أن يكون هذا العرض مدعاة للاطلاع عليه خاصة وانه سيترجم قريبا الى اللغة العربية .

د. علي حسن تقي

كليوباترا

زعيمة الشرق ورمز الوطنية في الأدب الشعبي المناهض لروما

بقلم: الدكتور أحمد عتمان

فى كثير من الاحيان تستطيع شفافية العبقرية الابداعية عند الأدباء والشعراء الوصول إلى جوهر الأشياء وحقائق التاريخ السحيق برغم ما قد يلف الماضى البعيد من إبهام وإلغاز او ما قد يكتنفه من تلفيق وتزييف . وقد لا يحتاج الأديب أو الشاعر إلى كثير عناء فى الدراسة والبحث لكى يصل الى مثل هذه الحقائق ، وإن كان مؤكداً أن عمله الإبداعى سيكسب ابعادا جديدة ويصيب أهدافا عديدة ويتميز بتاثيرات خاصة وفريدة لو أنه جمع بين شفافية العبقرية الابداعية من ناحية والخلفية الثقافية الدالة على طول البحث والفحص ، من ناحية اخرى .

ومثل صارخ للشاعر الذى استطاع ان يصل إلى جوهر الحقائق التاريخية دون معاناة طويلة فى البحث يمكن أن نجده فى امير الشعراء احمد شوقى عندما نظم افضل مسرحياته « مصرع كليوباترا » فلقد تغنى بهذه الملكة البطلمية كزعيمة وطنية برغم ان التراث الادبى والتاريخى لا يحفظ لنا إلا الجانب السيىء من شخصية هذه الملكة حتى صارت صورتها التقليدية الراسخة فى الأذهان هى صورة عاهرة تجيد فن الهوى . هكذا صورها شعراء العصر الاوغسطي فى روما بايعاز من اوكتافيانوس (ت اوغسطس) عدو كليوباترا اللدود ، وبالمثل صورها بلوتارخوس فى « سيرة انطونيوس » عاشقة ماكرة وقادرة على سجن انطونيوس فى احضانها وحبسه فى دائرة لا يملك الفكاك منها . هى معه أينما حل فحتى لو تزوج فى روما الف مرة حتما سيعود إلى عشيقته الساحرة التى تشده إليها بخيوط من ذهب . وتعكس هذه الصورة وجهة النظر الرومانية الشعبية والرسمية عن كليوباترا . فاذا اضفنا إلى ذلك المخاوف السياسية التى انتابت اهل روما من طموحات هذه الملكة فهمنا مدى الحقد الذى تنضح به كتابات ادباء ومؤرخى ذلك العصر تجاهها . ولقد ان الأوان لكى يعيد الباحثون عندنا صياغة تاريخنا الذى زيفه المغرضون او من كانوا يتحكمون فى مصائرنا . ولو تحقق لنا ذلك ستنعكس اثاره على اعمال مؤلفينا المبدعين حيث ستتوفر لهم مادة تاريخية يسهل عليهم استلهامها . ومن اهم الموضوعات التى تحتاج إلى إعادة نظر موضوع كليوباترا الذى نحن بصدده .

لقد ظهرت هذه الملكة فى وقت كانت فيه الدولة البطلمية قد وصلت الى الحضيض وكانت على وشك ان تتهاوى وتتلاشى .

ولقد اثبتت الأحداث فعلا ان الازدهار الذى اصابها على عهد كليوباترا كان بمثابة وهج الشمس أو الشفق الذى يزداد بريقا ورونقا كلما اقتربت لحظة الغروب . لقد امتد سلطان كليوباترا ولاسيما بعد هدايا انطونيوس الى رقعة فاقت ممتلكات البطالمة السابقين بل ضمت اقاليم لم يحلم بها احد من الملوك الثلاثة الأوائل مؤسسى الامبراطورية البطلمية بقوة سواعدهم وببذل اقصى جهد ممكن . اما الآن فها هى حفيدتهم كليوباترا تقيم صرح امبراطورية بطلمية جديدة معتمدة على



كليوباترا .. الملكة البطلمية التى يحتاج تاريخها الى اعادة نظر من الباحثين حتى تتوفر لمؤلفاتنا المبدعين المصادر المبعدة عن الزيف والتلفيق .

سلاح الجمال والفتنة وهو سلاح اثبت التاريخ فعاليته فى كثير من فترات الزمن . وينبغى ان نتذكر هنا أن كراهية الرومان وخوفهم لم يولدا مع قصة حب انطونيوس وكليوباترا . ولكن ظهرا للوجود عندمـــا استولت كليوباترا من قبل على قلب يوليوس قيصر . فعندئذ خشى الرومان ان يحول هذا العاهل الكبير جمهوريتهم الى مملكة هيللينستية يتربع على عرشها جنبا الى جنب مع كليوباترا . وتردد القول فعلا بان يوليوس قيصر كان ينوى نقل عاصمة الامبراطورية الرومانية الى الشرق . فان دلت هذه الاشاعات على شىء فانما تدل على مدى سيطرة كليوباترا على يوليوس قيصر الذى لم يعد فى نظر اصحاب هذه الشائعات رومانيا بل حاكما شرقيا . زد على ذلك ان كليوباترا كانت تعتبر نفسها زوجة يوليوس قيصر وسجلت على احـد المعابد انهـــا انجبت قيصرون من امون رع الذى خالطها فى صورة يوليوس قيصر . ويبدو ان الاخير قد اعترف بابوته لقيصرون وانه اقام تمثـــالا من الذهب لكليوباترا فى معبد فينوس الوالدة أو راعية الولادة.

ولو كانت كليوباترا تشك فى نوايا يوليوس قيصر لنسب طفلها الى زوجها واخيها بطليموس الثالث عشر (٦٣ ـ ٤٧ ق.م) الذى توفى قبل ميلاد قيصرون بستة شهور فقط .

وعندما ذهبت كليوباترا لتقيم فى روما بالقرب من يوليوس قيصر اثارت موجة عارمة من الاستياء فى الأوساط الرومانية . ففى ذلك الحين وعلى وجه التحديد عـام ٤٦ ق.م قاد يوليوس قيصر موكب انتصاره حيث سيقت فيه اخت كليوباترا الصغرى ارسينوى الاميرة العنيدة وحملت صـورا لبوثينوس واخيلاس ، وتمثالا للنيل والفنار تمجيدا وتخليدا لانتصار يوليوس قيصر فى الحرب السكندرية عام ٤٨ ق.م . ولقـد شاهدت كليوباترا هذا الموكب بعينيهـــا مما اثار سخط الرومانيين الذين تاثروا ايما تاثر بمنظر ارسينوى الاميرة المكبلة بالقيود بسبب اخلاصها ووطنيتها . وقارنوا بين هذا المصير البشع وبين حيـــــاة كليوباترا الماجنـــــة التى اسرت عاهلهم يوليوس قيصر وجاءت بنفسها الى ضفاف نهر التيبر وكأنها تسعى للسيطرة على روما نفسها .

فلما وقع انطونيوس فى بحر الحب الذى سبح فيه من قبل يوليوس قيصر زاد الطين بلة ولما وهب كليوباترا هدايا الارض والالقاب ضاعف من ذعر الرومانيين . وفى نفس الـــوقت تخـلق تحت الارض ادب النبوءات الذى شاع فى بلدان الشرق الأوسط شيوع النار فى الهشيم . ويتخذ هذا الادب موضوعا اساسيا هو ان الشرق سيتفوق يوما ما على الغرب مهما طال الزمن وأن منقذا عظيما سيظهر من بين ابناء شعوب هذه المنطقة وستاتى على يديه نهاية الغطرسة الرومانية . فلما حصلت كليوباترا على ما حصلت من مكاسب توسعية وشهرة عالمية تحول هذا الادب اليها متخذا منها الشخصية المحورية فبدت الملكة المنقذة التى ستعيد امجاد الشرق الهيلينى والهيللينستى الى سابق عهدها . فلنتوقف قليلا عند صفحات هذا الادب الغامض .

الرومان مهزومون لا محالة

هناك نبوءة تنسب الى تاريخ ما قبل عام ١٠٠ ق.م ويطلق عليها اسـم « نبـوءة البرايتور المجنون » نسبة إلى احد المناصب الرومانية وهى تنذر الرومان بان جيشـــا قويا سياتى من مشرق الشمس اى من اسيا بهدف استعباد روما واذلالها . وفى القرن التالى تنبأ رجل اغريقى شرقى او متاغرق من الشرق يـــدعى هيســـــتاسبيس (Hystaspes) وربمـــا حكيما فارسيا بان الحكم والسلطان سينتقل بالعنف من روما إلى يد منقذ من الشرق . وبلغ من ذيوع هذه النبوءة وخطورتها أن الرومان فرضوا عقوبة الموت على كل من تخول له نفسه قراءتها او ترديدها . ولكن اخطر النبوءات واكثرها إزعاجا لرومـــا والرومانيين هى تلك التى جاءت فى الكتب السيبيلية ولا أدل على مدى الانزعاج الذى اصاب الرومان مما تحويه هذه الكتب من انهم لم يحتفظوا الا بنسخة مختـــــارة ومنقحة لها ثم اعادوا تعديلها وتشذيبهـا عام ٨٣ ق.م فيما يمكن ان تعتبره نسخة رسمية للنبوءات السيبيلية . ولكنها ظلت فى الأماكن التى انبثقت منها اصلا فى سوريا واماكن اخرى بالشرق تحمل النذير لروما والبشرى المريحة لشعوب الشرق بأن الحكم الرومانى لن يبقى ابد الدهر .

وترجع بعض هذه النبوءات السيبيلية الى عصر بعض الملوك الهيللينستيين مثل سيليوكوس انطيوخوس الرابـع الملقب بالظاهر (١٧٥ ـ ١٦٤ ق.م) الذى كان قد احيا الآمال فى سقوط روما . وتتحدث بعض فقرات هذه النبوءات عن بؤس بلاد الاغريق بعد ان وقعت تحت براثن الحكم الرومانى عام ١٤٦ ق.م وبعضها يمجد عدو

روما اللدود ميثريداتيس السادس الذى مات عام ٦٣ ق.م وتصفه بانه المنقذ . ويورد أثينايوس الرواية الاسطورية التى ذاعت عن ولادته وفحواها أن مذنبا فلكيا توهج فى كبد السماء عندئذ واستمر كذلك لمدة سبعين يوما . وتحدثت النبوءات أيضا عن قرب ظهور ملك محارب سيمهد بسيفه الفتاك الطريق لسقوط روما وقيام العصر الذهبى .

وأهم من ذلك الاشارات الغامضة التى وردت فى أدب المقاومة التنبؤى هذا عن امراة ستجلب الخلاص للشرق . فعندما « ستكون فى ذروة المجد والقوة كما يؤكد العرافون ستتضاعف الخيرات وستكون الحياة وكافة الممتلكات ملكا للجميع ولن تكون هناك اسوار ولا استحكامات على ظهر الارض التى ستحمل ثمارا اوفر مما حملت من قبل وستنفجر فيها ينابيع اللبن الصافى والعسل الشافى . فاذا شك بعض المؤرخين او القراء فى ان هذه النبوءة تشير بطرف خفى الى كليوباترا فان النبوءة التاليـــة باشارتها الواضحة لحكومة الائتلاف الثلاثى ستعينهم على التغلب على شكوكهم . تقول النبوءة : « وعندما ستكون روما مترددة فى فتح مصر ستظهر الملكة القوية بنت الملك الخالد بين الرجال .. وثلاثة سيخضعون روما لقدر يبعث على الاشفاق .. » . واكثر من ذلك فان النبوءات تتحدث عن هذه المراة المنتظرة على انها ارملة مما يزيد رقعة التشابه بينهـا وبين كليوباترا التى عزلت اخاها وزوجهـــا بطليموس الرابع عشر عام ٤٤ ق.م وخرجت على التقليد البطلمى المعروف أى أن يكون الحكم فى يد الزوج الملكى شركة . تقول النبوءة :

« وعندئذ سيخضع العالم الواسع كله لحكم امراة وسيدين لها بالولاء فى كل شىء وحدها ستكون هذه الأرملة ملكة العالم الواسع كله سيقذف الاله بالذهب والفضة الى البحر وفى الماء أيضا سيقذف السيوف البرونزية لهؤلاء الرجال الفانين فى عمر يوم من الايام . وعندئذ ستصبح كل عناصر الكون بائسة مترملة ولكن الاله العلى فى الأثير سيطوى السموات على الســجل للكتب وستسقط السماء الزاخرة بالنجوم على الأرض القدسية وعلى مياه البحر . وتتساقط ألسنة اللهب من عل ودون توقف . سيحرق الاله الأرض والبحر بلعنة منه . الأيام والسموات الزاخرة بالنجوم وكل الكون سيتحول الى شىء واحد الى طهارة خالصة . والنجوم الضاحكة المضيئة ستصمت وستخبو فلن يكون هناك ليل ولا فجر ولن تكون للهموم سهام عديدة بل لن



كليوباتـــرا

زعيمة الشرق ورمــز الوطنية في الأدب الشعبي المناهض لروما

تكون هناك هموم قط ، لا ربيع ولا صيف لا شتاء ولا خريف وسياتى حساب الاله القدير فى كل شىء بهذا العصر العظيم القادم وعندها ستسقط كل هذه الاشياء »

وتضيف النبوءة « ولكنك لن تكــونين بعد ارملة فسوف تتزوجين الاسد » . وهنا ينبغى ان نتذكر ان الاسد فى الاساطير الاغريقية هو رمز بطولة هرقل الذى لم يكن يرتدى من ملبس سوى جلد الاسد فاذا اضفنا إلى ذلك ان انطونيوس كان حريصا كل الحرص على ان يظهر بمظهر هرقل اصبح للنبوءة مغزى عميق . فالارملة التى ستتزوج الاسد هى كليوباترا عشيقة وزوجة وحليفة انطونيوس المتشبه بالبطل الاسطورى هرقل .

وهناك نبوءة اخرى طويلة تقول « هائلة تلك الأموال التى دفعتها آسيا جزية الى روما ، ولكن روما ستدفع ثمن ذلك ثلاثة أضعاف لكى تتطهر من غطرستها القاتلة . وفى مقابل كل رجل من رجال آسيا خدم سيدا ايطاليا سيتعذب فى أغلال العبودية عشرون ايطاليا وسيدخل قفص الاتهام والادانة الاف عديدة منهم . اى روما ذات السلالة اللاتينية أيتها العذراء المتزينـة بالالوان والأصباغ الزخرفية ، أيتها المنتشية فى أحضان مئات العشاق ستخضعين فى يديك سلاســل الأسر والعبودية . ســيذهب عنك البهـرج وسيقصون شعرك الناعم بامر صارم من سيدة قوية وستلقى بك من السماء الى الأرض تلك التى بيدها تمسك العدالة ولكنها سترفعك بعد ذلك الى اعلى لأن السلام الوديع سيعود الى آسيا وستسعد به اوربا وسيمنح الهواء حياة أطول وقوة ، وطعاما اوفر وستتزايد طيـــور الارض وحيواناتهــا وستختفى العواصـف والاعاصير . بارك الاله فى الرجل وبارك الاله فى المراة اللذين سيشهدان هذا الزمان . انهم وكالفلاحين الذين لم يروا حياة القصور من قبل سيصعقون من الدهشة لرؤية الثروات . ذلك ان نظاما واحدا حقيقيا وقانونا واحـــدا حقيقيا سينزل من عالم النجوم ومعهما سياتى أيضا ليقطن من البشر الشىء الذى طالما تمنوه وفضلوه على كل شىء . اى الوفاق والانسجام المتين والمقبول وكذلك الحب الاخوى بين كافة بنى البشر . وسيهرب الفقر من العالم وستذهب الحاجة والفوضى بلا رجعة وستختفى فى ذلك اليوم مشاعر الحسد والحقـد . الغضب والحمق وكذا المعارك الفتاكة والنزاعات والسرقـــات والتدمير وكل أنواع الشرور » .

ولقد تم فعلا قص شعر روما الناعم على يد سيدة مسيطرة هى كليوباترا التى تلقت من انطونيوس هدايا الأرض والولايـــات الخصبة على حســاب الامبراطورية الرومانية . ومن الملاحظ ان هذه النبوءة مفعمة بمشاعر الغضب والرغبة فى الانتقام من غطرسة الرومانيين ، كما انها تنم عن عطش الشرق المغلوب على أمره للحرية والعدالة . فالنبوءة تمد المطحونين من اهل الشرق بالآمال الحالمة فى ان عجلة الحظ لن تتوقف بل ستستمر فى دوراتها العادية والمنتظمة وستعطيهم ما أخـــذت منهم وسيدفع الثمن فى المستقبل القريب من ظلم وتكبر . وهكذا توضح هـــذه النبوءة بما لا يدع مجالا للشك المعنى العميق لهدايا الأرض والالقـــاب التى اكتسبتها ملكة مصر كخطوة أولى نحو إعادة امجاد الشرق والقضاء على تعسف الحكم الرومانى . وترسم لنا هذه النبوءة الجنة التى كان أهل الشرق يحلمون بها ، إنها جنة السلام والانسجام ، يتساوى فيها الاغريق والرومان ، ويتعاون فيها الشرق مع الغرب متاخين متحابين .

ولقد كان هذا الحلم بعيدا كل البعد عن مجرد ان يخطر بذهن روما واوكتافيانوس ولكنه كان مجسدا تمام التجســيد فى سياسة انطونيوس وكليـــوباترا . ومن المؤسف ان بلوتارخوس المتحمس بشــدة لدعوة التاخى بين الاغريق والرومـــان ولفكرة الجمع بين العبقرية الاغريقيـــة والعسكرية الرومانية لم يتفهم سياســة انطونيوس وكليوباترا التى كانت فى الواقع تسعى الى تحقيق الهدف نفسه وإنما على أسس انسانيـــة من الحب والتاخى بين بنى البشر جميعا .

د . أحمد عتمان

بحث جامعي جديد

مجلس التعاون لدول الخليج العربية



تأليف :
لميعة عبد العزيز الجاسر (جامعة الملك سعود)



« مجلس التعاون لدول الخليج العربية » : بحث قدمته لميعه عبد العزيز الجاسر – الطالبة فى قسم الجغرافيا بكلية الآداب بجامعة الملك سعود – المملكة العربية السعودية ، وقد اشرف على هذه الرسالة الجامعية الدكتور طه عثمان الفـرا .

يعتبر البحث ذاته ، دراسة جديدة فى موضوع حديث جداً ، إذ من المعروف أن « مجلس التعاون الخليجي » ولد كمنظمة اقليمية عربية بتاريخ ١٩٨١/٥/٢٥ ، أي انه لم يمض على قيام هذه المنظمة اكثر من سنة وبضعة اشهر ، مما يسبغ على البحث أهمية خاصة . وعلى الرغم من اقتصار بعض الفصول على السرد تقريباً دون تحليل واستنتاج كافيين ، فان البحث يعتبر بشكل عام محاولة ناجحة فى وضع « مجلس التعاون الخليجي » في اطار تاريخي أولا ، ثم فى تلمس العوامل القومية والاقتصادية والاجتماعية التى أدت إلى نشوئه فى ظل ظروف اقليمية ودولية موضوعية .

وتناول الفصل الثالث فى الدراسة الحديث عن الاقتصاد الخليجي قبل وبعد ظهور البترول ثم مرحلة انتاج البترول وتطور هذا الانتاج ، واحتياطى النفط وصادراته فى دول الخليج العربية الست الأعضاء فى مجلس التعاون الخليجي .

أما الفصل الرابع فقد تناول الموضوع الجوهري للدراسة ، بعد التمهيد السابق فى الفصول الثلاثة الاولى ، وتناول هذا الفصل الأسباب التى دعت الى قيام المجلس ومراحل تكوينه من خلال مؤتمر قمة ابو ظبي الأول ومؤتمر قمة الرياض الثاني .

واختتمت لميعه عبد العزيز الجاسر بحثها هذا ، بفصل خامس تحدثت فيه عن النتائج والفوائد التى اسفر عنها انشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربيـــة .

وقد قامت الطالبة لميعة عبد العزيز الجاسر بتقسيم دراستها إلى خمسة فصول ، تناولت فى الفصل الأول منها موقع الدول الخليجية وموقع الخليج العربي وتضاريس منطقة الخليج ، كما قدمت فى هذا الفصل العوامل التاريخية والاجتماعية فى وحدة المنطقة ، والصفات المشتركة بين دول الخليج العربية التى تقرب مابين شعوب هذه الدول .

وفى الفصل الثاني تحدثت عن الوضع السكاني فى المنطقة من حيث النمو السكاني والزيادة الطبيعية فى السكان والهجرة ثم التركيب السكاني النوعي والعمري والمهني .

العوامل الوحدوية

حاولت الباحثة فى الفصل الأول تسليط الأضواء على العوامل الوحدوية التى مهدت لقيام مجلس التعاون الخليجي ، فركزت على جملة من العوامل اهمها التشابه الاقتصادي والاجتماعي بين شعوب المنطقة (قطر – المملكة

مجلس التعاون لدول الخليج العربية

العربية السعودية ـ دولة الامارات العربية المتحدة ـ البحرين ـ الكويت ـ البحرين ـ سلطنة عمان) ، ثم على الانتماء القومي المشترك ، ووجود النفط فى دول الخليج العربية جميعها ، مما اضفى بدوره تشابها فى طبيعة التطور الاجتماعي والاقتصادي لشعوب هذه الدول ، اضافة الى العامل المناخي الواحد .

وبالنسبة لعامل الانماء القومي المشترك ، اشارت الباحثة إلى وحدة اللغة والدين والجنس التى صهرت شعوب المنطقة فى بوتقتها ، وقالت فى هذا المقام « إن دول الخليج كلها عربية منذ القدم ، وذلك من خلال القبائل والعشائر العربية التى جاءت وسكنت شواطئه (الخليج) ، باعتبارها امتدادا طبيعيا للوطن العربي الذى مدته شبه جزيرته العربية الأصلية ، بالفيض السكاني عبر الهجرات المتتابعة ، وتمتد جذور هذه الأواصر الاجتماعية والتاريخية الى فجر الاسلام ، وبظهور الرسالة المحمدية اندمجت القبائل واصبحت امة واحدة تمتاز بالوحدة فى الدين واللغة . »

واشارت ايضا إلى أن هذه الأواصر الاجتماعية والدينية والقومية كانت لها حوافز موضوعية ملموسة بين حكام وشعوب دول الخليج العربية ، شبيهة تماما بتلك الحوافز العربية الأولى التى شهدتها الجزيرة العربية فى التعاون والتحالف وعقد الاتفاقيات والمواثيق والعهود بين القبائل العربية بهدف رد ومواجهة جميع الأخطار الخارجية . وقالت الباحثة إن العوامل الوحدوية السابقة ، هي التى دفعت شعوب المنطقة وقادتها منذ مطلع السبعينات الى اعادة اكتشاف الروابط الوطنية والتاريخية والاجتماعية والثقافية وتجميع كل الامكانات السياسية والاقتصادية والثقافية لايجاد صيغة وحدوية جـديدة تتناسب مع الظروف الموضوعية فى المرحلة الراهنة وتتكفل بمجابهة الأخطار الخارجية .

الوضع السكاني

خصت الباحثة الفصل الثاني من دراستها بموضوع السكان فى منطقة الخليج العربية ، واشارت الى ان نسبة الوافدين الى السكان المحليين مرتفعة فى كل من دولة قطر والكويت ثم أبو ظبي ودبي ، اما بالنسبة الى المملكة العربية السعودية ، فان عدد السكان الاصليين اكبر من عدد الوافدين ، كما أن اكبر مجموعة من الوافدين هنا ، مؤلفة من اليمنيين الشماليين .

كما لاحظت الباحثة ان توزيع الفئات العمرية لسكان بلدان الخليج العربية الست ، تشير إلى أن مجتمعاتها هي مجتمعات فتية ، وان قاعدة الفئة السكانية من الاطفال عريضة وواسعة ، واستنتجت من خلال هذا الواقع ، ان هذه القاعدة السكانية العريضة ستغذى خلال فترة تتراوح مابين خمس الى عشر سنوات ، المجموعة السكانية القادرة على العمل ، باعداد وفيرة من العمال والموظفين ، وبالتالي تجعل « خلجنة » الاعمال والمهن والوظائف المختلفة ، أمرا ممكنا فى المستقبل ، لكن الباحثة تشترط لذلك اتخاذ الخطوات المناسبة للتنمية السكانية ثقافيا وفكريا واجتماعيا وصحيا ونفسيا .

الاقتصاد الخليجي

تتناول الباحثة فى الفصل الثالث موضوع الاقتصاد الخليجي قبل وبعد اكتشاف البترول فتشير الى ان المحور الأساسي للاقتصاد الخليجي فى مرحلة ما قبل النفط كان يعتمد على التجارة بالدرجة الاولى الى جانب انشطة اخرى كالزراعة وصيد الأسماك والغوص وتربية الحيوانات الداجنة ، ولكن اكتشاف النفط اسهم بصورة غير مباشرة فى تعزيز حياة الاستقرار ونشوء المدن على حياة البداوة والغوص وتجارة البحار .

وفى هذا المجال تذكر الباحثة ان البترول يشكل حاليا المصدر الرئيسي للدخل فى دول الخليج الست ، وبالنسبة لدولة قطر فان النفط يؤمن نحو ٩٠٪ من ايرادات الدولة .

وتقول ان النفط الذى اكتشف فى دولة قطر فى عام ١٩٣٨ واستخرج فى عام ١٩٣٩ ، قد تمت السيطرة الوطنية على شؤونه منذ عام ١٩٧٦ بانشاء الهيئة القطرية العامة لانتاج البترول ، وبذلك اصبحت مادة النفط التى هي أهم ثروات البلاد تحت سيطرة الدولة بشكل كامل .

وتشير الباحثة فى هذا الفصل الى ان الدول الخليجية رات انها لايمكن ان تعتمد دائما على مصدر طبيعي واحد قابل للنفاد والنضوب وهو البترول ، لذلك اتجهت الى تنويع قاعدة الانتاج بهدف إيجاد ثروة ومصادر اخرى للدخل بشكل ثابت ، وتتمثل هذه المصادر فى التنمية الصناعية والزراعية والاهتمام بالثروات الطبيعية الأخرى ، مستندة فى ذلك على عوائدها النفطية المتزايدة فى كل عام .

ونظرا لتشابه اقتصاديات دول مجلس التعاون الخليجي ، اتجهت هذه الدول الى اسلوب التنسيق والتعاون على شكل اتفاقيات ثنائية او جماعية ، من اجل القضاء على احتمال التنافس فى استغلال مواردها وفى تصريف انتاجها ، وسعيا وراء التكامل الاقتصادي . أما التعاون الجماعي فى هذا السبيل فهو يتم من خلال اتفاقيات تشترك فيها اكثر من دولتين . ومن الامثلة على ذلك اتفاقية انشاء بنك الخليج الدولي (١٩٧٥) الذى ساهمت فيه سبع دول خليجية (بما فيها العراق ايضا) ، وقد حددت اهداف هذا البنك فى تحقيق التكامل والتنسيق والترابط الاقتصادي للدول الخليجية عن طريق تمويل المشاريع الاقتصادية الخليجية ، وتنسيق الجهود مع المؤسسات المالية الخليجية لخلق جبهة اقتصادية تساعد على تنمية دول المنطقة . وكان من مساهمات هذا البنك فى التمويل ، مساهمته فى تطوير شركة البترول الوطنية بالبحرين بقيمة ٧٥ مليون دولار .

ومن الاتفاقيات التى تشترك فيها اكثر من دولتين تذكر الباحثة ايضا الاتفاقية الخاصة بانشاء « شركة الملاحة العربية » (١٩٧٦) ، والاتفاقية الاعلامية الخاصة بانشاء « مؤسسة الانتاج البرامجي والاذاعي المشترك لدول الخليج » (١٩٧٦) ، واخيرا الاتفاقية الخاصة بانشاء « منظمة الخليج للاستثمارات الصناعية » (١٩٧٦) ايضـا .

ومن خلال ما تقدم يتضح ان قيام مجلس التعاون الخليجي ـ كما تقول الباحثة ـ قد سبقه مسار خليجي شمل عدة مجالات من خلال جملة من الاتفاقيات الثنائية والجماعية ، مما اوجد أرضية قوية لبناء المجلس .

قيام مجلس التعاون

كان قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية إذن نتيجة لعوامل وحدوية متعـددة (العوامل الطبيعية ـ العوامل التاريخية والاجتماعية ـ الصفات المشتركة بين دول الخليج ـ الاقتصاد الخليجي المتشابه واثر البترول عليه ـ امكانيات التعاون بين الدول الخليجية لتحقيق تكامل اقتصادي فيما بينها ـ الخصائص السكانية الواحدة تقريبا لدول الخليج العربية) .

وفى اطار فاعلية وضغط هذه العوامل مجتمعة ، اضافة الى العوامل الخارجية المتمثلة فى المطامع والتنافس الدولي على منطقة الخليج الغنية بالبترول ، كان لابد لدول الخليج العربية من الاتجاه يداً واحدة نحو صيغة جديدة من الاندماج الخليجي ومواجهة التحديات المتعاظمة مع تعاظم حاجة العالم الصناعي للنفط .

وفى هذا الجو المشبع بروح العمل الجماعي فى المنطقة والتكاتف والتآزر بين دولها بدأت أولى الخطوات التنفيذية لانشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، بعقد اجتماع لوزراء خارجية دول المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين وقطر ودولة الامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان ، فى الرياض بتاريخ ١٩٨١/٢/٤ ، حيث وقع الوزراء الستة فى ختام ذلك الاجتماع على وثيقة اعلان قيام مجلس التعاون الخليجي معلنين بذلك بداية مسيرة التعاون بين الدول الست ، وقد تحددت اهداف المجلس فى بيان لاحق صدر فى الرياض بتاريخ ١٩٨١/٢/١٤ عن طريق دول الخليج العربية الست ، ويمكن اجمال تلك الاهداف – كما تورِدها الدراسة – فى تحقيق التناسق والتكامل والترابط بين الدول الأعضاء فى جميع الميادين وصولا الى وحدتها ، وتعميق وتوثيق الروابط والصلات وأوجه التعاون القائمة بين شعوبها فى مختلف المجالات ووضع انظمة متماثلة فى مختلف ميادين الحياة ، ودفع عجلة التقدم العلمي والتقني فى مجالات الصناعة والتعدين والزراعة والثروات المائية والحيوانية ، وإنشاء مراكز بحوث علمية ، واقامة مشاريع مشتركة ، وتشجيع تعاون القطاع الخاص بما يعود بالخير على شعوب دول المجلس .

القمة الخليجية الأولى

أما الاعلان رسمياً عن إنشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، فقد تم فى البيان الذى اذيع فى أعقاب القمة الخليجية الأولى التى ضمت زعماء الدول الست الأعضاء فى المجلس ، والتى عقدت فى ابو ظبي فى ١٩٨١/٥/٢٥ ، حيث وقع هؤلاء الزعماء النظام الاساسي لمجلس التعاون .

الاتفاقية الاقتصادية

وكان من اهم ثمرات انشاء مجلس التعاون الخليجي إقرار وزراء مالية دول المجلس مشروع الاتفاقية الاقتصادية الموحدة بين دول مجلس التعاون الخليجي فى الرياض بتاريخ ١٩٨١/٦/٨م ، واهم سمات هذه الاتفاقية البالغة الاهمية انها جاءت لكي تستبدل الاتفاقيات الثنائية بين الدول الأعضاء بالمجلس باتفاقية اقتصادية وتجارية ومالية موحدة ، بما فى ذلك تنسيق خطط التنمية الوطنية والسياسة البترولية فى جميع مراحلها ، وعمليات التصنيع والمشروعات الصناعية ، بما يمنع الازدواجية او المنافسة الضارة ، اضافة الى تنسيق الخطط فيما بين الدول الأعضاء بالنسبة لاستثماراتها فى الداخل والخارج .

وإضافة الى ما تقدم فان مجلس التعاون اعرب عن عزمه (البيان الختامي لاجتماعات الدورة الأولى للمجلس الوزاري للمجلس بالطائف فى ١٩٨١/٩/٢) ، على تعزيز التنسيق الامنى والسياسي بين الدول الأعضاء لمواجهة الأخطار المحيطة بالمنطقة .

القمة الخليجية الثانية

بعد مضي حوالي ستة شهور على مؤتمر القمة الخليجي الأول عقدت القمة الثانية لدول المجلس فى الرياض بتاريخ ١٤ محرم ١٤٠٢هـ ، وتشير الباحثة فى دراستها الى ان هذا الفاصل الزمني القصير نسبياً بين انعقاد القمتين يؤكد على حرص زعماء دول المجلس على المضي قدماً وبخطى ثابتة وواثقة لتحقيق الأهداف التى تضمنها البيان الختامي للقمة الخليجية الأولى . كما يؤكد ايضا على مدى ما يتمتع به زعماء دول المجلس من قدرة عملية على تحقيق الأمن والرخاء والاستقرار لشعوب هذه المنطقة .

النتائج والفوائد

تخلص الباحثة من دراستها الى النتائج والفوائد التى اسفر عنها انشاء مجلس التعاون الخليجي ، فتقول : إن اهم الانجازات على الصعيد الاقتصادي كانت اقرار مشروع الاتفاقية الاقتصادية الموحدة بين دول المجلس ، والتى تقضي كما اشرنا آنفاً الى تنسيق السياسات النفطية والتصنيعية بما يمنع الازدواجية او المنافسة الضارة .

وعلى الصعيد الامني والعسكري ، فقد اكد قيام مجلس التعاون استقلالية دول المنطقة وبعدها عن المحاور العسكرية الدولية ، ورفضها لأي تواجد عسكري فى منطقة الخليج ، وقد جاء قيام مجلس التعاون ليشكل وعاء تنظيمياً لامكانات دول المجلس الست على الصعد السياسية والاقتصادية والعسكرية تحقيقاً للسلام والاستقرار فى منطقة الخليج العربي .

وتختم الباحثة دراستها عن مجلس التعاون لدول الخليج العربية بطرح سؤال حول الامكانيات المتوفرة لنجاح فكرة المجلس وتحقيق الأهداف التى قام من اجلها ؟

وتؤكد ان هناك عوامل عديدة تؤكد نجاح كيان المجلس اكثر امكانيات النجاح المتوفرة للسوق الأوربية المشتركة ، اهمها كون دول الخليج تشكل منطقة جغرافية واحدة ، تكاد تكون كلا واحداً ، اضافة الى انتماء شعوب المنطقة الى قومية واحدة هي القومية العربية .

اما بالنسبة للاضافة التى يشكلها قيام مجلس التعاون ، فهي فى نظر الباحثة ، ان هذا الكيان التنظيمي الجديد سيدعم انتماءه العربي ويساعد أكثر فاكثر على خدمة القضايا العربية والاسلامية ، كما ان المجلس سيحمل آثاراً اقتصادية لابد وان تؤثر على المسيرة الاقتصادية لدول العالم كافة ، بالنظر للامكانيات الاقتصادية العديدة لدول المجلس ، واهمها الفوائض النقدية الضخمة الموزعة على مصارف عالمية متعددة ، اضافة الى الانتاج النفطي لهذه الدول وما تملكه من احتياطى كبير وبالغ الاهمية من هذه المادة الحيوية .

تقييـــم

في رأينا ، يكتسب البحث اهمية خاصة ، باعتباره محاولة جادة لتسليط الأضواء على « مجلس التعاون لدول الخليج العربية » ، بما يمثل قيام هذه المنظمة العربية ، من محاولة للقفز على عوامل التجزئة والتقسيم التى اقامها الاستعمار فى منطقة الخليج العربي قبل رحيلــه ، وبما يمثل ايضا من طموح ونزوح نحو قيام وحدة عربية بين دول المجلس ، بحيث تصب هذه الوحدة فى تيار الوحدة العربية الشاملة فى نهاية المطاف ، اضافة الى المحاولات الناجحة للتنمية بشتى وجوهها فى هذه الدول ، وتسخير الطاقات النفطية والمالية التى تملكها فى خدمة القضايا العربية والاسلامية ، والسلام العالمي .

ونشير اخيراً إلى أن الدراسة اعتمدت السرد التاريخي احياناً ، دون الغوص فى التحليل والاستنتاج المطلوبين ، كما ان الهنات التى تؤخذ على الباحثة اعتمادها على المراجع والمصادر العربية دون الأجنبية ، ولكن نود ان ننوه الى ان الدراسة كانت مكتنزة احيانا – وخاصة فى الفصل الثاني منها – بالجداول والبيانات الاحصائية ، وهي ضرورة لا مندوحة عنها للباحث الموضوعي او الاكاديمي .

ع . ش

● قصــــــة ●

السّبُع

بقلم: مصطفى أبو النصر

عادة ، يكون الموقف مهماً إلى حد ما ـ على الاقل ـ بالنسبة للعابرين . والنظـــــرة العادية او القصيرة لا تكفى ، لانه مضطر ـ فى بعض الاحيان ـ أن يقدر مدى طول القافلة ، كما يتحتم عليه ان يخمن زمن عبورها . هذا من ناحية ، اما الناحيـــــة الاخرى ، فبنظرة سريعة وفاحصة ، عليه ان يدرك قدرة العابرين : هل من بينهم اعمى او عجوز او طفل ؟ عندئذ يخطو بخطوات جادة وحازمة ، وفى اللحظـــــة ذاتها ، ينتفخ خداه لينطلق الصفير صارخا وهو يشير بذراعيه للسيارات ، وعلى الفور تتوقف مذعنة . على انه إذا اخلى الطريق للعجوز او الاعمى ، فهو لا يكتفى بذلك نحو الطفل ، فما يكاد يلمح طفلا حتى يندفع تجاهه ويأخذ بيده الى الرصيف الآخر ، فاذا ما اطمأن عليه ، ربت على كتفه فى رقة بالغة مودعاً إياه بابتسامة حانية . وقد يحدث ان تندفع سيارة فى رعونة جنونية ، فلا يملك إلا ان يلتقط رقمها فى غمضة عين وفى اثنـــاء عودته الى موقفه الأول يكون الرقم قد استقر فى دفتره ، وقد دون امامه ميعاد مرورها .

يتكرر هذا المشهد كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة . ولم يكن فى اى من هذه الاوقات ، يفكر او يحاول النظر إلى ظاهر يده اليمنى على الرغم من انه يكتب بهـــا ارقام السيارات ، او يبسطها جانبا من حين إلى اخر . اما الآن فقد تغير مكانه تماما : الهواء البارد يلفح وجهه ، والشمس من خلفه صاعدة فى عرض السماء ، وتجاهه مباشرة ـ عبر الشارع ـ كتلة من حجر الجرانيت ، كتلة ضخمة ، قوية ، نابتة ، يستطيع ـ لو اراد ـ ان يلمس حافتهـــا العليا دون جهد ، ولكن هل فى مقدوره ان يتهاون ـ ولو لحظة ـ فيعبر الشارع ويلمسها ؟ لا احد يدرى ما الذى قـــد يحدث ؟ وقد تجيء « الطوبة فى المعطوبة » وتقع حادثة بشعة فالكل مجانين ، والكل متعجل ، وسيكون هو حتما المسئول ، وامتد بصره بعيداً : المياه المخضرة الداكنة لمعتها فضية يشوبها سواد ثقيل . فجاة يتلاشى كل شيء من امامه ، ويندفع إلى منتصف الشارع ، وتمتد ذراعه تمنـــع السيارات ، وبدون قصد ، يلمح ظاهر يده ، لا شيء غير مالوف او شاذ ، وتتحول عيناه بسرعة إلى المارة ، يحثهم على الاسراع فى العبور ، وإذ يطمئن إلى ان الجميع قد عبروا فى سلام ، يترك ذراعه تســـقط بجانبه ، وهو فى طريقه إلى مستقره الأول وتنطلق السيارات : تبدأ فى بطء ثم لا تلبث ان تتوالى فى ليونة وسرعة ، وزجاجها يعكس بريقا لامعا من فعل اشعة الشمس الصاعدة .

لاشك ان المصادفة وحدها ، هى التى جعلته يرى المنظر الرهيب ، فقد اعتقد للحظة انه فى حلم ، او ان ما يراه الآن لم يكن موجودا من قبل ، وانه ظهر فجاة ، هكذا بسرعة وبدون مقدمات ، ولكن تلك هى الحقيقة : كيف لم ير الأسد الرابض فوق الكتلة الجرانيتية ، هو الذى يستطيع ان يقرا ارقام السيارات من بعيد ؟ كيف لم يستطع أن يلحظ ما فوقها وهى تواجهه تماما وكانها تراقبه ؟ هل أصاب نظره شيء ما ، أم ماذا ؟ ولكن لا سبيل الى انكـــار ما يرى . ها هو الأسد يرمقه بعينيــــه ، لا يقول شيئا ، ولكنه بالتاكيد يراقبه . عليه ان يتجاهله ، يهمله ، لا ينظر إليه وكانه غير موجود ، ثم ما قيمة أسد كهذا ؟ هز كتفيه مستهزئا وأشاح بوجهه ، موليا بصره الى السيارات التى تمرق امامه .

كان الأسد قد اختفى ، والارجح ان قاعدته الضخمة قد غطست به فى اعماق النيل ، فراى الافق المنبسط خاليا من اى شيء ، ومع ذلك فهو لا يستطيع ان ينطلق او يغير من وقفته هذه : خطوات معدودة إلى المنتصف ، وما هى إلا دقيقة واحدة حتى يرجع ثانية فوق مربضه هذا . احيانا كان يتخيل انه يقف فوق قمة جبل ، غير ان هذا الجبل لم يكن إلا ذلك المسطح الخشبى الذى يقف عليه . كثيرا ما كان يضرع إليه الجميع ، هناك ، تحت ، عند الســـفح ، طالبين منه العفـــو ، وكان إذا تحقق من شخصياتهم ، واكتشف حقيقتهم ، وجدهم سائقى سيارات الأجرة ، ولكن لماذا يغفر ؟ لماذا يعفو عن اخطـــائهم وتهورهم واستهتارهم ؟ انهم فى الحقيقــــة لا يستهينون به ، انه فقط ممثل للسلطة ، عليه ان يحميهم من انفسهم ، كما يحمى الناس من شرهم . وظل يرقب الضوء الأخضر ، حتى إذا ما انطفا فجاة ، وتوهج الضوء الاحمر ، انحدر من الجبل ، واتجه إلى الوسط رافعا ذراعه . فى هذه اللحظة نسي كل شيء ، وظل محدقا فى الفراغ ، وتوالت امام عينيه اقدام العابرين فى سرعة وكانها ارانب مذعـــورة ، وكانت احذيتهم صغيرة ورقيقة ولامعة . وحانت منه التفاتة فوقعت عيناه على حذائه الأسود الضخم ، لم يكن الحذاء لامعاً ، بل كانت تكسوه طبقة خفيفة من غبار الشارع ولمح به شقا جانبيا ، وإذ دقق فيه النظر ، فقد وضحت له معالم المأساة : سيضطر إلى اصلاحه وليس ذلك ســـهلا على اى حال .

حدث لحذائه السابق ان شق من نفس المكان ، فوق اصبعه الصغير ، ولكنه لم يهتم ، ظن ان المسالة لا تحتاج إلى اكثر من غرزة او غرزتين . وعند انتهاء نوبته ، عرج على دكان اسكافي وناوله الحذاء ، وما

كاد يضعه تحت الابرة ويدير العجلة ، حتى انكسرت الإبرة . شعر بالحرج وتامل ملامح الاسكافى فاذا هى قد تحولت إلى غيظ مكتوم وهو يختلس النظر إلى بدلته الرسمية . حاول أن يعتـــذر له ، ولكن الاسكافى كان صموتا فاخذ يفحص سن الابرة المغروزة فى الجلد ، وبكماشة صغيرة انتزع السن ، ثم تحسس الجلد بيده ، ورفع بصره إليه وكانه يشهده على مقدار ما تجشم فى سبيل خدمته ، ثم مد به يده قائلا : لا مؤاخذة جلده سميك جداً .

دوى صوت « موتوسيكل » ثم توقف امامه ، وبالعادة اعتدل فى وقفته ، وامتدت يده الى جيبه الأعلى واخـــرج دفتر للمواعيد ، وقدمه إلى راكب « الموتوسيكل » لم يستغرق التوقيع اكثر من نصف دقيقة رجع بعدها إلى مكانه فوق القاعدة . تامل التوقيع لحظة ، ثم رفع يده ثانية ليضع الدفتر فى جيبه . الآن وضح كل شىء ، اصبحت الصورة امامه مباشرة . ربما يكون قد دهش فى أول الأمر ، وربما حاول الا يدهش ، ولماذا يفعل ؟ اليس السبع شاهر السيف مرسوما على ظاهر يده منذ كان طفلا ؟ اغلق الجيب باحكام وربت عليه مرة أو مرتين ، مجرد عادة يطمئن بها على ان الدفتر قد استقر فى موضعه ولم يسقط منه .

قال له أبوه إنه سيصحبه إلى أرض الخفير ، ليشهد الاحتفال بالمولد النبوى . وبين الحواة والرفاعية والأراجوز ، قضى فترة عجيبة ، وعندما رأى صندوق الدنيا تسمرت قدماه فى الأرض واصر على أن يتفرج ، وعاش فيما يقصه الرجل عن بطولة عنترة وجمال ست الحسن والجمال ، وفجأة ظهرت تلك الصورة : السبع العجيب شاهر السيف . كان المنظر فريداً ، بل لا يذكر انه شاهد اجمل منه أو اروع . وانتهت الفرجة ، ولكن الصورة علقت فى ذهنه فراح يكلم اباه عن هذا السبع العجيب . وساله ابوه وهو يضحك ان كان يرغب فى سبع مثله ، وكانما كان ينتظر مثل هذا السؤال ، فتعلق بجلبابه ، واخذ يضرب الارض بقدميه باكيا ، ويصرخ قائلا انه يريد سبعاً مثله . حار أبوه ماذا يفعل ؟ غير أن مشهداً غريباً ظهر امامه كان فيه الخلاص . الابر تنغرز فى ظاهر يده ، أبوه قد امسك به ووضع رجله على نصفه الاسفل حتى لا يستطيع الحركة . كان أبوه يضحك وفى نفس الوقت ينهره قـــائلا : « الم يكن هذا طلبك ؟ ها قد صرت تمتلك سبعا شاهراً سيفا.»

كان الضوء قد تحول إلى الأحمر ، فاندفع إلى منتصف الشارع ، ورفع ذراعه يمنع السيارات . عندئذ ، نظر الى ظاهر يده ، كان السبع تحت اشعة الشمس يبدو اخضر داكنا ، وليس للسيف اية لمعة أو بريق ، ولكنه اضطر إلى خفض ذراعه ، حينما انبثق الضوء الأخضر امام عينيه . وإذ صار شديد الرغبة فى تامل السبع ، فقد رفع يده ثانية محدقا فى الصورة ، ما هذا ؟ مجرد حيوان ذى قوائم اربع لا يمت إلى الأسد بادنى صلة . ايقن انه امام اكذوبة ضخمة ، اكذوبة كانت فيما مضى صغيرة ، ثم لم تلبث ان كبرت وتضخمت حتى حجبت عن عينيه الرؤية الحقيقية . كان قد بدأ يلحظ شيئا ما ، اسود ، يملأ الفضاء كله ، غير انه لم يكن قد تحقق منه تماما . حاول أن يخمن دون ان ينظر إلى كيانه فلم يستطع ، وبشجاعة فائقة حول بصره ليجد الأسد الرابض فوق النصب الجرانيتى يتامله بعينين حادتين ، وكانه يسخر منه ومن سبعه المزعوم .

كان اللونان يتواليان ، فجعلاه مشتت الفكر زائغ البصر . صارت المشكلة هى تلك الفترة الطويلة التى يمكنه فيها ان يتملى من حقيقة هذا الأسد الضخم ، وفشل فى مقاومة النظر إلى ظاهر يده . كانت المهزلة واضحة فى أجلى صورها . لا يمكن الشك فيها أو انكارها ، وبداله ان يعقد مقارنة ولكنه – فى نفس الوقت – كان متردداً . كيف يمكن لمقارنة كهذه أن تنتهى لصالح المغرور حامل السيف ؟ ثم ما معنى هذا السيف ؟ اليس السبع مكتفيا بذاته وقوته عن أى شىء ؟ وارتسمت على شــــفتيه ابتسامة مليئة بالهزء والسخرية . ليس هذا أسداً على أى حال . كيف امكن إذن ان ينخدع فيه كل هذه السنين ؟ والأعجب ان الجميع قد انخدعوا كذلك حتى امـرأته لا تناديه إلا بالسبع .



فى الليالى المقمرة حينما يجتمـــع باصدقائه ، وتدور الجوزة ، يحلو للكل ان ينادوه بالسبع ، عندئذ تتراءى له الصـــور الرهيبة فيبدأ فى الزئير وقد انتابه شعور التفرد والامتياز ، فينقل بصره بينهم ليختار فريسته ، وفى النهاية تجىء الفريسة إليه بنفسها مقدمة اشلاءها ، فيعلو الصياح ويتبادلون الشتائم والنكات وتدوى القهقهات ، ويشوب الجوزرقة خافته وتضيق الغرفة المكتومة وتثقل الرؤوس . وإذ تخبو الجمرات تنداح الغمة وتشرئب الرقاب باحثة عن نسمة هواء نقى ، ولكن لا امل . الجميع مرتكزون باجسادهم المخدرة على الجدران المتقاربة وانوفهم تشمشم عن سحابة ضالة ربما اختزنت شيئا من الحذر. وفى طريق عودته إلى البيت يحاول ان يتذكر ، ومن خلال محاولاته ، تبدا مخيلته فى استرجاع بقايا الليلة المغبشة ، وتتمايل رأسه وتبحث عيناه عن الحارة المظلمة ، ثم تبحث عن البيت المتداعى ، ثم يصل إليه صوتها هادئا رفيقا ولكن من بعيد : لماذا تاخرت يا سبعى ؟ وينوء عن الدنيا ومن فيها .

انتبه على أصوات أبواق السيارات مدوية فى غيظ وانفعال . كانت مجموعة من السيارات قد اختنقت فى عرض الشارع . وقف لحظة ماخوذا ، ثم هبط من عليائه واندفع بينها محاولا الوصول إلى عقـدة الاختناق .

كان اتوبيس سياحى قد انعطف يساراً ولم يستطع الحركة لوابل السيارات المندفع عن يمينه . لا سبيل إلا أن يوقف التيار اليمينى حتى يتمكن الاتوبيس من السير . فى هذه اللحظة كان هو الوحيد الذى يستطيع باشارة منه ان يتخذ هذا القرار ، وإذ امتد بصره إلى الصف الطويل فقد ادرك على الفور انه لو تهاون ثانية واحدة لتوقف المرور فى الاشارة السابقة ايضا ، اما إذا أرتج عليه ، واضطرب من هول المشهد ، فمن المؤكد ان تتعطل الحركة الى ما لا نهاية . وبنظرة خاطفة امكنه ان يحدد مكان البدء ، فأسرع تجاه سيارة أمام الاتوبيس وطلب من سائقها أن يصعد بها فوق الرصيف ، ثم اتجه الى اليمين وحث السيارات على الاسراع قليلا محولا اتجاه السير ، ولم تمض دقيقة إلا وكان الاتوبيس قد اخذ طريقه جهة اليمين ، ثم اخذت السيارات تتحرك من خلفه منطلقة فى طريقها الطبيعى .

السبع

وقف يتاملها وهى تسير فى تؤدة وحرص ، حتى إذا ما اطمأن الى سلامة خطته اتجه عائدا الى قاعدته الخشبية فاعتلاها . عندئذ تنفس فى ارتياح . وجال ببصره فى المكان ليشعر بمزيد من الاطمئنان . غير انه فوجىء بالأسد يواجهه تماما وقد بدت من خلفه اعمدة المصابيح القائمة على الكوبرى وكأنها مصباح واحد قد انغرز فى رأس الأسد . ولأن هذا الوضع لم يكن طبيعيا ، فقد انتزعه من رأسه ، وقدمه اليه ، فتناوله الأسد منه مبتسما وشهره عاليا .

الآن ، يستطيع أن يعقد المقارنة . ما بال الأسد يبدو قوى العضلات ، ثابت النظرات تتميز وقفته بمواجهة صريحة ، فى الوقت الذى يبدو فيه سبعه كفأر مبتل ذيله الرفيع المنسرب من نهاية ظهره كفتلة دوبارة . حدق فى الأسد تحديقا شديدا ، ومال بجسمه محاولا أن يرى ذيله ، ولكنه لم يتمكن . لابد انه طويل غليظ ينتهى بذؤابة مكسوة بشعر غزير توحي بالقوة الحقيقية لصاحبه . لم يكن يتصور – فى يوم ما – انه سيقف وجها لوجه امام تمثال للأسد . والعجيب فى الأمر انه حينما شاهد الأسد فى حديقة الحيوان ، لم تخطر على باله فكرة المقارنة بينهما ، ولكن ما بالها الآن تبدو شديدة الالحاح على نفسه . انتابته حيرة طاغية ، هل يعبر الشارع ويذهب إليه ليعاينه عن قرب ، أم يترك هذا العبث؟ ولكن نظرة ثابتة إلى الأسد جعلتـــه لا يتوانى فى الاتجاه نحوه متجاهلا ما قد يحدث نتيجة ذلك .

دار حوله محاولا اكتشاف جميع جوانبه غير أن نظراته كانت سريعة وخاطفة ، فمـــا كاد يرى شعر لبدته الكثيف وقد انحدر حتى نصف ظهره ، حتى انتقلت عيناه إلى قدميه الخلفيتين وقد ارتكز جسمه عليهما

فاعترض بصره الذيل ، وقد التف فى كبرياء حول مؤخرته واستقر بجانبه فامتدت يده لتلمسه ولكنه تلفت حواليه فعدل عن هذه الرغبة واتجه بسرعة عائدا إلى مكانه ، وما كاد يستقر فوق القاعدة الخشبية ، حتى حانت منه التفاتة إلى ظاهر يده ، فأشاح بوجهه عنها .

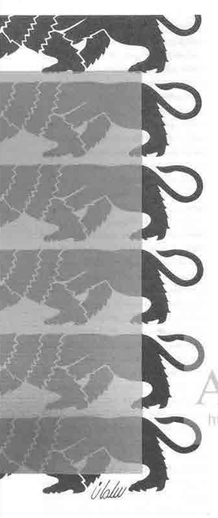
كان الملل قد تسرب إلى نفسه ولم يعد فى استطاعته أن يتحمل أكثر من ذلك ، فنظر إلى ساعته . كانت الشمس قد عبرت السماء تجاه الغرب ، ولم يعد فى نوبته إلا دقائق معدودة ، فأخذت عيناه تبحثان عن زميله المرتقب ، وكأنما يقينه من قرب انتهاء نوبته قد امده بنشاط غير عادى فى حركاته ، جعله يتنقل من القاعدة إلى الوسط فى حيوية ونشاط عجيبين . ولم تمض لحظات حتى وصل زميله ، فدون له فى دفتره ساعة حضوره ، وتخلى عن مكانه مختـــارا سعيدا .

• • •

استقبلته امرأته كما اعتادت أن تفعل كل يوم ، ولكنه تجاهلها ومضى إلى الحجرة دون أن ينظر إليها . وكان عادة يجلس على الأريكة فى الصالة ويمد رجليه منتظرا . أما هى فتعرف ما يريد ، وما يجب أن تفعل : تذهب إلى الحمام لتأتى بالقبقاب وتضعه بالقرب من قدميه ، ثم تجلس على الأرض أمامه وتعاونه فى خلع الحذاء ، ثم تحضر الطشت مملوءا بالماء الساخن . كانت تلك الفترة هى دائما الفرصة الوحيدة لتبادل الحديث والمناوشات قبل الأكل والنوم ، ولكنه فى هذا اليوم بدا على غير عادته ، فتبعته صامتة محاولة أن تقرأ فى وجهه أى معنى يفسر لها ما فعل .

كان قد افترش أرض الحجرة ، وامتدت يداه للحذاء فوقع بصره على ظاهر يده ، فاختلس نظرة إليها ، فإذا هى تحدق فيه واجمة وكأن مصيبة قد حلت بها ، تجاهل نظراتها ، وهب واقفا ليخلع البدلة ، وكان دائما يفك الأزرار دون أن يفكر كيف أو بأى يد يفعل ؟ ولكن فى هذه المرة كان حريصا أن يستعمل أصابع يده اليسرى متجنبا النظر الى اليمنى أو تحريكها . ولاحظت امرأته تعسره فى فك الأزرار ، فانزلق بصرها على اليدين محاولة فهم ذلك الاضطراب الواضح عليه . وما أن ارتدى الجلباب حتى كان وجهها قد امتقع وأيقنت أن شيئا ما قد أصابه .

كانت طوال هذه الفترة صامتة تماما ، واقفة بالقرب منه تتامله تريد أن تستشف هذا التغيير المفاجىء الذى انتابه ، وجال خاطر غريب سيطر على تفكيرها ، فهزت رأسها مرة أو مرتين وتمتمت قائلة : «اللهم اخزك يا شيطان» . إلا أن الفكرة أخذت



تكبر حتى صارت أكبر من أى مصيبة وقعت على رأسها من قبل .

كان السبع قد استلقى على السرير ، وتعمد أن يضع كفه اليمنى تحت رأسه ، وراح يحدق فى السقف ، وبين لحظة وأخرى يسرق نظره الى وجهها فقد بدأ يلحظ ذلك التغيير فى ملامحها ونظراتها مما جعله يفكر فيما يمكن أن يدور برأسها . وسألته فى صوت ناعم ولكنه مليء بالشك والحذر :

– مالك يا سبع ؟

فاجأه السؤال ، أو بالأحرى تلك الكلمة الأخيرة . اخترقت أذنه وكأنها لدغة ثعبان . اعتدل على جنبه ، وتأملها هنيهة ،



ثم بجهد واضح رسم على شفتيه ابتسامة مغتصبة قائلا :

ـ لا شيء .

ـ هل انت متعب ؟

اجابها وهو يحول بصره عنها :

ـ قليلا .

الآن اتضح لها كل شيء . لماذا يشيح بوجهه عنها ؟ لماذا لم يطلب منها الماء الساخن ؟ هل هذا ممكن ؟ ولكن خيالها صور لها ماساة جديدة . وهمت بالجلوس على حافة السرير العالي بالقرب من قدمي السبع ، ولكنها ترددت ، ثم عدلت عن ذلك وجلست على الأرض . اندهش السبع من هذا التصرف . ما الذى غيرها ؟ هل اكتشفت ان ما رسم على ظاهر يده لا يمثل إطلاقا السبع الحقيقى فى كثير أو قليل ، وانها كانت مخدوعة طوال هذه السنين ؟ غير ان ما كان يجول فى خاطرها كان شيئا آخر تماما . لقد فاجاها هذا التغيير غير المسبوق : هل فكر فى الزواج ؟ ولهذا بدا فى وضع وتنفيذ خطة مرسومة . ولكنها لم تعرف كيف أو تجرؤ على سؤاله مباشرة ، فابتسمت ابتسامة باردة وسالته :

ـ هل أعد لك الأكل ؟

كان وجهه قد امتقع ، وبدت فيه واضحة غضون غائرة فاغتصب الرد قائلا :

ـ نفسى مصدودة .

لم يكن على بينة مما يدور فى داخله ، كان يريد أن يصرح لنفسه بشيء ما ، غير انه لم يفعل ، وكلما حاول التفكير فى هذا الأمر ، وجد نفسه يبتعد شيئا فشيئا ، مؤثرا تجاهل الموضوع ، وظل محدقا فى السقف ، وإذ وجدته لا يهتم بالحديث معها او المناوشة التى اعتادها كل يوم فقد غادرت الحجرة وتركته نهبا لأفكاره التى اخذت فى النمو وراحت الصور المزعجة تتماثل امامه ، حتى شعر كما لو أن إبرا تنغرز فى جسمه كله ، فهب من نومته واخذ يتلفت فى حيرة وقد بدا الجوع يقرصه . ولكن المشكلة كانت صعبة . انه ياكل بيده اليمنى ، وهذا سيجعل السبع ماثلا امام عينيها ، هل ياكل منفردا ام يتوكل على الله وليحدث ما يحدث ؟

نادى على امرأته ، وطلب منها اعداد الأكل ، وقام متثاقلا مترددا لا يدرى ما الذى يفعله ؟ ولكنه كان قد صار اسيرا لموقف ولا سبيل الى التراجع . جلس امام «الطبلية» منتظرا امرأته ولكنها لم تجلس .

ـ ألن تاكلى ؟

ردت عليه فى برود :

ـ نفسى مصدودة .

ماذا ؟ هل تسخر منه ، أم انها فعلا مصدودة النفس ؟ ولكن فى اعماقه شكر لها هذا الموقف . قطع الخبز وبدا فى الأكل وكلما مد يده الى الطبق ، اختلس نظرة الى امرأته فيطمئن الى انها لا تنظر تجاهه على الاطلاق . كانت جالسة بعيدة عن «الطبلية» شاردة الذهن محدقة امامها ، وقد اسندت خدها على كفها . ساوره القلق ، هل اكتشفت الحقيقة ؟ لم يستطع التفكير فى شىء اخر . ليكن شجاعا وليسالها مباشرة ، وبدون مواربة ، ودفع اللقمة التى وقفت فى حنجرته بجرعة ماء من القلة ، ثم تجشا . كان صوته طبيعيا ولكن خيل اليه انه لم يكن كذلك ، لقد اكتشف فيه بعض الخفة والحدة ، ليس هذا صوته الطبيعى . كل يوم حينما يشرب يتجشا فى قوة وخشونة ، ولكن ما بال الصوت يصدر فى هذه المرة ضعيفا تافها ؟ لقد بدات حقيقته تتكشف ، ولن يطول الوقت حتى تدرك انه لم يكن فى يوم ما سبعا ، وان الهيبة التى احيط بها ، لن تلبث وتتمزق وتظهر الحقيقة عارية لها وللجميع . لم يعد يستطيع أن ياكل بعد ذلك . لم يكمل رغيفا واحدا ، هو الذى كان يلتهم رغيفين او ثلاثة . ستلاحظ ذلك حتما وقد تساله عن السبب ، بماذا سيتعلل ؟ وتحامل على نفسه ، وحاول مضغ لقمة اخرى ، وبصعوبة بالغة بلعها ، وعاد يجرع من القلة . حار كيف يقوم ؟ كيف يذهب الى السرير ؟ هل ستساله لم لم ياكل ؟ فى هذه اللحظة شعر انه قد بدا ينهار . شعر بالندم يصعد الى رأسه . ما الذى يستطيع أن يقوله او يفعله ؟ إنها بالتاكيد تفكر فيما أصابه او على الاقل فيما جعله يغير من عاداته اليومية . هم ان ينطق إلا ان لسانه لم يطاوعه . ظل يتلفت محاولا ان يدرك موقفه الحقيقى ، وقع بصره على امرأته ، لم تكن تلتفت اليه ، كان وجهها ينم على تفكير عميق وربما عن حزن أيضا ، كان لا يفتا يمسك ببعض فتات الخبز ، موحيا أنه مازال ياكل ، واخيرا سالها دون ان ينظر اليها :

ـ مالك اليوم ؟

رفعت وجهها اليه ، ورمقته بنظرة غريبة ثم قالت فى تساؤل :

ـ مالي !! وهل حدث شيء ؟

لم يعرف بماذا يجيبها ؟ هل يصرح لها بما يدور فى راسه ام يكتفى بما قالت ؟ لقد لاحظت تغييره ، وكان يمكن ان تساله فى جراه وشجاعة ، ولكن ما الذى كان يستطيع ان يجيب به ؟ اراد ان يوميءلها بان شيئا مهما لم يقع ، وبانها تفكر فيما لم يخطر على باله ، فوجد انه من الأسلم ان يحاول ان يبدو طبيعيا فتظاهر بالابتسام قائلا :

ـ تعالى كلى .

ردت ابتسامته لها الروح ، ابتسمت فى هدوء ، واقتربت من «الطبلية» وبدات تاكل على استحياء ، كان يريد ان يعرف ما فى راسها ، ولكنه لم يجد فى نفسه الشجاعة لسؤالها مباشرة . ماذا لو حاول ان يستدرجها فى الكلام عساها ان تبوح له بمكنونها ؟ هل لاحظت محاولاته فى اخفاء يده اليمنى ؟ هل فكرت فى إمعان النظر فى السبع لتعرف حقيقته ؟ فجاة ، اعتقد انها ربما تنبهت الى الحقيقة مادام جالسا امامها . هب واقفا ومضى يغسل يديه ، ثم دخل الحجرة واستلقى على السرير ، بعد ان خطف «الترانزستور» من على الرف ، ودخل تحت اللحاف ، وفتح «الترانزستور» فانطلقت اغنية لم يعجبه نغمها ، فجعل يحول المفتاح الى محطات اخرى ولكنه عاد ثانية الى الاغنية التى كانت على وشك الانتهاء وحاول أن يركز انتباهه الى كلماتها فلم يستطع وبين اللحظة والاخرى كان يتامل ظاهر يده فى شبه خوف لئلا تفاجئه امرأته وهو يفعل ذلك . فجاة انبثقت فى رأسه فكرة . لم لا يزيله بماء النار ؟ بعض العسكر يفعلون ذلك فى العصفورتين المرسومتين على جانبى الجبهة . ظل فترة يتامل هذا الخاطر ولكنه استبعده بسرعة . إن اغلبهم يتصور انه قد محا من الوجود العصفورتين إلا ان اثرهما يبقى ماثلا ينم على أنه كان فى هذا المكان عصفور اخضر . وتراءت له يده مشوهة لامعة الجلد . ألا يكون فى ذلك مدعاة للتساؤل أكثر مما هى عليه الآن ؟

كانت ثمة اغنية اخرى قد اخذت تتردد ، ولكنه كان شاردا لا يكاد يسمع شيئا . دخلت امرأته الحجرة ، والقت عليه نظرة عابرة ، ثم همت بالجلوس على الارض ، إلا انه ادركها قائلا :

ـ اطلعى على السرير .

استقرت بجانبه تحت اللحاف . كانت صامتة تماما . كان يحاول التركيز فى كلمات الاغنية التى تتردد . كان قد وضع «الترانزستور» على المخدة بين راسه وراسها . حاول ان يقرب قدمه من قدميها إلا انها بسرعة جذبت قدميها . شعر بانها فوجئت . ماذا يفعل ؟ هل يغلق «الترانزستور» ويضعه تحت السرير ، ثم يبدأ فى الزحف تجاهها ، ام يتركها هكذا نافرة منه وكأن شيئا ما قد وقع بينهما ؟ ولكنه لم يفعل شيئا من هذا . ظل محدقا فى السقف وقد خبا يده اليمنى تحت اللحاف . إنها الآن لا ترى يده . لا تستطيع ان تكتشف ما إذا كان المرسوم على ظاهرها سبعا يمثل السبع الحقيقى ، ام انه مجرد مسخ توهم راسمه انه سبع حقيقى . حول بصره تجاه امرأته ، كانت شاردة فى السقف مثله . ظل يتاملها فترة ثم سالها بصوت خافت تعمد ان يبدو رقيقا :

ـ فيم تفكرين ؟

اجابته دون ان تحول بصرها تجاهه :

ـ لا شىء .

ـ غير معقول .

ـ لماذا ؟

ارتعشت شفتاه ، ولكنه كان يريد ان يعرف كل شىء .

ـ اعرف فى ماذا تفكرين .. فى السبع أليس كذلك ؟

نظرت اليه بطرف عينها ، وفى نبرات ساخرة اجابته :

ـ اتعتقد انك مازلت سبعا ؟!

ما كادت هذه الجملة تخترق اذنيه ، حتى ارتجت أركانه تماما ، وبسرعة أغلق «الترانزستور» وساد بينهما السكون ، ثم لم يلبث أن هم من استلقائهقليلا ، وامتدت يده الى مفتاح النور واطبق الظلام والصمت ، وانزلق تحت اللحاف غير انه شعر بالحرارة فى جسمه ، فاخرج يديه من تحت اللحاف وقد امسى فى مأمن من ان ترى امرأته ظاهر يده . واخذ يفكر فى تلك الجملة التى قالتها : «اتعتقد انك مازلت سبعا ؟» ترى هل اكتشفت الحقيقة الآن فقط ، أم انها كانت تعرفها منذ زمن ؟

وفى هذه الليلة لم يغمض له جفن .

مصطفى أبو النصر

ليس بالغذاء النظيف وحده يطمئن الإنسان !

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

التغذية الصحيحة ليس معناها أن نتناول غذاء قليلا محتويا على جميع المركبات الغذائية الضرورية لبناء الجسم ونشاطه ووقايته فحسب ، بل معناه أيضاً أن نتناول غذاء نظيفاً خالياً من الطفيليات والجراثيم المسببة لأشد الأمراض وأخطرها .

وليست نظافة الغذاء مظهرها الخارجي فقط ، بل فى داخله ايضا ، لان جراثيم الامراض التى تسبب تلوث الغذاء وعدم نظافته كائنات صغيرة جدا ، تعيش داخل جسم المريض ، وتخرج من افرازاته ، وتصيب السليم بالمرض إذا تلوث به طعامه او شرابه .

والجراثيم كائنات حية دقيقة الى درجة لا نستطيع ان نراها بالعين المجردة ، ويمكن ان تجمع مليون منها بسهولة على راس دبوس ، والجراثيم موجودة فى كل مكان ، فى الهواء وفى الاتربة ، وفى الاقذار ، وعلى ملابسنا ، وعلى جلدنا ، وخاصة على ايدينا ، وفى الانف والحنجرة وهى تختلط بطعامنا بطرق كثيرة ، ويكفى عطسة قوية او سعلة شديدة ان تنقل ما فيها من جراثيم الى الطعام ، والبصق ايضا ينقل العدوى الى الطعام مباشرة ، او بطريقة غير مباشرة عندما يجف البصاق وتذروه الرياح ، ويحمله الهواء الى الطعام المكشوف ، وكذلك الذباب فهو اعظم ناقل لهذه الجراثيم الخطرة الفتاكة ، على ان اخطر شىء هو يد الشخص المصاب بالاسهال او الديدان .

الماء والصابون والفرشاة

ولكي نقضى على هذه الجراثيم ينبغى علينا الا ندعها تصل الى طعامنا ، فعندما نمس الطعام لاعداده للاكل او لتناوله او لتقديمه ، ينبغى علينا ان نتاكد من ان ايدينا وخاصة اظافرنا وثيابنا نظيفة قدر المستطاع ، وعندما نمس شيئا غير نظيف كالشعر او الأنف ينبغى الا نعود إلى تناول الطعام دون ان نغسل ايدينا اولا .

وعندما نغسل ايدينا ينبغى ان نستخدم الصابون والماء الساخن ، وان نفرك اظفارنا بالفرشاة ، حتى نتخلص من القذارة التى لا تزول بمجرد وضع الايدى فى ماء بارد ، ويتحتم كذلك ان نغسل ايدينا بعد التبول او التبرز .

وعلينا ان نلاحظ ان تكون جميع الاكواب والصحون واوانى الطهو والسكاكين والملاعق والشوك ، مغسولة غسلا جيدا فى ماء ساخن ، والماء المغلى افضل لان الغليان يقتل الجراثيم ، ومن الافضل ان نستخدم الشوكة او الملعقة بدلا من الاصابع عند تناول الطعام ، لان فى مقدورنا تنظيف الشوك والملاعق فى ماء ساخن .

وينبغي علينا الا نترك الطعام مكشوفا او معرضا للغبار والذباب ، وخاصة اذا كان مطبوخا ومعدا للاكل ، حتى لا تتاح فرصة للجراثيم للوصول الى الطعام على الاطلاق ، وحتى لا يتاح الوقت لهذه الجراثيم ان تتكاثر فيه ، وعلينا ان نغسل خضروات السلطة بالماء الجارى عدة مرات والا نقنع بازالة الطين العالق بها ، هذا مع غمسها مدة دقيقة فى ماء مغلى ، او نقعها فى مدة ربع ساعة فى محلول برمنجنات البوتاسيوم الذى يمكن اعداده باذابة نصف ملعقة صغيرة منه فى لتر من الماء ، مع اضافة عصير الليمون الى « السلطة » بسخاء لان ما فيها من حموضة يقتل ما بقى من جراثيم الامراض .

مواعيد منتظمة

وليست التغذية مجرد امداد الانسان بالغذاء النظيف الذى يضم جميع المركبات الغذائية اللازمة بالقدر الكافى فحسب ، بل ينبغى ان يتم تناول هذا

ليس بالغذاء النظيف وحده يطمئن الإنسان !

رغم المظهر الجذاب لهذا الطعام ، الا انه مطلوب منا ان نتأكد من عدم اتاحة اى فرصة لوصول الجراثيم إليه ، وهى موجودة فى كل مكان

يفضل كثير من الناس اضافة عصير الليمون بسخاء إلى « السلطة » لقتل ما بقى من جراثيم الامراض .



الغذاء النظيف الكامل فى أوقات منتظمة ، وفى جو يسوده الهدوء والطمانينة ، مع جودة المضغ ، فلا شيء يعطل الهضم ويفسده اكثر من عدم تناول الطعام فى مواعيد منتظمة ، فبعض العاملين يذهب الى عمله من غير فطور ، ويتناول طعام الغذاء فى مواعيد مختلفة غير ثابتة ، تارة يتناوله فى الساعة الثانية ، وتارة فى الساعة الواحدة ، وتارة فى الرابعة بعد الظهر ، وليس لوجبة العشاء عندهم موعد ثابت ، ومثل هذا الاختلاف فى مواعيد الطعام يسبب سوء الهضم وارتباكه ولهذا كان من الضرورى ان تحدد مواعيد منتظمة ثابتة ، لتناول وجبات الطعام ، حتى تعتاد غدد الجهاز الهضمى أن تعمل بانتظام ، فتنتظم تبعا لذلك عملية هضم الغذاء ، وتتم على خير وجه .

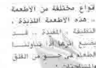
وخير ما ينصح به عند الاحساس باضطراب معدى نتيجة وجبة ثقيلة فى حفل ، أو تغيير موعد الطعام ، وما الى ذلك ان يمتنع الانسان عن تناول الوجبة التالية ، فاراحة المعدة بعد الاثقال عليها او إثارتها تهيىء لها فرصة طيبة لاستعادة نشاطها ، واعادة تنظيم وظائفها .

وللرياضة صلة بعملية الهضم ، فالرياضة العنيفة ، او الجهد البدنى الكبير ، بعد الاكل مباشرة ، يعطل عملية الهضم ، فى حين ان الرياضة المعتدلة بعد الاكل بساعة تساعد على الهضم ، اما الراحة بعد الوجبات لفترة قصيرة فمن العوامل المهيئة لقيام المعدة بتادية وظيفتها على وجه كامل .

ولو أن ربة المنزل قضت اغلب وقتها فى انتاج طعام نظيف كامل ، وبذلت قصارى



يجب الا نقتنع بإزالة الطين اثناء غسل خضروات السلطة ، ولكن علينا ان نغسلها بالماء الجارى عدة مرات والماء المغلى لدقيقة واحدة :



انواع مختلفة من الاطعمة .. هذه الاطعمة اللذيذة ، الشهية ، المفيدة .. قد يضيع اثرها اذا تناولنا الطعام فى جو من القلق والمشاحنات :





جهدها فى ترتيب المائدة وتنسيقها ، ثم راحت فى اثناء جلوسها على المائدة تذكر الاخبار المحزنة والافكار السقيمة او تنهمك فى جدل او مناقشة لافائدة ترجى من ورائها ، لكانت النتيجة ملل الاكلين وإضعاف شهيتهم للطعام وارتباك هضمهم. وكنتيجة لهذا كله يتلاشى فضلها وتضيع جهودها وينكر نشاطها لانها نسيت ان النفس تتغذى بحلو الحديث ، كما تتغذى العين بحسن الترتيب والمعدة بجودة الطعام .

وما يقال للزوجة يقال لجميع افراد الأسرة ، إذ على كل واحد منهم أن يتجنب المناقشات والمجادلات وإثارة المشاعر اثناء الطعام ، لأن ذلك يولد السخط والغضب ، وهذا بدوره يعطل الهضم ويفسده .

لقد اراد العلم ان يثبت تأثير المرح والسرور على عملية الهضم ، فاجرى تجربة على قطة كانت قد دعيت الى وليمة فاخرة ، وتناولت فيها طعاماً من كبد الاغنـــام ، وبعد ان تناولت القطة هذا الطعام الشهي استلقت على منضدة ، فاذا بأحد العلماء يستخدم الاجهزة الكاشفة ، فوجد ان هضمها يسير سيراً عادياً ، لا يعوقه عائق ، وفجاة دارت اسطوانة فى جهاز خاص تحت المنضدة فانطلق منها صوت كلب ينبح ، فخافت القطة واضطربت ، ووقفت على قدميها ، وقد تقوس ظهرها ووقف شعرها ، وبرزت مخالبها .

وهذا التحول العجيب فى مظهرها لم يكن شيئاً يذكر بجانب ما حشت فى بطنها فقد انقبضت عضلاتها ، وباتت قطعة كبد الاغنام اللذيذة فى جوفها كانها قطعة من حجر ، لهذا كان من الضروري تناول الطعام فى جو من الهدوء والطمانينة والمرح والسرور ، مع تجنب كل ما يثير القلق والغضب والمشاحنات .

لماذا يضطرب الهضم ؟

وبجانب تنظيم الطعام وخلق جو هادىء مرح حول المائدة ينبغي أن نعنى بعملية مضغ الطعام عناية كبيرة، فالتهام الطعام دون المضغ الكافي يعطل الهضم ويؤخره ، أما المضغ الجيد فهو احد العوامل الهامة الواقية من اضطرابات الجهاز الهضمي ، فجميع أنواع الطعام ينبغي الا يبتلعها المرء قبل أن تتحول فى فمه ـ عن طريق المضغ ـ إلى عجينة تكاد تكون سائلة ، ومزج الطعام باللعاب من شانه تحويل النشا إلى سكر ، والمضغ الجيد يسهل المعدة لافراز العصائر الهاضمة ويحول دون سرعة التهام الطعام والافراط فيه دون وعي ، وليس ادعى لاضطراب الهضم من تناول الفطور على عجل او تناول وجبة الغذاء فى المكتب اثناء العمل .

فانت إذ تمضغ الطعام جيداً تقنع منه بكميات اقل ، وتجد فى نكهته ومذاقه متعة اكبر ، حتى الأطعمة التى يبدو انها ليست فى حاجة لمضغ ، ينبغي أن يتناولها المرء ببطء مثل المثلجات او اللبن ، ذلك لأن المضغ الجيد ضروري بوجه خاص للأطفال والمسنين .

د. عز الدين فراج

علياء

ذات القلب الصغير

لوحة مسرحية قصيرة للشباب ، مطعمة - إلى جانب الحوار التمثيلي - بشيء من الموسيقى ، والغناء ، والرقص ، والتمثيل الصامت .

تأليف : نبيل الألفي

الشخصيات :

- الفتـــاة
- الخادمـــة
- الحارس (البواب)
- كورس من خمسة شبان

الكورس :

يتابع الحدث ، ومنه ينفصل « الخطاب » بالتعاقب في التوقيت المطلوب ، بعد ان يضع كل منهم « وحدة ملابس » تعطي الطابع المميز للشخصية .

الحارس :

يصعد بعد كل زيارة ليحضر وعاء الحليب ثم ينصرف ، كمـــا لـو كـــان بحضوره يؤكد تجـزيء المشاهد وتغييرها .

المنظر :

شجرة كبيرة مورقة الاغصان ، في ظلها اريكة خشبية بحديقة بيت من بيوت الرفاهية .

الوقت :

عند البداية ربيع .. وعند النهاية خريف.

الفتـــاة : (تنتقل في رفق بالحديقة بين الورود والزهور ...)

الكورس: فتاة جميلة ،
قلبها مفعم بالكبرياء ، وبعض الغرور ،
تحلم بان يكون زواجها : من شاب ، ممشوق القوام ، وسيم ، وله اسلوبه الجذاب ...
ليس بارداً ، وليس غيوراً ،
وهي تريده — فوق ما تقدم — أن يكون غنياً ، بالوراثـة ، وبالفكر ...
ولكن ،
من ذلك الذي يمتلك من الدنيا كل شيء؟!
إه ! من يدري ؟
لعل القدر يظهر تعاطفه مع مطالبها ،

فيحقق لها في احد خطابها كل ماتتمنى ..

(يدخل شاب من الوجهاء ، يقدم التحية ، ويبقى على مبعدة)

الفتاة : (تنادي خادمتها) بازكية !

الخادمة: (مقتربة) سيدتي !

الفتاة: اسالية عن ثروته .

الخادمة: (تذهب وهي تحجل في مشيتها ، وتتبادل مع الوجيه حوارا بالاشارات الصامتة ، ثم تعود إلى سيدتها تحمل إليها الاجابة) يقول إنه يملك القناطير المقنطرة .

الفتاة: عظيم . اساليه عن اسم عائلته .

الخادمة: (يتكرر ذهابها إلى الوجيه على غرار ما سبق ، ثم تعود إليها) يقول إنه من العائلة الشركسية العريقة .. عائلة « رستم باشا زاده » .

الفتاة: عظيم .. اساليه الآن عن مهنته .

الخادمة: (بالطريقة نفسها ، ثم تعود) يقول إنه دبلوماسي .

الفتاة: رائع ! (واخيرا تمد يدها الى الوجيه وهي في قمة الارتياح لهذه الاجابات ، فيتلقف يدها بحرارة ـ ويصح أن يركع امامها ـ مشبوب العاطفة ، بينما هي تدمدم بطرح سؤال جديد :) لقد تشرفت باسم العائلة ، ولكني لم اتشرف بعد باسمك شخصيا.

الوجيه: اسمي « بلبع »

الفتاة: (ممتعضة) نعم ؟

الوجيه: بلبع ، بلبع رستم زاده .

الفتاة: بلبع ؟! إن فتى الاحلام لا يكون اسمه بلبع ! فتى الاحلام يكون اسمه يونس ، او قيس ، او كثير ، او جميل ... فتى الاحلام يكون اسمه شهاب الدين ، او سيف الدولة ، او قمر الزمان ... (ثم وهي تصرفه عنها بجفاء) بلبع؟! لا.لا.لا

الكورس: ومع ذلك ، « بلبع » اسم انسان ! ليس شائعا ، ولكنه مطروق .

الحارس: (وهو يدخل ثم ينصرف) الحليب يا آنسة !

(يسمع غناء ، ثم يدخل « المغني » فيتخذ مكانه في مواجهة الفتاة ، ويغني مقطعا من الآهات العاطفية ... لدى نهاية المقطع تبدو فتاتنا مسحورة .)

المغني : (يتحمس ، ولكنه يعاني النطق وتسيطر على كلامه المأماة والبأباة والفأفأة)
انا م م م من م م م م مدة طويلة ب ب ب باحب ب ب بك .. احبك ! م م م مشغول الب ب ب بال ب ب ب بك .. الخ .

الفتاة: (يصيبها الدوار ، تطلق صرخة ، تتهاوى ...)

الخادمة: سيدتي ! سيدتي علياء ! افيقي ... رباه! ماذا الم بها ؟! (تعاونها ، وتجعلها تفيق) .

المغني : (وهو مازال مسمرا في مكانه) لست اف ... لست اف اف اف شيئا ! (يقصد : لست افهم شيئا) م م م م مطلقا !!

الفتاة: (تحتشد ، وتعمد الى صرفه عنها بلهجة صارخة) انصرف من هنا ! انصرف سريعا !!

المغني: (يكرر وهو يبتعد منصرفا) اب اب ب بدا ما ما ما ماكنت اتصور ! فا فا فا فاجاتني ... الخ .

الفتاة : (تبدو عصبية ، تطلق زفرة ، ثم تستعيد لنفسها الهدوء ، ولمظهرها الجمال ...)

الحارس : (بالطريقة نفسها..) الحليب يا آنسة !

(يظهر « الرياضي » : نجم كرة قدم وبطل العاب قوى ، لا يضع اي ملابس على النصف الأعلى من جسمه ، خطواته وتوقفاته مقرونة بايقاعات من « الباتري » ...) .

الرياضي: (يدور حول الفتاة في دائرة عريضة ، ثم يتوقف اثناء ذلك عدة مرات متخذا بعض الأوضاع الرياضية الاستعراضية ، ثم يستانف الدوران حولها من جديد .)

الفتاة: (تستوقفه) اه ! أهذا انت ؟
(يتخذ الرياضي هيئة النجم المرموق تستوقفه المعجبات، تشير إليه الفتاة ان يقترب فيقترب ، وفي حركات صامتة يتبادلان بعض الوعود ، ثم يستاذن الرياضي في الانصراف ويستدير مبتعدا عنها ...)

الفتاة: لحظة من فضلك ! (تستوقفه وتقترب رويدا رويدا لتقرا على ظهره الوشم التالي :
« لك يافيفي مدى الحياة »

(ثم بعد ان قرات الوشم بوضوح وتاكيد للكلمات تقول) :
حسن ياسيدي ! وداعا .

الرياضي: (يرفع كتفيه ويخفضهما ، ويخرج .)

الحارس: (بالطريقة نفسها ..) الحليب يا انسة .

الكورس: بعد الفرص العريضة ،
والشخصيات اللامعة ،
ياتي بسطاء الناس ،
ياخذون دورهم في صفوف المتقدمين .

(يدخل مع الموسيقى « محاسبان » ... يمارسان حول الفتاة لونا من الرقص الآلي ، ثلاث دورات وتحية .. ثم تتكرر ... الفتاة مستغرقة في القراءة ، لا تلتفت إليهما ولا تكاد تشعر بوجودهما ... المحاسبان يتوقفان ، يتفقان بالنظرات على مايعتزمان فعله ، ثم يستانفان رقصتهما التي تنتهي هذه المرة بتحية جميلة امام الخادمة ... وتبتسم الخادمة لذلك ابتسامة عريضة فيلتقط كل منهما إحدى ذراعيها ، ويخرجان بها في حركة راقصة ...)

(تتساقط من الشجرة الكبيرة اوراق كثيرة تغطي ارض الحديقة بلون ذهبي ...)

الفتاة: (تستفيق من القراءة ، تنحي كتابها جانبا ، ثم تتطلع حولها ، فلا تجد احدا ... إنها وحيدة ، وحيدة تماما ... يحوطها الفراغ والصمت ...)

(يدخل الحارس ومعه وعاء الحليب ، تهرع إليه الفتاة وتعانقه باندفاع ، بينما يترنح الرجل الطيب من هول المفاجاة .)

(ويسدل ستار الختام .)



بيروت

بقلم: عصام شريح

لمع اسم بيروت خلال مراحل وحقب تاريخية مختلفة ، كمدينة سلام وحب وحرية وانفتاح عقلي ، ولعبت هذه المدينة العظيمة دوراً بارزاً في صياغة أوضاع المنطقة المحيطة بها احيانا ، والمنطقة العربية احيانا اخرى ، لكن بيروت العظيمة ، كانت تدفع جزية باهظة من دمها وجسدها وروحها احيانا كثيرة ، فدية عن دورها الطليعي ورسالتها الحضارية والقومية الخالدة . وإزاء هذا الواقع المشرق والمشع احيانا ، والدامي والمبكي احيانا اخرى ، فان العويل والتفجع لم يكن أبدا نهاية الطريق امام البيروتيين ، بل الصراع والنضال دون هوادة ، من أجل كتابة مستقبل مضيء حافل بالسلام والحرية والحب والمعرفة والثقافة والحضارة بشتى وجوهها ... وذلك في يقيني هو دور البطل ، الذى قد يخسر معركة او اكثر ، لكنه يأبى إلا ان يربح الحرب ... اجل .. تلك هي بيروت .. وذلك هو دورها في التاريخ العربي ، ومن لا يصدق هذا ، فليقرا ماذا يقول التاريخ عن بيروت الخالدة .

ام مع اولادها اثناء القصف العشوائي .. ولقطة اخرى لبيروت تحترق نتيجة القصف الوحشي من قوات العدو



بيروت فى العهد الفينيقي

لم تتمتع بيروت فى عهد الفينيقيين باى شهرة ، والمرة الاولى التى لمع فيها اسم بيروت كان فى الفترة التى تسلم فيها عرش مصر الملك اخناتون فى عام ١٣٧٧ ق.م ،حيث كان النفوذ المصرى واسعا فى بلاد الكنعانيين ، وقد ورد ذكر بيروت عندما هرب اليها ملك جبيل (الواقعة على الساحل اللبنانى إلى الشمال من بيروت) ، واسمه « رب عدي » بعد تدبير مؤامرة لقلب نظام حكمه على يد « عزيرو ابن عبد عشرتا » الاموري : نسبة للاموريين (، وقد لجا « رب عدي » إلى بيروت ، بعد ان دب اليأس الى قلبه من امكانية تلقيه مساعدة مصرية ضد خصومه ، ولان حاكم بيروت « عمونيرا » كان ذا قرابة له عن طريق المصاهرة ، وكان امير بيروت هذا يبعث برسائل الى الفرعون المصري تنم عن الخضوع والولاء ، وتطالب بمساعدات عسكرية مصرية للدفاع عن المدينة ضد الامير عزيرو الاموري ، وعندما اصبحت بيروت مهددة فعلا غادرها امير جبيل « رب عدي » الى صيدا ، لكن امير هذه المدينة كان قد انضم الى الاموريين فوقع « رب عدي » فى يد عزيرو الذى قتله بسبب ولائه للفرعون المصري .

والمهم هنا ، ان بيروت ، لم يرد لها اسم كمدينة ذات اهمية تذكر طوال هذا العهد ، وقد وصلت ذروة عصرها الذهبي فى العهد الروماني .

ويقول « الدكتور فيليب حتي » فى كتابه «لبنان فى التاريخ » « ان كلمة بيروت تعني الآبار ، وان اول مرة ظهر فيها اسم بيروت فى التاريخ كان ضمن قائمة اسماء ذكرها الفرعون المصري تحوتمس الثالث ، ولم يرد لها اى ذكر فى اسفار (التوراة) العهد القديم » .

بيروت فى العهد الروماني

كانت بيروت المدينة الوحيدة بين المدن الساحلية على الشاطىء اللبناني ، التى تمتعت بمركز ثقافي ، وذلك جزاء ولاء ومعاضدة اهالى بيروت للامبراطور الروماني « سبتموس سفيروس » فى حروبه ضد خصمه ومنافسه على العرش « نيغر » ، غير ان بيروت كانت أقدم

مستعمرة رومانية فى بلاد الشام إطلاقا ، فقد اقام فيها (حوالى سنة ١٧ ق . م) جنود متقاعدون كانوا ينتمون الى الجيشين الرومانيين الثالث (مقدونيا) والخامس (غاليا اوفرنسا) ، بقيادة احد ضباط الامبراطور اغسطس قيصر ، فكانت اشبه بحصن يجهز حاكم الولاية بمزيد من الجنود عند الحاجة . فقد امكن بيروت ـ على سبيل المثال ـ ان تمد القائد الروماني « فاروس » ـ حاكم سوريا فى عهد اغسطس قيصر ـ بالف وخمسمائة جندى عندما مر فى المدينة وهو فى طريقه لمحاربة اليهود فى فلسطين ، وقد أطلق على بيروت اسم « مستعمرة جوليا اوغسطا السعيدة ـ بيروت » وذلك تيمنا باسم « جوليا » ابنة الامبراطور اغسطس قيصر . وكانت بيروت قاعدة الاسطول الروماني فى الجزء الجنوبي الشرقي من البحر الابيض المتوسط ، وبما انها كانت مستعمرة رومانية فقد كان سكانها يتمتعون بامتيازات وحقوق يمنحها القانون الروماني ، كالحكم الذاتى ، والاعفاء من ضريبة الرؤوس وضريبة الخراج وعندما اصدر الامبراطور كركلا (٢١١ ـ ٢١٧) قانونه الذى منح بموجبه حق المواطنية لجميع المواطنين « الاحرار » . (غير الارقاء) فى امبراطوريته ، أصبحت تلك الامتيازات التى كانت تنعم بها بيروت فى حكم الملغاة . إلا أن بيروت أصبحت إلى جانب مدينة بعلبك (الواقعة فى سهل البقاع بشرق لبنان) مركزا للحياة الرومانية فى بلاد هلينية الحضارة ، وفى عهد « اغريبا الاول » (٤١ ـ ٤٤ ق . م . حفيد هيرودس (الوالي الروماني على بلاد الشام) ، كرم هذا بيروت ، وجملها ببنائه مسرحا فيها على غاية من الجمال والعظمة كما بنى ملعبا مستديرا للرياضة ، وحمامات عامة وابنية عامة ذات اروقة مسقوفة ، وقد انفق على بنائها بسخاء وإسراف ، ورافق الحفل الذى اقامه لتدشين هذه الأبنية ، حفلات موسيقية والعاب فى المبارزة ، ولكي يزيد فى حماس الجماهير ، فقد اطلق فى الملعب المستدير الفا واربعمائة مجرم زوجا ـ زوجا ، لكي يتقاتلا حتى الموت .

وأثناء الحروب التى شنها الامبراطور فسبسيان ضد اليهود ، نصبه جنوده امبراطورا ، واعلنوا خبر تسلمه العرش فى مدينة قيسارية (فى عام ٦٩ ب . م) ، وعندما قفل عائدا إلى روما ، عرج على بيروت ، وبقى فيها يتقبل تهاني الوفود التى جاءته من اطراف بلاد الشام ، وقبل مغادرته بيروت ، عين الامبراطور فسبسيان ابنه طيطس قائدا على الجيش الروماني لكى يتابع الحرب ضد اليهود المتمردين فى فلسطين ، وبعد سقوط القدس فى قبضته (عام ٧٠ ب . م) . وهدم هيكل سليمان فيها ، عرج طيطس على بيروت . واقام فيها مدة لكي يحتفي بانتصاراته وبعيد مولد ابيه الامبراطور ، وقد اقام بهذه المناسبة حفلات واعيادا لم تشهد لها بيروت مثيلا ، بينها حفلة قذف الأسرى من اليهود إلى الوحوش المفترسة ، (فى ملعب اغريبا) ، ثم دفع مجموعات اخرى منهم للاقتتال حتى يقتل بعضهم بعضا .

اما اغريبا الثاني ، فقد بنى له قصرا خصصه لاقامته فى بيروت ، كما بنى مسرحا فخما كانت تقام فيه الحفلات الستوية ، وتوزع خلالها الهبات والاعطيات من الزيت والحنطة على الفقراء ويقول المؤرخ اليهودى « يوسيفوس » ، ان اغريبا الثاني جمل بيروت كلها بالتماثيل ورفع فيها الصور التى رسمها الفنانون القدماء . » وقد ظلت الحفلات التمثيلية والالعاب الرياضية التى عرفت بها بيروت شائعة حتى القرن الرابع الميلادي » ، وعندما يحفر البيروتيون فى ايامنا هذه فى الارض لانشاء مبان وعمارات جديدة ، يعثرون دوما على اعمدة من الجرانيت او على اجزاء منها محطمة مصدرها مصر العليا ، وهى تدل على عظمة الابنية التى كانت تزدان بها بيروت .

معهد الحقوق فى بيروت

وقد اشتهرت بيروت بكونها مركزا ثقافيا فى العهد الروماني ، حيث كان فيها اشهر وأعظم معهد روماني للقانون فى الامبراطورية خارج إيطاليا ، وكان معهد الحقوق فى بيروت قبلة انظار طلاب القانون من جميع انحاء الشرق ، حيث كانت دراسة القانون إحدى الشروط الاساسية للوظائف الرفيعة فى الحكومة . وقد تخرج من معهد الحقوق فى بيروت عدد كبير من القضاة والحكام فى المقاطعات الشرقية للامبراطورية الرومانية . وفى رأى المؤرخ الفرنسي « بول كوليني » ان من المرجح أن يكون الامبراطور سبتموس سفيروس (وهو لبناني الاصل) ، هو باني معهد الحقوق فى بيروت ، ويضيف ان هذا المعهد كان الاكثر شهرة بين معاهد مماثلة فى أثينا والاسكندرية وبعض المدن الاخرى فى المقاطعات الرومانية . وقد تحول معهد بيروت الى مركز فكرى خلاق ، وجذب اليه افضل العقول من الاساتذة والطلاب ، الذين قدموا فى حقل التشريع تقدمات عظيمة للتراث الرومانى الاكثر شهرة ـ القانون الرومانى أو الشرائع الرومانية ، وكان من اشهر المشرعين الذين قاموا بمهنة التدريس فى المعهد ، العالمان الشهيران : إيميلوس بابنيانوس ، و دوميتيوس اولبيانوس . وكان بابنيانوس من مدينة حمص (فى سوريا) ومن اقرباء « جوليا دومنا » زوجة الامبراطور سبتموس سفيروس ، وقد استدعاه هذا الامبراطور الى روما ليكون مستشاره القانوني . كما اشتهر من أساتذة معهد الحقوق فى بيروت كل من انطوليوس و دوروثيوس اللذين قاما بجمع القوانين لما عرف فيما بعد بمجموعة يوستنيان ، وكان الامبراطور يوستنيان نفسه يطلق على بيروت لقب « أم الشرائع ومرضعتها » .

وكما كانت بيروت « معهدا » يتثقف فيه رجال الحكم والدولة ، كذلك كانت مركزا للدراسات اللاهوتية لرجال الكنيسة المسيحية الذين كانوا يؤمونها من أطراف بلاد الشام وآسيا الصغرى .

وقد ضربت عدة هزات ارضية مدينة بيروت ، فقد وقعت الهزة الأولى فى العهد الرومانى فى سنة ٣٤٩ ، واسفرت عن هدم بعض اجزاء المدينة ، ووقعت هزات اخرى فى عامى ٤٩٤ و ٥٠٢ نجم عنها بعض الاضرار المادية ، فيما أصيب بسببها كل من مدينتي صور وصيدا بدمار كبير . وفى الفترة الواقعة ما بين (٥٥١ ـ ٥٥٥) وقعت سلسلة من الزلازل العنيفة فى لبنان دمرت المدن الساحلية بشكل يكاد يكون شاملا ، ولا سيما بيروت . كما طغت امواج بحرية عارمة إثر زلزال وقع فى عام ٥٥١ ، مما تسبب فى وقوع ضحايا وتدمير فى الممتلكات فاق ما احدثه الزلزال بكثير ،



عرفات فى مكتبه بحي الفاكهاني الذي يضم معظم مكاتب المقاومة الفلسطينية .. ويجلس على يمينه هاني الحسن وعلى يساره شفيق الحوت .

ويروي بعض المؤرخين ان مياه البحر تراجعت عن شاطىء بيروت مسافة تقرب من ميل واحد ، ثم اندفعت على شكل موجة عالية غمرت المدينة كلها ، فاغرقت البنايات والمنازل وهدمتها ، كما غرقت المراكب او تحطمت على الشواطىء وغمرت الاشجار ، ويرجح ان تكون مباني معهد الحقوق فى بيروت قد دمرت بسبب هذا الزلزال ، وذكر ان نحوا من ٣٠ الف نسمة من سكان بيروت لاقوا حتفهم بسبب الزلزال ، اما البقية منهم فقد هربوا تاركين مدينتهم قفرا وكانها مدينة اشباح . وقصدوا مدينة صيدا فى الجنوب ، وهناك كان اساتذة القانون الناجين يعطون دروساً بشكل مؤقت فى انتظار إعادة بناء بيروت ومعهد الحقوق فيها ثانية . لكن حدث ما لم يكن فى الحسبان ، فخلال عملية اعادة البناء ، وقع حريق هائل فى بيروت التهم معظم الابنية الجديدة فى المدينة ، فكانت هذه الماساة بمثابة ضربة قاصمة قضت على المعهد وعلى مستقبل المدينة الى اجل طويل .

وقد رثاها محام . إغريقي من اسيا الصغرى ، كان معاصراً لتلك الاحداث المفجعة ، بقوله : « بيروت ، اجمل المدن ، الدرة فى تاج فينيقية ، فقدت لالاءها ورونقها ، ابنيتها التى تعد ايات فى فن العمارة ، تداعت وسقطت ، ولم يبق فيها جدار واقفا ، سوى الأساس » . وقد كان لهذه الفاجعة صدى تردد فى جميع انحاء الامبراطورية الرومانية ، مما دفع شاعرا إغريقيا اخر (اسبانى) الى رثاء بيروت بقصيدة قال فيها : « هاتذا .. المدينة التاعسة .. كومة من خراب ، ابنائي اموات يا للحظ العاثر المشؤوم ، إلهة النار احرقتني بعد ان هزت إلهة الزلزال اركاني ، بالتعاستي ، بعد ان كنت مجسم الجمال ، غدوت رمادا ، هل تبكون على ايها العابرون السائرون فوق اطلالي ، هل تسكبون على دمعة حزن ، هل تاسون لمجد بيروت .. بيروت التى لا وجود لها بعد .. ايها الملاح لا تمل بشراعك نحو شاطىء ، ولا تنزل شراع مركبك ، فان المرفا الامين قد اصبح ارضا يبابا ، واصبحت بيروت لحدا موحشا .. مل عني سر الى المواني‏ء الفرحة التى لا تعرف البكاء ، الى موانئها سر على صوت قرع المجداف ، هكذا شاء الاله بوسيدون ، إله البحر والزلازل ، وهكذا شاءت الالهة السمحاء .. وداعا يا ملاحي البحار ، وداعا ايتها القوافل الاتية من وراء الجبال » .

اما بالنسبة لاخر زلزال ضرب المدينة ، فقد وقع فى ١٦ اذار (مارس) ١٩٥٦ ، وقد نجت منه بيروت باعجوبة ، لكنه أسفر عن اضرار جسيمة فى قرى الجبال المجاورة .

بيروت خلال الحروب الصليبية

كانت بيروت قد صالحت الصليبيين حين مرورهم أمام المدينة فى عام ١٠٩٩ ، وقدمت إليهم بعض المساعدات ولم يعترض الامراء التنوخيون (بني تنوخ) فى الغرب سبيل القوات الصليبية الغازية والمتوجهة نحو فلسطين ، ولكنهم فى السنة التالية ، حين مرور « بودوان » - احد قادة الحملات الصليبية . بالساحل اللبناني متوجها الى القدس ، وبعد وفاة شقيقه ، كمن له التنوخيون بقيادة الامير عضد الدولة علي ، وذلك بتحريض من الملك السلجوقي فى دمشق - الملك دقاق ، فكانت معركة نهر الكلب بين الفريقين لكن بودوان نجا منها واكمل طريقه الى فلسطين . وقد تركت جراة عضد الدولة التنوخي اثرا مستحبا لدى السلاجقة ، فولاه الملك دقاق بالاضافة الى إمارة الغرب وبيروت ، إمارة صيدا ، وامره بتحصين البلدتين . وكانت بيروت تتلقى مساعدات متواصلة من سلاجقة دمشق ومن الأسطول الفاطمي فى البحر . ويبدو أن وجود التنوخيين فى الجبال المشرفة على بيروت منع الصليبيين من محاصرتها كما فعلوا بمدينة طرابلس (بشمال لبنان) ، ولذلك مرت الفترة الأولى من الوجود الصليبي فى الشرق (حوالي عشر سنوات) دون ان تقع حوادث مهمة بالنسبة لبيروت ، ولكن سقوط مدينة جبيل فى سنة ١١٠٤ قرب الخطر الصليبي من بيروت ، وعندما سقطت طرابلس انتقل النشاط الصليبي نحو الجنوب ، وفى الوقت ذاته وصلت قوة بحرية فاطمية كبيرة لتنجد السواحل اللبنانية (وصلت بعد ثمانية ايام من سقوط طرابلس) ، فابعدت هذه القوة بشكل مؤقت خطر سقوط بيروت وصيدا ، حتى كانت سنة ١١١٠ .

بدا الصليبيون هجومهم على بيروت فى شباط (فبراير) عام ١١١٠ بزعامة بيرتران دي سانجيل بمساعدة الملك الصليبي بودوان ، ويصف المؤرخون حصار بيروت وسقوطها بيد الصليبيين على الوجه التالي :

« شرع الصليبيون فى بناء برج ونصبوه على سور بيروت ، ولما اتموا صنعه زحفوا به ، ولكن اهل بيروت قذفوه بحجارة المجانيق فكسروه ، فشرع الصليبيون فى بناء غيره ، وتمكن بيرتران من صنع برج اخر ، ثم وصل اسطول فاطمي كبير مؤلف من ١٩ سفينة حربية ، فتغلب على مراكب الفرنج (الصليبيين) واستولى على بعضها ، وبذلك تمكن المصريون (الفاطميون) من فك الحصار عن بيروت ومدها بالمؤن ، فارتفعت معنويات اهل المدينة ثانية ، وفشل الحصار الصليبي » .

ولكن الملك بودوان استنجد بالأمراء الصليبيين وبالسفن الجنوية (نسبة لمدينة جنوا الايطالية) ، فقدمت أربعون سفينة جنوية وقدم الموارنة من الشمال ، كما قدمت قوات صليبية من جنوب لبنان ،

وقد ركز الصليبيون هجومهم على منطقة الغرب اولا (اى منطقة عالية ـ سوق الغرب الجبلية) ، فسيطروا على المنطقة وقتلوا عددا كبيرا من اهلها ، وفى الوقت ذاته جرت معركة بحرية بين الاسطولين الجنوي والمصري ، فانتصر الأسطول الجنوي ، وبذلك انكشفت بيروت بحرا وجوا ، مما ساعد الصليبيين على تشديد هجومهم ، وتمكنوا من احتلال بيروت فى ٢٧ نيسان (ابريل) من عام ١١١٠ ، بعد ان دام حصارها حوالى شهرين ، شهدت المدينة فى نهايتهما مذبحة رهيبة قام بها الصليبيون ، ولم تستقر الأوضاع فى المدينة إلا بعد جهود مضنية بذلها الملك بودوان ـ كما تزعم بعض المراجع التاريخية .

وبقيت بيروت فى ايدي الصليبيين حتى حررها منهم المماليك ، فى عام ١٢٩١ ، حيث أرسل السلطان الاشرف خليل قائده سنجر الشجاعي الى بيروت ، فاخذها سلما واجلى عنها الصليبيين الى دمشق ثم الى مصر ومنها ارسلهم الى قبرص ، وقد هدم المماليك تحصينات بيروت بعد استيلائهم عليها .

بيروت فى الحرب العالمية الاولى

عرفت بيروت اول نشاط عربي قومي وسياسي منظم فى تاريخ العرب الحديث ، فى عام ١٨٧٥ ، حيث انشا عدد من الشبان الذين كانوا يدرسون آنذاك فى الكلية البروتستنتية ببيروت (اصبحت تعرف فيما بعد بالجامعة الامريكية ببيروت) ، انشاوا جمعية سرية ، هى الأولى من نوعها فى العالم العربى فى تلك الفترة ، وكان هدف الجمعية حض العرب على مقاومة السياسة العثمانية ، وقد تجلى نشاط هذه الجمعية السرية بصورة خاصة فى لصق المنشورات على جدران بيروت فى هداة الليل ، مما شجع الشبان العرب فى دمشق وطرابلس وصيدا على القيام بعمل مماثل . وكانت تلك المنشورات تتضمن تنديدا عنيفا بمساوىء الحكم التركي ، وتهيب بالسكان ان يثوروا عليه ويطيحوا به ، مما اصاب حكام القسطنطينية بالذهول ، ودفع بهم إلى إنزال جام غضبهم وبطشهم ضد الابرياء ، لعجزهم عن اكتشاف اعضاء الجمعية السرية التى بقيت دون اسم معين .

وقد ورد فى المنشور الثالث الذى الصق على جدران بيروت فى ليلة ٣١ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٠ ـ كما يقول جورج انطونيوس فى كتابه « يقظة العرب » ـ ورد فيه برنامج قال واضعوه « اننا سننفذه ولو بحد السيف اذا اقتضى الامر » ، واهم النقاط فى ذلك البرنامج : منح سوريا الاستقلال متحدة مع جبل لبنان ـ الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية فى البلاد ـ رفع الرقابة والقيود الاخرى التى تحد من حرية التعبير ونشر التعليم ـ استخدام القوات المجندة من اهل البلاد فى المهام العسكرية الداخلية فيها فقط .

اما فى السنوات التالية التى سبقت اندلاع الحرب العالمية الاولى فقد كانت بيروت والقاهرة مركزين لألوان من النشاط الثقافى والسياسي كان له دوي ورجع صدى فى سائر العالم العربى . وخلال السنوات ١٩٠٣ ـ ١٩٠٩ ، تاسست ثلاث جمعيات سرية عربية مناهضة « لسياسة التتريك العثمانية » هى : « الجمعية القحطانية » و « المنتدى الادبي » و « جمعية العربية الفتاة » ، التى اسسها طلبة عرب كانوا يدرسون فى باريس فى عام ١٩١١ ، وبعد تخرجهم وعودتهم الى بلادهم نقلوا مركزها الى بيروت فى عام ١٩١٣ . وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى بين دول المحور (ومنها تركيا) والحلفاء ، تصاعد خوف العثمانيين من نشاط الوطنيين العرب المطالبين بالحرية والاستقلال ، فخنقوا الحريات وفرضوا رقابة شديدة على المطبوعات ـ وخاصة فى بيروت ـ وبثوا

بيروت .. أهم الأحياء والشوارع

خلال الحرب الاهلية ثم خلال الغزو الاسرائيلي ، طغت على وسائط الاعلام اسماء عشرات الاحياء والشوارع فى مدينة بيروت ، وخاصة فى القطاع الغربي منها بفعل الحصار والغارات والقصف الاسرائيلي المتواصل الذى شمل فى الثلاث من اب (اغسطس) الماضي ٢٤ حيا ، والتي تلقت حوالي خمسين الف قذيفة اسرائيلية خلال إحدى عشرة ساعة فقط . وسنحاول فى السطور التالية وضع صورة لهذه الاحياء والشوارع امام القارىء .

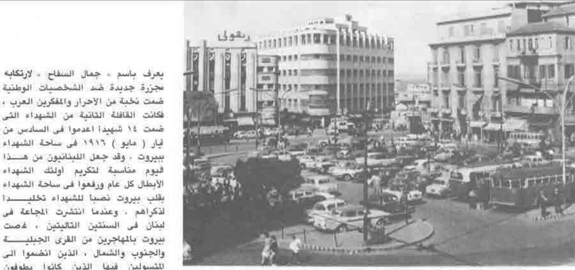
منذ نشوب الحرب الاهلية فى عام ١٩٧٥ انقسمت بيروت إلى شطرين : بيروت الغربية وبيروت الشرقية ، وكان الخط الفاصل (الاخضر) بينهما ، والذى مازال قائما حتى الآن هو الخط الذى يبدأ من نقطة تقع جنوب مرفا بيروت ، اي من الشارع الذى يلي « بناية فتال » ، ويصعد بشكل متعرج وضمن شوارع فرعية قصيرة إلى شارع سوق الخضار المجاور لبناية سينما ريفولي ، ومن هناك يصعد الخط بشكل مستقيم تقريبا الى ساحة الشهداء ، فشارع بشارة الخوري ، الى جسر فؤاد شهاب ثم شارع الحرش الذى يوصل الى مستديرة شقيبلا ، وهناك يلتقى « الخط الاخضر » بشارع آخر متفرع عن « جادة سامي الصلح » .

لكن « للخط الاخضر » خط فرعي يبدا بطريق الشام ابتداء من ساحة الديقن وصعودا إلى طريق رأس النبع ـ فرن الشباك ويمر هذا الخط ببوابة او ممر المتحف ، وبعد استكمال طريق فرن الشباك يصعد الخط الى منطقة الحازمية ، حيث يلتقى بفرع آخر للخط الاخضر متفرع من شارع صيدا القديم ثم بوابة جاليري سمعان .

اما بالنسبة لبوابات العبور بين قطاعي بيروت الغربي والشرقي فهي اربع : بوابة المرفا ـ بوابة السوديكو ـ بوابة المتحف ثم اخيرا بوابة جاليري سمعان ، ونود ان نشير للقارىء الذى لا يعرف بيروت جيدا او لا يعرفها البتة ، ان هذه البوابات ليست بوابات حقيقية ، وانما هي تقاطعات طرق اخذت اسماءها من مرافق عامة او اسماء حوانيت او بنايات شهيرة فى نفس المنطقة التى تقع فيها ، وعلى سبيل المثال فان بوابة جاليري سمعان اخذت اسمها من حانوت لبيع المفروشات يقع عند تقاطع الطرق بين منطقتي عين الرمانة والحدث .. الخ .

اما اهم الاحياء فى بيروت الغربية فهى ابتداء من ساحل البحر حي الرملة البيضاء ، ويليه حي اليونسكو فحى المزرعة حتى مستشفى البربير وشارع المحكمة العسكرية وميدان سباق الخيل الذى ينتهى عند بوابة المتحف ، ويتفرع من حي المزرعة احياء المقاصد والفاكهاني (حيث توجد مقار فصائل المقاومة الفلسطينية إضافة الى مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية) ومخيم صبرا الفلسطيني (وهو عبارة عن شارع طويل يضم بيوت عائلات فقيرة ومبان متواضعة ويتصل حي الفاكهاني بالمدينة الرياضية من الشرق ثم بمخيم شاتيلا الفلسطيني من الجنوب الشرقي) .

وعلى امتداد الشاطىء يطالعنا حي



بيروت ١٩٧٠ : ازدهار وحركة ونشاط

جواسيسهم وعملاءهم لجمع اسـمـاء الوطنيين وتتبع نشاطاتهم .

وقد وقع بين يدي السلطة العسكرية التركية (جماعة الاتحاد والترقي) اسماء عدد كبير من هؤلاء ، فاحال « جمال باشا » اصحابها الى الديوان العرفي فى عاليه ـ شرق بيروت ـ الذى غص سجنه بالاحرار العرب ، وكان هذا الديوان عبارة عن محكمة صورية تنفذ اوامر ورغبات جمال باشا ـ الحاكم العسكري التركي على بلاد الشام آنذاك . وحين مني الجيش العثماني بالهزيمة فى معركة السويس الاولى عـام ١٩١٥ ، عزا جمال باشا سببها الى « فرار » اللبنانيين والسـوريين من الجيش (الجندرمه) ، والى انصراف رجال لبنان وسوريا عن التعاون معه ، فقرر اعدام عدد من هؤلاء ، وشملت القائمة الاولى منهم ١١ شهيداً ، اعدم ثلاثة منهم فى ساحة البرج ببيروت التى دعيت فيما بعد بساحة الشهداء ، واعدم الباقون فى ساحة المرجة بدمشق بتاريخ ٢١ آب (اغسطس) ١٩١٥ ، لكن إعدام هذه القافلة من الشهداء ادى الى تأجيج المشاعر الوطنية والقومية لدى العرب ، مما دفع بجمال باشا الذى أصبح يعرف باسم « جمال السفاح » لارتكابه مجزرة جديدة ضد الشخصيات الوطنية ضمت نخبة من الاحرار والمفكرين العرب ، فكانت القافلة الثانية من الشهداء التى ضمت ١٤ شهيداً اعدموا فى السادس من أيار (مايو) ١٩١٦ فى ساحة الشهداء ببيروت . وقد جعل اللبنانيون من هـذا اليوم مناسبة لتكريم اولئك الشهداء الأبطال كل عام ورفعوا فى ساحة الشهداء بقلب بيروت نصبا للشهداء تخليـدا لذكراهم . وعندما انتشرت المجاعة فى لبنان فى السنتين التاليتين ، غصت بيروت بالمهاجرين من القرى الجبليـة والجنوب والشمال ، الذين انضموا الى المتسولين فيها الذين كانوا يطوفون الأسواق والبيوت للاستجداء ، وينقبون فى اكوام القاذورات بحثا عن اى شيء يؤكل ولو كان قشور الموز والبطاطا والليمون . وقد انتشرت الأوبئة والأمراض السارية فى بيروت وكل لبنان ، مما ادى إلى موت او نزوح ثلث سكان لبنان آنذاك .

بيروت فى الحرب العالميـة الثانية

خلال الحرب العالمية الثانية ، تعرضت بيروت لكارثة حقيقية بسبب انقسـام

الروشة المجاور لحي الرملة البيضاء ، والروشة معروفة بمطاعمها ومقاهيها وملاهيها الانيقة والتى لم تكن تنام قبل الحرب ، ويقع خلفها مباشرة حي قريطم الذي يمتد حتى فندق بريستول ، وبعد هذا الفندق يقع حي الصنائع الذى توجد فيه وزارة الاعلام اللبنانية ودار الاذاعة ، ويتفرع من حي الصنائع حي القنطاري ، وهو آخر الأحياء التى تطل على الخط الأخضر فى هذه المنطقة ، اما الى الشرق والجنوب الشرقى فيتفرع حي عائشة بكار وحي الظريف وزقاق البلاط ، ثم البسطة التحتا التى تمتد حتى ساحة رياض الصلح المطلة على الخط الاخضر فى سـاحة الشهداء ، وصعودا هناك حي البسطة الفوقا وحي المصيطبة الذى يطل على كورنيش المزرعة ونزولا حي الخندق العميق ، وعلى امتداد الشاطىء وإلى الجنوب من حي الروشة نجد منطقة الحمام العسكرى ومدينة الملاهى وبعض المسابح ، ويقع وراء هذه المنطقة حي المنارة فحي راس بيروت وشارع الحمراء الشهير بحوانيته التجارية الانيقة ومقاهيه ومطاعمه وملاهيه وفنادقه الصغيرة ، ويتصل حي الحمراء جنوبا بحي الصنائع .

اما على امتداد بقية الشاطىء ـ اى بعد منطقة الحمام العسكرى ـ فيواجهنا حي عين المريسة ، الذى يتصل بدوره بمنطقة الزيتونة المشهورة بفنادقها الفخمة «فندق فينيسيا ـ فندق هوليداى إن وفندق دمرا» ، كما تشتهر منطقة الزيتونة بالملاهى والمقاهى التى لم تكن تعرف النوم ابدا قبل الحرب ، وتبلغ منطقة الزيتونة نهايتها عند مشارف مرفأ بيروت او ما يعرف حاليا ببوابة المرفأ .

اما بالنسبة للضواحي ، فاهمها على الشاطىء ضاحية الأوزاعى فضاحية خلده ، واهمها جنوبا ضاحية برج البراجنة القريبة من المطار ، والضاحية الجنوبية تضم فى الواقع عدة مناطق تحيط ببرج البراجنة هى الغبيرى والشياح ، وهذا الحي الاخير ملاصق لطريق صيدا القديم (الخط الاخضر) ثم منطقة الرمل العالي ومخيم برج البراجنة الفلسطينى ، فحي عين السكة ، ومنطقتى الرويس والرادوف ثم منطقة المريجة ، فحي السلم وحي الليلكى ، ومن الجهة المقابلة توجد كلية العلوم ـ إحدى كليات الجامعة اللبنانية ـ ويتفرع عن حي برج البراجنة احياء صغيرة اخرى اهمها : حارة حريك ، وبير العبد وحي ماضي .

يبقى ان نشير الى الاحياء المهمة فى بيروت الشرقية الخاضعة لسيطرة حزب الكتائب ، فاهم الاحياء فيها هو حي الأشرفية ، ويشتمل هذا الحى على مجموعة من الاحياء الصغيرة : حي السريان وحي السيوفى ، وحي السيدة ، وحي مار متر .. الخ ، وتتصل الاشرفية بحي الجميزة من جهة الغرب ثم بحي مار نقلا ، الذى يذهب شرقا لكى يتصل بدوره بحي البدوى (سكانه فى معظمهم من الارمن) ومن جهة البحر بحي المسلخ والكرنتينا ، وقد مسحت هاتان المنطقتان من الوجود خلال الشهور الاولى للحرب الاهلية فى عام ١٩٧٥ على ايدى الكتائبيين .

أما الضواحى الشرقية لبيروت فهى تلك الواقعة الى الشرق من نهر بيروت وجسر برج حمود ، وهى احياء سن الفيل والدكوانة والزعتر والنبعة وبرج حمود والدورة ، وبصورة عامة ، فهذه خارطة عامة لاهـم احياء وشوارع وضواحى بيروت .



الدمار والخراب في حي الرمل العالي قرب مطار بيروت .

القوات الفرنسية بين ديغولية يؤيدها الحلفاء وفيشية تؤيدها دول المحور . وكانت القوات الفرنسية الموجودة فى لبنان وسوريا خلال هذه الفترة من انصار المارشال بيتان ، وكان الجنرال ديغول يرى ضرورة الاسراع فى استرجاع سوريا ولبنان ، قبل ان تصل اليها القوات الالمانية والايطالية ، عبر تركيا التى كانت متحالفة مع المانيا انذاك . وقد لبى الحلفاء طلب الجنرال ديغول ، وبدا هجوم القوات البريطانية والقوات الفرنسية (الديغولية) على لبنان انطلاقا من فلسطين فى صبيحة ٨ ـ ٦ ـ ١٩٤١ ، وتمكنت هذه القوات من انزال هزيمة قاسية بقوات فيشي ، وبسط سيطرتها على الأراضى السورية واللبنانية فى ٨ ـ ٧ ـ ١٩٤١ ، ثم جرت مفاوضات بين القوات الديغولية والقوات الفيشية فى مدينة عكا الفلسطينية دامت عشرة ايام ، وانتهت بتوقيع اتفاق الهدنة فى ١٤ تموز ١٩٤١ ودخلت الجيوش الحليفة (البريطانية والديغولية) بيروت فى ١٦ ـ ٧ ـ ١٩٤١، فيما رحلت قوات فيشي عائدة إلى فرنسا طبقاً لاتفاق عكا . وفيشي كما نعرف بلدة فرنسية جعل منها المارشال « بيتان » عاصمة لحكومته .

لكن بيروت قاست الأمرين خلال هذه الفترة ، إذ بينما كانت معارك عنيفة تدور على طول جبهة الدامور الممتدة من الشاطيء الى مرتفعات بلدتي دير القمر وبيت الدين كانت الطائرات البريطانية تغير على بيروت كل ليلة دون انقطاع ، وقد استهدفت هذه الغارات اول الأمر المراكز العسكرية ومستودعات الذخيرة لقوات فيشي ، ثم خزانات البترول فى محلة الدورة والبواخر الراسية فى مرفا المدينة ، لكن عندما لقيت الطائرات المغيرة مقاومة من نيران المدفعية التى كانت منصوبة فى بعض الأحياء البيروتية ، ومن الدبابات المتجولة فى الشوارع ، كان جوابها ان القت قنابلها على المدينة فاصابت قصر الصنوبر ـ وهو حاليا مقر السفارة الفرنسية فى العاصمة اللبنانية ـ وكان هدف الطائرات قتل الجنرال دانتز قائد القوات الفيشية فى لبنان . لكن هذا كان قد غادر لتوه قبيل الغارة بقليل للمبيت فى مكان آخر ، وقد اصابت الطائرات بقنابلها بناية البلدية ، كما القت عدداً من القنابل على المدينة ، فدمرت منازل عديدة فى احياء مختلفة منها ، وامام هذه الغارات الوحشية هجر البيروتيون منازلهم هاربين الى الجبال طلبا للنجاة والأمن ، ولم يبق فى بيروت سوى عدد قليل من سكانها .

وكانت وفود البيروتيين خلال هذه الفترة قد طالبت الجنرال دانتز ان يعلن بيروت مدينة مفتوحة ، لانقاذها من الدمار لكن الجنرال رفض هذا الطلب باصرار ، إلا ان تدهور الوضع العسكرى لقواته بعد يومين فقط ، اضطره لأن يطلب وقف القتال .

بيروت خلال احداث ١٩٥٨

احدث المد الذى رافق الثورة الناصرية فى العالم العربى فى اواخر الخمسينيات ، انعكاسا مثيرا فى لبنان بين مؤيد ومعارض وكانت العاصمة بيروت الضحية الأولى لهذا الانقسام وخاصة بين المسلمين الذين يؤيدون الناصرية ، وبين المسيحيين الذين يعارضونها . أما لبنان الرسمى (الرئيس كميل شمعون) فقد كان من اشد المناهضين لتيار الناصرية ، وقد زاد الطين بلة ، اصدار الحكومة قانونا جديدا للانتخابات النيابية ، مما اثار حفيظة بعض الاقطاب السياسيين كان على راسهم رئيسا الحكومة السابقين صائب سلام فى بيروت ورشيد كرامي فى طرابلس ، وكان هذا القانون الذى استهدف ضرب القيادات الاسلامية التقليدية والمجيء بنواب موالين للرئيس شمعون ، بداية الشرارة التى اشعلت ثورة عام ١٩٥٨ . وقد اشتعلت تلك الثورة بالفعل اثر حادث اغتيال الصحفي نسيب المتني صاحب صحيفة « التلغراف » المعارضة فى ٨ ـ ٥ ـ ١٩٥٨ ، وبدات اعمال العنف فى لبنان وكان نصيب بيروت منها الشيء الكثير ، وكانت هذه الأعمال تقوم فى المرحلة الاولى على تفجير العبوات الناسفة فى اماكن غير اهلة خلال الليل ، دون ان توقع ضحايا ، لكنها تبدلت فى المرحلة الثانية ، وصارت العبوات الناسفة تنفجر فى الأماكن الأهلة والمكتظة وفى حافلات الترام والحوانيت ، فتقتل وتجرح دون تمييز .

وقد وقع الصدام الاول فى ٩ ـ ٥ ـ ١٩٥٨ . حيث خرج المصلون من الجامع العمري الكبير بوسط بيروت فى تظاهرة حاشدة ، ومالبث المتظاهرون ان اصطدموا بقوات الأمن مما أسفر عن وقوع ٢٥ قتيلا و ١٦ جريحا ، وقام المتظاهرون باحراق مكتب المعلومات الامريكي ، والمدرسة الامريكية ، وتبع هذا الصدام حفر الخنادق واقامة المتاريس فى الاحياء الغربية لمدينة بيروت ، وبدا القتال بين بيروت الغربية وبيروت الشرقية ، ولم تنته اعمال العنف إلا فى ٣١ ـ ٧ ـ ١٩٥٨ ، اى بعد وصول المبعوث الامريكى الخاص إلى بيروت « روبرت مورفي » الذى تم بمساعي

الوساطة التى بذلها لدى الزعماء المسلمين، والزعماء المسيحيين ، انتخاب رئيس جديد للجمهورية هو قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب .

وكان الأسطول الامريكي السادس فى البحر المتوسط قد انزل بعض قواته على الشاطىء اللبناني (فى المنطقة الشرقية) بتاريخ ١٦ ـ ٧ ـ ١٩٥٨ وذلك تحسبا لاحداث متوقعة فى منطقة الشرق الاوسط فى اعقاب وقوع ثورة عسكرية فى العراق فى ١٤ ـ ٧ ـ ١٩٥٨ .

لكن حصلت بعد انتخاب اللواء فؤاد شهاب رئيسا ، توترات متفرقة فى بيروت ، كان اشدها واخطرها قيام بعض الموتورين من الانعزاليين فى بيروت الشرقية ، بالرد على احتفال بيروت الغربية بعيد الوحدة بين مصر وسوريا فى ٢١ ـ ٢ ـ ١٩٥٩ ، بكتابة عبارات مسيئة للرئيس الراحل جمال عبد الناصر ومؤيده للرئيس كميل شمعون على حافلة ترام تسير بين المنطقتين الشرقية والغربية ، فكانت ردة الفعل فى بيروت الغربية احراق حافلة الترام ، وقيام تظاهرة غاضبة اتجهت الى ساحة رياض الصلح بقلب بيروت ، حيث أضرم المتظاهرون النار فى حافلة اخرى وحطموا ثالثة ، لكن العقلاء من الجانبين (المسلمين والمسيحيين) تدخلوا لوقف تصاعد اعمال العنف ، ونجحوا فى تطويق مضاعفات هذه الحادثة وهدأت الحالة فى بيروت وفى كل لبنان بعد ذلك .

بيروت من احداث ١٩٧٥ الى الغزو الاسرائيلي

ونصل الآن الى الأزمة الراهنة ، فهذه الأزمة بدات فعليا فى لبنان بشكل عام ، وفى بيروت بشكل خاص مع احداث عام ١٩٧٥ ، وبالتحديد بحادثة « عين الرمانة » الشهيرة ، حيث تصدى مسلحون انعزاليون فى حي عين الرمانة هذا لحافلة ركاب كانت تقل لبنانيين وفلسطينيين كانوا عائدين من المنطقة الغربية من بيروت بعد ان حضروا احتفالا اقامته احدى المنظمات الفلسطينية الفدائية هناك ، نقول كانوا عائدين إلى منازلهم فى مخيم تل الزعتر الذي كان قائما فى الضواحي الشمالية الشرقية لبيروت ، وقد قتل فى تلك الحادثة ثلاثون شخصا من اللبنانيين والفلسطينيين بينهم اطفال ونساء وشيوخ .

وكانت حادثة عين الرمانة الشرارة التى فجرت الحرب الاهلية فى لبنان ، والتى استمرت سنتين تقريبا ، انقسمت خلالها بيروت إلى شطرين متحاربين : بيروت الغربية وبيروت الشرقية . وكان اصعب ايام هذه الحرب الشريرة ، يوم السبت بتاريخ ٦ ـ ١٢ ـ ١٩٧٥ ، حيث قامت عناصر انعزالية بقتل اكثر من ٢٠٠ شخص من المسلمين ، بعد ان اختطفتهم من مكاتبهم فى دوائر الحكومة ، وخاصة شركة الكهرباء التى يقع مبناها ضمن بيروت الشرقية ، وقد عرف هذا اليوم باسم «السبت الاسود» وفى مطلع عام ١٩٧٦ وقعت مأساة مخيم تل الزعتر الفلسطيني ، الذى صمد فى وجه الحصار والهجمات الانعزالية عليه اكثر من خمسين يوما ، وعندما سقط المخيم فى ١٢ ـ ٨ ـ ١٩٧٦ قام الانعزاليون بمجزرة ضد سكانه قتلوا خلالها الاف الفلسطينيين دون تمييز .

فى ١ ـ ٦ ـ ١٩٧٦ ، دخل الجيش السوري لبنان ، وكان هذا اليوم بمثابة منعطف رئيسي فى الحرب اللبنانية ، وكان مفترضا ان تتوقف الحرب ، لكن تمسك طرفيها باهدافهما الاساسية ، جعل من المستحيل التوصل إلى تسوية لها على اساس وفاق وطني شامل . وكان احد الأسباب فى انتقال الأزمة من وضعها العسكرى الى وضعها السياسي ، هو وقوف اسرائيل وراء الانعزاليين ، واقتطاعها منطقة الشريط الحدودي تحت ستار كاذب لإقامة دويلة طائفية صغيرة بقيادة الضابط اللبناني المنشق سعد حداد .

وكان الهدف الذى رمت إليه اسرائيل من

معالم بارزة

تعتبر بيروت مدينة فريدة من نوعها بين العواصم العالمية ، فهى تقع فى تقاطع طرق بين القارات الثلاث : افريقيا واسيا واوروبا ، كما انها ملتقى للثقافتين الشرقية والغربية .

وقد ادى موقعها المثالى على شاطىء البحر الابيض المتوسط ، حيث تحميها جبال لبنان من الشرق ، الى اجتذاب معظم القادة التاريخيين الذين كانوا يمرون ببيروت وهم فى طريقهم لغزو بلدان اخرى فى اوروبا او اسيا ، ومن هؤلاء : رمسيس الثاني ، وسرجون وداريوس والاسكندر المقدوني ، وقياصرة الرومان ، وصلاح الدين الايوبي ، وتيمورلنك ، وهولاكو ، ونابليون بونابرت ، وقد ترك معظم هؤلاء القادة التاريخيين بصماتهم على بيروت وغيرها من المدن اللبنانية

ومن المعالم البارزة فى بيروت (الغربية) مطارها الدولي الذى كان يشهد قبيل نشوب الحرب الاهلية مائة رحلة جوية يوميا ، كانت تنطلق الى القارات الثلاث : اسيا وافريقيا واوروبا ، وكان يعمل فى مطار بيروت ٤١ شركة خطوط دولية للطيران . كما كان فى بيروت ٧٤ بنكا معتمدا بصورة رسمية ، منها ٣٧ بنكا اجنبيا لديها فروع او ممثلون عنها ، ومعظم هذه البنوك كانت تعمل انطلاقا من مراكزها فى بيروت (الغربية)

كما ان من معالم بيروت البارزة جامعاتها وصحفها ودور النشر المختلفة باللغات الثلاث العربية والانكليزية والفرنسية ، ومراكز الابحاث والدراسات ومعظمها يتمركز فى القطاع الغربي من بيروت ، ويكفي ان نشير فى هذا المجال الى ان ثلاث جامعات من اصل اربع جامعات فى بيروت تقع فى القطاع الغربي وهى : الجامعة الامريكيه والجامعة اللبنانية وجامعة بيروت العربية ، اما الجامعة الرابعة وهى الجامعة اليسوعية (او جامعة القديس يوسف) فتقع فى حي الأشرفية بالقطاع الشرقي من المدينة . وفي بيروت الغربية ايضا مركز الابحاث الفلسطيني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية . ومن معالم بيروت الشهيرة ايضا متحفها الذى يقع عند نقطة التقاطع بين شطري المدينة ، وهو يضم تماثيل واثارا تعود الى جميع العصور القديمة والوسيطة والحديثة ، ابتداء من الكنعانيين والفينيقيين وانتهاء بالعصر العربي فالعثماني .

وبيروت التى بلغ عدد سكانها قبيل الحرب الاهلية حوالى مليون نسمة تضم الى ذلك عشرات الفنادق والمطاعم واندية اللهو من الدرجة الاولى .



القصة الكاملة للمدينة الصامدة من أقدم العصور إلى حصار شارون

وراء دعمها للانعزاليين هو إبقاء الجرح اللبناني مفتوحا ، ليتسنى لها ان تلعب فيه ساعة تلوح لها فرصة مناسبة ، ولكي تقوم بمحاولة القضاء على المقاومة الفلسطينية وقياداتها ومؤسساتها في بيروت ، والقضاء على بيروت نفسها التى تعتبر مفتاح لبنان الحضاري ، ووجهه العربي المشرق .

وقد ظنت اسرائيل ان هذه الفرصة ، لاحت امامها فعلا في السادس من حزيران (يونيو) ١٩٨٢ ، متخذة من محاولة اغتيال سفيرها في لبنان على ايدي عناصر فدائية قبل ذلك التاريخ بيومين فقط ، ذريعة لشن هجوم شامل على لبنان .

وبعد احتلالها لمنطقة الجنــــــوب بصعوبة بالغة ، بسبب المقاومة العنيفة التى واجهتها في صور ثم في صيدا ، اندفعت الى الشمال نحو الدامور ، وبعدها نحو ضواحي بيروت في خلده ثم الاوزاعي كما اندفعت إلى منطقة بعبدا والحدث وممر غاليري سمعان كما تقدمت قــــــوات اسرائيلية مدرعة جاءت من ميناء جونيه الذى يسيطر عليه حزب الكتائب الانعزالي وتابعت تقدمها الى بيروت الشرقية وسط ترحيب حار من الانعزاليين ، ووصلت الى بوابتي بيروت الاخريين في منطقة المتحف ثم منطقة المرفا ، وبذلك احكمت الحصار على بيروت الغربية والقوات الفلسطينية ـ اللبنانية ـ السورية المشـــــتركة في المدينة .

وكان اشد ايام الحرب هولا بين القوات المشتركة وقوات العدو الاسرائيلي ، عندما شن الاسرائيليون هجوما شاملا على بيروت الغربية بتاريخ ١ ـ ٨ ـ ١٩٨٢ ، واشتد هذا الهجوم في يومه الرابع ، لكن اعنف ايامه كان في ١٢ ـ ٨ ـ ١٩٨٢ ، حيث اشتركت القوات الاسرائيلية البريه والجوية والبحرية في هجوم صاعق من جميع الجهات على المدينة المحاصرة ، وقامت اكثر من ٦٠ طائرة اسرائيلية خلاله باكثر من مائتي غارة على مدى احدى عشرة ساعة متواصلة ، وكانت نتائج هذا الهجوم سقوط اكثر من خمسمائة شخص ما بين قتيل وجريح في بيروت الغربية ، اضافة إلى تدمير ستمائة منزل وتصدع لكثر من الف منزل اخر .

لكن الهجوم فشل في تحقيق الهـــــدف الرئيسي منه ، الا وهو اقتحام معاقل القوات الفلسطينية والقوات المشتركة وتدميرها ، وامام هذا الاخفاق والفشل لم يجد العدو الاسرائيلي امامه من سبيل سوى الاذعان للمفاوضات السياسية والحل السياسي لازمة بيروت .

خلاصــــــة :

لقد صمدت بيروت اخيرا وقـــــاتلت باسنانها واظافرها ، ورفضت الاستسلام والخنوع والركوع امام الاعداء ، وكانت هذه سنة بيروت وشرعتها ومذهبها في الحياة والصراع ، وكانت بيروت العظيمة تؤمن بعد كل هذا انها إذا كانت يجب ان تموت ، فلتمت واقفة رافعة الراس ، لكي تتعلم الاجيال الصاعدة من البيروتيين ابدا ان الحياة وقفة عز فقط .

عصام شريح

الميثـــــــــــاق الوطـــــــني

يجمع معظم الباحثين في الشـــؤون اللبنانية ، على ان الحرب الاهلية التي مدت نارها على بيروت في نيسان (ابريل) ١٩٧٥ وانتقلت منها الى جميع ارجاء لبنان ، انما كانت بسبب اختلال التوازن في الحقوق والواجبات بين المسلمين والمسيحيين ، حيث اعتبر المسلمون الميثاق الوطني الذى كان بمثابة « الوثيقة الدستورية » التى حكم لبنان بموجبها منذ عام ١٩٤٣ وحتى انفجار الحرب الاهلية ، لم يعد صالحا ولا كافيا لتحقيق العدالة والمساواة بين الطوائف سواء على صعيد الحكم والسلطات العليا في البلاد ، او في مجالات الحياة العامة .

ولذلك كنا نرى المسلمين يرفعون شعارا اساسيا بالنسبة إليهم قبل الحرب الاهلية ، وهو « المشاركة في الحكم » ، حتى ان احد قادة المسلمين السيد ابراهيم قليلات اعلن في الشهر الماضي أن « حركة المرابطين » التى يتزعمها لن تتنازل عن مبدا المشاركة في الحكم وعن المطالبة بتغيير ميثاق عام ١٩٤٣ ، بحيث يصبح من حق المسلمين ان تكون رئاسة الجمهـــــورية لهم وليس للمسيحيين (الموارنة) كما هو الحال في الميثاق القديم ، لان المسلمين يمثلون اكثرية الشعب اللبناني .

اما الميثاق الوطني نفسه ، فليس له [illegible] الالتزام به ، بحيث يجري توزيع السلطات في الدولة اللبنانية على اساس حصص طائفية ، فللموارنة رئاسة الجمهورية ، وللسنة رئاسة الحكومة ، وللشيعة رئاسة مجلس النواب (البرلمان) ، وللكاثوليك (او الروم) وزارة الخارجية ، وللدروز وزارة الدفاع .

اما فكرة الميثاق الوطني (غير المكتوب) فقد لخصها السيد إميل البستاني في عام ١٩٥٨ بما يلي :

إن المسلمين والمسيحيين قبيل اتفاقهم في عام ١٩٤٣ على الاستقلال عن فرنسا والتعايش المشترك ، قبلوا بما يلي :

يتخلى المسيحيون عن مشـــاريعهم الانعزالية ، وعن فكرة الحماية الاجنبية ، ويوافقون على التعاون مع الدول العربية ، مقابل تنازل المسلمين (والعروبيين) عن مطالبتهم بضم لبنان او اجزاء منه الى كيان عربـــي اكبـــر .. اي ان المسيحيين بتخليهم عن فكـــرة الحمايــــة الاجنبية ، تبنوا فكرة عروبة لبنان (في حدود لفظية) ، فيما تخلى المسلمون عن فكرة ضم لبنان لكيان عربي او سوري ، وقبلوا بلبنان في حدوده الراهنة وطنا نهائيا لهم .

دوحة الماضي

مختارات من المجلات الأدبية القديمة

● ولا ساجل عني ●● من فكاهات العهد التركي في بغداد
●●● اللورد لويد والاسلام ●●●● الحمد لله على نعمة الاسلام

طال بعدك ولا ساجل عني

أكتوبر ١٩٤٣

بقلم : زكي مبارك



تقدم محطة الاذاعة من يوم إلى يوم ومن ليلة إلى ليلة اشياء تسميها الاغاني الشعبية ، وهي اغان يغلب عليها السخف ، لانها تحاول دائما ان تجعل لغة الشعب المصري لغة بعض ابنائه من اهل الصعيد (؟!)

والخطا ظاهر فى هذه المحاولة ، لان اللغة العامية للشعب المصري هى لغة اهل القاهرة ، كما ان اللغة العامية للشعب الفرنسى هي لغة اهل باريس .

وقد كان للصعايدة لغة خاصة يوم كانوا لا يتصلون بالعاصمة إلا بعد سفر يطول حتى يخترم اسابيع واسابيع ، فكيف تكون لهم لغة خاصة بعد ان صارت المسافة بين القاهرة ودمياط إلا بدقائق ، والمسافة هنا وهناك يقطعها القطار فى مدة أقصر مما بين « باريس » و « ليون » ؟ .

سمعت فى مساء اليوم الثالث والعشرين من شهر ايلول « سبتمبر » مغنيا يقول :

« طال بعدك ولا ساجل عني »

و « ساجل » هي « سائل » فهل سمعتم فى اي ارض عربية ان الهمزة تنطق جيماً إلا على السنة الجهلة من اصحاب الاغاني الشعبية فى محطة الاذاعة المصرية ؟ . (١)

إن لغة الخرطوم هي لغة القاهرة بالضبط الصحيح ، فهل ترون الخرطوم اقرب إلى القاهرة من اسيوط ؟ .

اتقوا الله ياجماعة المتحذلقين من انصار العامية ، فما يقول « ساجل » وهو يريد سائل إلا سخيف بلغ سخفه حد لا يطاق .

« طال بعدك ولا ساجل عني »

ذلك ما هتف به مغن فى محطة الاذاعة ولي عليه شهود ، فماذا يبتغى هذا الظريف ؟ ايزعم ان الصعايدة يجعلون الهمزة جيما وذلك زعم سخيف ؟

إن لغة المصريين ارتقت رقيا عظيما ، وصار فى مقدور صغار العوام عندنا ان يفهموا ما تنشره اعظم المجلات الادبية بايسر مجهود .

ولكن محطة الاذاعة لا تفهم هذا القول .

واين محطة الاذاعة ؟ حدثوني فقد غاب عنوانها عني !

إن جاريت المطرب الذى فرحت به فهي محطة « القذاعة » بالقاف ، ولن التفت إلى « سقالها » إن وجهت إلي « السؤال » !

الاغاني الشعبية فى محطة الاذاعة هي ردة سخيفة إلى عهود لا نحب ان تعود .

إن كانت محطة الاذاعة تريد ان تكون محطة بهلوانية فهي وما تريد ، على شرط ان تصرح بان اغانيها الشعبية عبث اطفال .

الجد هو دستور الحياة ، ولو كان فى صورة الهزل ، فجدي يامحطة الاذاعة تكوني صوت الحق فى هذه البلاد .

زكي مبارك
اكتوبر ١٩٤٣

هامش :

١ ـ « بعض الصعايدة يقلبون القاف جيماً ، وليس الهمزة »

مِنْ فُكاهاتِ العَهْدِ التُّرْكِيِّ في بَغْداد



احمد جسن الزيات

بقلم: أحمد حسن الزيات
يوليو ١٩٣٩

تركية القديمة ـ غفر الله لها ـ كانت فى دول الأرض معنى من معانى الارهاب حروف لفظه السم واليم والسجن والسيف والسوط ! جمعت فى يدها القوية أطراف الشرق والغرب ، ثم ادارت حول تاجها الرهيب هالة من خلافة الرسول فعنت لجلالها الوجوه ، وخشعت لسلطانها الأفئدة ! ولكنها لم تستطع ان تثبت ملكها بقوة الروح وبراعة الذهن وعبقرية البيان كما فعل العرب ، فظلت واقفة امام شعوبها الثائرة عابسة الوجه معقودة العنق منشورة الشارب مشهورة السيف ، فحرمها ذلك الموقف نصيبها من طمانينة السلم ومدنية العلم ونعمة الثقافة . وكان ولاتها على الأمصار الخاضعة يحكمون الناس بهذه العقلية الجهول ، فيظهرون الابهة وينشرون الرهبة ويحصدون الاموال والانفس بالضرائب والرشى والمصادرة والقتل . فاذا طالت الولاية واكتظ الوالى ورضى (المابين) واراد الباشا ان يفكر فى الدين او فى العلم اوفى الاصلاح دل على فهم بليد وغفلة عجيبة !

كنا ذات يوم نتحدث فى هذا وفيما جره على الأمة العربية من الجهل والذل والفقر ونحن جلوس فى ندوة السيد صبحى الدفترى محافظ بغداد يومئذ ، وهى ندوة تقوم فى داره المضياف ضحى يوم الجمعة من كل اسبوع فيندو اليها الوزراء والزعماء والأدباء والقادة فيكون لكل طائفة منهم حلقة وحديث . ولكن الزهاوى إذا تكلم اصغت إليه الدار وتحلقت عليه الندوة : لأن جميلا كان اية الله فى فكاهة الطبع وظرف المحاضرة وحلاوة الدعابة ورقة العبث . وكان له فى إلقاء النادرة لهجة وإشارة وهيئة لا يبرح سامعها مستطار اللب نشوان المشاعر من غرابة ما يرى وطرافة ما يسمع .

* * *

كان الحديث اول ما بدا دائرا بينى وبين السيد ناجى الاصيل على ان الحرب واوزارها استقلت بمواهب الترك فلم تدع لهم كفاية للسياسة والثقافة ؛ واخذنا نضرب الامثال على ذلك مما جرى فى العراق ومصر . وكان المرحوم الزهاوى بجانبى ، ولكنه كان مشغول

الاذن بكلمة منافقة فى العقاد والرصافى القيت اليه فى خفوت وخبث . فلما تشربها سمعه واجاز عليها القائل ببسمة وهزة وسيكارة ، اقبل علينا فسمع طرفاً من الحديث نبض له نابضه فقال : هوهوه ! إذا حدثتك مولانا عن حمق الولاة من الترك لا ينتهى الحديث ولا ينقضى العجب !

ثم ارسل نكتته الحاضرة وضحك ضحكته الساخرة فتنبه المجلس الى ان الزهاوى سيتحدث ، فسكت المتكلم واصغى المستمع وتهيات النفوس للسرور الشديد والضحك المتصل ، واخذ الشاعر يقول :

ارسلت الينا الدولة العلية بعد جفاف الريق والمداد من شكوى الجهل والفساد ، واليا يسير بالعراق فى طريق العمارة والعلم ، فقابله البغداديون باحتفال عظيم وفرح شامل . وكان لى يومئذ يد فى ادارة التعليم كما تريده الدولة ، فقال لي الوالى ذات يوم : إنا نريد أن ننشىء مدرسة للبنات فابحثوا عن دار تصلح أن تكون لها مكاناً . وكان تعليم البنت فى ذلك العهد أملا من امال المصلحين تتقارع حوله الاقلام بالحجج فى غير طائل . فقلنا إن الرجل رحب الباع فى الاصلاح ، ودللناه على جملة من الدور الكبيرة الصالحة ، فكان كلما دخل داراً قال إن الابصار تجرح البنات من هنا ، والأسماع تسرق الاصوات من هناك ؛ حتى لم يدع فى بغداد داراً إلا عابها هذا العيب من طريق التوهم او التخيل ! وظهر من تصرف الرجل ان به بلاهة وغفلة ، فخطر لي ان اتداعب عليه لاكشف حاله للناس فلا يستنيموا الحكمة . فقلت له : افندم ! لم يبق فى البلد كله إلا مكان واحد ارجو أن يقع من هواك موقع الرضى . فقال : امض بنا اليه . فذهبت به الى (منارة سوق الغزل) وصعدنا فوقها ، فلم تكد قدمه تستقر على شرفتها العليا ، وعينه تقع على سطوح بغداد وهى متطامنة تحت المائذنة العالية ، حتى شهق من الفرح وصاح بملء فيه : نعم ! نعم ! هذا هو المكان المناسب !

ثم نزل وفى نيته ان يتخذ الاهبة من المقاعد والادراج ليفتتح المدرسة ! فقلت له : مولانا ! لابد ان تجمع الناس قبل الافتتاح لتقنعهم بتعلم بناتهم فانهم سيئو الراى فى ذلك التعليم . ونجاح الامر موقوف على ان يعتقدوا فيك التقى والورع . وسادلك على اقرب الطرق لتحقيق هذا الاعتقاد :

إذا اجتمع الناس واكتظ بهم الديوان جلست انت فى الصدر ، وجلس عن يمينك وعن يسارك رجال المعارف ؛ ثم تشعل (شبقك) وتامر كلا منهم ان يفعل فعلك ! ثم تبتدىء فتذكر الله بصوت موقع على ضربات كفى وانت تميل راسك من الشمال الى اليمين تارة ، ومن الخلف الى الامام تارة ، وانا والحافون من حولك نتابعك فى كل كلمة وفى كل حركة . ثم حاول ان تاخذك الحال ويستخفك الذكر : فكلما ازبد الفم وأرعد الصوت وتشنج الجسم وهاج الدم ، كان ذلك احمل للناس على أن يعتقدوا فيك الولاية فتقودهم صاغرين الى ما تريد .

وصدق الوالى كل ما قلته له تصديقا لا تتخالجه فيه شبهة . وجاء يوم الجمع واحتشد الاعيان والوجوه يسمعون ماذا يقول الوالى . وجلس الباشا وانا بجانبه وشيوخ المعارف من حوله ، وامر فاشعلت (الغلايين) الطويلة ، واخذ يذكر ويترنح وانا أرسم له ، والشيوخ يذكرون معه . ثم غمزته بعد حين فتهور و (تطور) وارغى .

وتظاهرت انا بجذبة الوجد وسكرة التجلى فقرعت غليونه بغليونى ، ثم اخذت بلحيته البيضاء وراسه الاصلع ففعل بى مثل ما فعلت به ، واخذنا نتدحرج على البساط ، فمرة اكون فوقه ومرة يكون فوقى ، والشيوخ يعجون بالذكر ، والناس يضجون بالضحك ، وانا والوالى قد ملكتنا حميا الولاية فدخلنا فى صراع عنيف لم يخرجنا منه إلا انقطاع النفس . فجلسنا مسترخيين نلهث من الاعياء وكلانا ينظر الى صاحبه نظر الديك المنتوف الى الديك المهيض . وذلك يا مولانا هو الوالى الذى اختير لتعليم الجاهل وتصحيح المريض !





القبلة هى إحدى الطرق الانسانية النفيسة التى ابتدعها الحب ، فما هو تاريخ ظهورها بين بنى الانسان ؟

المعروف عند عامة الناس ان التقبيل نشا مع الشهوة الجنسية وهذا مخالف للحقيقة ، ويحملنا على الاعتقاد بان هذه العادة لم تكن من الغرائز الانسانية الاولى ، ان كثيرا من الامم لا يعرفها على وجه الاطلاق ، وان بعضها ينظر اليها بالمقت والامتعاض .

ومن المحقق ان قبائل الاسكيمو والمورا لا يعرفون التقبيل ، وقد مضت قرون عديدة قبل ان تعرف هذه العادة فى الصين واليابان ، اما فى ايامنا الحديثة فالصينيون يعرفون التقبيل ولا يرون بأسا من انتشاره بينهم ، ولكن اليابان يحرمونه ويبالغون فى تحريمه ، حتى انهم يحذفون جميع مناظر التقبيل من الافلام الاوربية والامريكية التى تعرض فى بلادهم .

وقد عرضت رسوم رودان فى معرض طوكيو سنة ١٩٤٢ فظهرت جميع رسومه المشهورة ما عدا اللوحة التى تحمل صورة القبلة فقد القى عليها غطاء كثيف . وقد اعترض بعض الزوار الفرنسيين على ذلك فاجابه رئيس البوليس بان مجموعة رودان كان من الواجب ان توضع جميعها تحت غطاء من اجل صورة القبلة فالتقبيل عادة اوربية ممقوتة تمنعها اليابان باى ثمن ، ولولا عظمة رودان وما له من الشهرة بين امم العالم لمنعت جميع رسومه من الدخول الى اليابان لاجل هذه الصورة .

اما تاريخ التقبيل فغير معروف على التحقيق وان كان لبعض القبلات تاريخها وشهرتها ، ومن القبل المشهورة قبلة «فلورنتين» وتنسب الى «نابليون الاول» ، وقد بيعت قبلة واحدة فى إحدى المناسبات بمبلغ ٢٠٠٠٠ جنيه ، وكان ذلك فى البرت هول سنة ١٩١٥ فى حفلة لاعانة الجرحى عرضتها الممثلة المشهورة «مورلوب» عن طريق المزايدة : فلما وصلت المبالغ المعروضة الى ٨٠٠٠ جنيه كف جميع المتنافسين عدا اثنين هما الثرى الكبير هتشنسن ودوق ارنست البائر : وقد فاز الدوق فى النهاية بهذه القبلة . ومما يذكر فى هذه المناسبة ان الدوق طلب الى الممثلة ان تقبل ابنه البالغ من العمر تسع سنوات بدلا منه ...



وتعد القبلة فى بعض احياء الولايات المتحدة عملا مخالفا للصحة ، وتعريض صحة انسان ما للمرض جريمة يعاقب عليها القانون . اما اغتصاب القبلة من امراة اية كانت فهو عمل يعاقب عليه القانون فى سائر الاحوال .

وإذا كانت القبلة اليوم هى التعبير الجسدى عن الحب ، فقد كانت فى الأزمان الخالية نوعا من التحية فحسب كالتلويح بالمنديل للمسافرين ، وقد ظلت كذلك الى القرن الخامس عشر ، وكان يباح للضيف ان يقبل زوجة مضيفه ، وكل فرد من افراد عائلته .

وكانوا فى روما القديمة يقبلون لاسباب غير التحية والاحترام فقد كان النبيذ محظورا على النساء تعاطيه ، ومن ثم كانوا يبيحون للرجل ان يقبل المراة إذا كانت له بها اية علاقة ، ليتاكد من انها لا تشرب النبيذ وتخالف القانون

وقد قام احد علماء امريكا فى الايام الاخيرة يحذر العالم من التقبيل ، ويعلن انه ينقص من اجل الانسان ، ولكن احدا من الناس لم يصدقه او يجعل لتحذيره نصيبه من التقدير .

اللورد لويد والإسلام

يوليو ١٩٢٩



اللورد لويد جورج
خطبة فى لندن عن التطور الاسلامي

ألقى اللورد لويد خطبة فى اجتماع عقد بلندن فى الأسبوع الماضى قال فيها : يجب على الحكومة ، حينما تبحث المسألة الفلسطينية او مخاوف مسلمى الهند من الاضطرابات التى يثيرها الهندوكيون ، ان تبحثها على ضوء الاعتبارات التى شهدناها فى العشر أو الخمس عشرة او العشرين سنة الماضية والتى تدلنا على ان العالم الاسلامى دخل فى مرحلة جديدة بقوته المتزايدة وبكل ما يتضمنه الدين الاسلامى العظيم من قوة ، مضافا الى التعاليم الحديثة .

وختم اللورد لويد خطبته قائلا : «إن تطورا جديدا قد طرا على العالم الاسلامى وهو تطور يجب أن نحسب له حسابا دقيقا» .

الحمد لله على نعمة الإسلام

أغسطس ١٩٢٩

امتاز الاسلام من بين سائر الديانات بميزة جميلة جدا ، هي رفع الوساطة بين الله والناس ، فلكل مسلم الحق فى ان ينظر إلى الله والوجود كيف شاء فى حدود المنطق والعقل ، ومن حقه ان يخاطب الله بلا وسيط من الاشياخ او الاحبار او الرهبان .

اقول هذا وقد قرأت فى «الرسالة» كلمة يقول كاتبها إن من حقي ان اتكلم فى الادب لاني دكتور فى الآداب ، وليس من حقي ان اتكلم فى الدين لانني لست دكتورا فى الدين .

وهذا الكلام يدل على ان قائله بعيد عن فهم الغرض من الرسالة الاسلامية ، فالرسول عليه الصلاة والسلام بعث لرفع الكلفة بين الناس وبين خالقهم ، بعد أن كانوا يتوهمون أن بينهم وبينه حجابا لا يرفعه غير الاحبار والرهبان .

ولو اني انتظرت الاذن من رجال الدين لكان من المحتوم ان تضيع الجهود التى بذلتها فى الدراسات الاسلامية ، وهي جهود سالقي بها الله وانا مرفوع الراس ، لانه عز شانه لا يضيع اجر المحسنين .

والذين استكثروا أن اتكلم في الدين فاتهم اني صححت اشنع خطا فى تاريخ التشريع الاسلامي حين بينت بالادلة والبراهين ان كتاب « الأم » لم يؤلفه الشافعي ، وإنما الفه البويطي المصري ، وتصرف فيه الربيع بن سليمان .

وهم كذلك ينسون اني صاحب كتاب « التصوف الاسلامي » وهو كتاب سادخل به الجنة وسادخل معي على حسابه الوفا من الادباء المحرومين ، كما اوحى الله الى الزيات ان يقول ، وهو رجل صادق الايمان ، ورجاؤه فى الله مقبول .

والحق اني أعجب من الذين يصرون على التشكيك فى عقيدتي . فلو كانت قلوب هؤلاء عرفت معاني النور لعرفوا ان في مؤلفاتي نفحات هي انفاس حرار من وهج الايمان الصحيح .

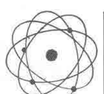
وما يهمني ان ازكي نفسي ، فالله يعلم ما بينه وبيني ، وإنما يهمني ان يقلع بعض الناس عن اغتيابي فى السر او مهاجمتي فى العلانية فى امور متصلة بالدين فاني اخشى ان يغضب الله عليهم فلا يبوءوا بغير الخسران .

وإني لخليق بان ارجو لهم المغفرة متمثلا بالقول المنسوب إلى الرسول :

« اللهم اهد قومي ، فانهم لا يعلمون » .

وإلى الله ارفع الرجاء فى ان يصيرني من المعفو عنهم ، وان يجعلني بفضله من عباده الصالحين ، وان يمنحني من العافية كما املك به الصبر على خدمة الأدب والدين .

زكي مبارك



العالم هو المستقبل

تقديم: لبنى الريدي

● التليفزيون ــ الساعة ●

ابتكرت الصناعة اليابانية اصغر جهاز تلفزيون في العالم ، فهو ساعة معصم مزودة بشاشة تلفزيونية ابيض واسود مصنوعة من البللورات السائلة ، ولا تتعدى مساحة شاشة هذا التليفزيون ثلاثة ارباع البوصة في بوصة واحدة ، ووزن التليفزيون والساعة معا اكثر بقليل عن وزن الساعة التقليدية .

ويقترن تشغيل هذا التليفزيون الساعة بزوج من السماعات الستريو الخفيفة الوزن وتتصل هذه السماعات بجهاز استقبال وزنه سبع اونصات هو وحدة البطارية . وبدون جهاز الاستقبال الصغير يتحول التليفزيون ـ الساعة الى ساعة رقمية لها شاشة مستقلة لعرض التاريخ .

واستخدمت الشركة اليابانية المنتجة لهذا التليفزيون تكنيكا مختلفا عن انبوبة اشعة كاثود التقليدية حيث زودت هذه الساعة بشاشة مسطحة تستهلك كمية اقل من الطاقة صنعت من البللورات السائلة .

كما انها ركبت الشاشة مباشرة فوق رقيقة كومبيوتر صممت خصيصا لهذا التليفزيون بدلا من وضع الدوائر الالكترونية حول الشاشة . وتتحكم هذه الرقيقة الصغيرة في حوالي ٣٢ الف عنصر من عناصر الصورة على الشاشة فان الصورة واضحة تماما بحيث تتيح للمشاهد قراءة اية كلمات مكتوبة بسهولة ويسر . ومن المتوقع ان يطرح هذا التليفزيون ـ الساعة في الاسواق مع بداية عام ١٩٨٣ .

● اصغر آلة كاتبة حاسبة ●

يقدم اليابانيون اصغر آلة كاتبة إذ لايزيد وزنها عن خمسة ارطال بحيث يمكن حملها بسهولة في حقيبة اوراق عادية فان عمقها ثمان بوصات وارتفاعها بوصتان وبالتالي فهي تستحق لقب ارق آلة كاتبة . إلا أن حجمها الصغير ليس ميزتها الوحيدة فهي ليست آلة كاتبة عادية ، فهي تضم ذاكرة اليكترونية تتسع لستة عشر حرفا ، كما انها مزودة بشاشة رقمية صغيرة . وهي تستطيع القيام بالعمليات الحسابية البسيطة كالجمع والطرح والضرب والقسمة مثلها مثل اية آلة حاسبة .

وتستخدم هذه الآلة الكاتبة الحاسبة شريط كربون صغير ليتناسب مع حجمها ولكنها تستطيع الطبع بدونه كطباعة حرارية ، كما انها تتميز بصوت خافت فهي لا تسبب الضجيج الذي تحدثه الآلات الكاتبة عادة فهي اقرب لان تكون صامتة .

وهي أول آلة كاتبة بهذا الحجم تعمل بالكهرباء إذ يكفي لتشغيلها اربع بطاريات كما يمكن توصيلها بالتيار العادي .

● فانوس سحرى مزدوج العدسات ●

كلنا نعرف الفانوس السحرى العادى فهو من اوائل الأجهزة المرئية ، ولكن هذا الفانوس السحري مزود بمجموعة بصرية مزدوجة بحيث يستطيع عرض الشرائح الفوتوغرافية بطريقة المزج اي باحلال صورة محل اخرى تدريجيا كما يمكنه عرض الشرائح بشكل مجسم او بشكل بانورامي مزدوج العرض .

وبالاضافة إلى ذلك فهو مزود بنظام ذاتي لتوزيع واسترجاع الشرائح ، إذ يتم ترتيبها تبعا لترتيب عرضها على الشاشة وهي الطريقة المتبعة في الفانوس السحري الاحادي العدسة ، إلا ان هذا النظام المبتكر يضم اربعة ممرات متوازية لوضع الشرائح ومتعامدة على محوري المجموعتين البصريتين التى تمر خلالها الشرائح كل الثنتين معا . وهذه الممرات مزودة باداة توجيه لضبط حركة مرور





الشرائح التى تم عرضها وتقودها الى ممرات الرجوع وبالتالي تعود إلى نفس الخانات التى خرجت منها .

اما عملية المزج فيتم تحقيقها بواسطة ملف مقاومة مزدوج متصل بجهاز اليكتروني

● الجيتار الضوئي ●

تؤثر الاختراعات والاكتشافات العلمية على الفنون بوجه عام وعلى الموسيقى بوجه خاص . فلقد اوجدت الدوائر الالكترونية المتطورة جيلا جديداً من الآلات الموسيقية الالكترونية ابتداء من الجيتار الى الاورج .

كما أصبح الكمبيوتر من الأجهزة الضرورية فى التسجيلات والتوزيع الاوركسترالى بل ان الكمبيوتر اصبح فى امكانه التلحين .

والآن وبعد انتشار استخدام الالياف الضوئية فى مجال الاتصالات اللاسلكية والأجهزة العسكرية المتطورة جاء دور الموسيقى لتستفيد من هذا الاكتشاف . وبالفعل تم تصميم جيتار اوتاره من الالياف الضوئية .

وتؤكد التجارب التى اجريت عليه ان اوتار الجيتار المبتكرة والتى تعتمد على انتقال النبضات الضوئية اكثر حساسية للترددات العالية والمنخفضة على حد سواء كما انها اقل تأثرا باى مجال كهربى خارجى عن الاوتار المعدنية التقليدية .

وبفضل استخدام كابل من الاليــاف الضوئية ايضا لتوصيل الجيتار بجهاز تكبير الموجات المرتبط به وبمجموعة مكبرات الصوت لانها تنقل الاشارات بدرجة عالية من النقاء ولمسافات أطول من العادية . وإذا زود نظام تكبير الموجات بمجموعة من الفلاتر الالكترونية يستطيع هذا الجيتار الضوئى تقليد صوت الات موسيقية أخرى .

ومن المنتظر ان تحل الالياف الضوئية مع نهاية العام الحالى محل النظــام الكهرومغناطيس المستخدم فى الجيتار الكهربى حاليا .



● صور تتشكل كما تريد ●

قد يصعب استخدام الصــور الفوتوغرافية فى الديكور والزينة نظرا لسمك الورق الأبيض الذى يمثل دعامة للفيلم الحساس وسهولة تلفه . الا ان احدى الشركات الفرنسية انتجت ورق طبع للصور الملونة يمكن نزعه بعد انتهاء عملية التحميض فالطبقة الحساسة للفيلم صبت فوق طبقه رقيقة جدا من البلاستيك المرن بحيث لا يلتصق هذا الغشاء البلاستيك بورق الطبع الا سـطحيا وبحيث يمكن فصلهما بسهولة بالبدء من ركن الورقة كما يظهر فى الصورة .

ويمكن لصق هذا الغشاء البلاستكى الذى تستند اليه الصورة بعد ذلك على دعامة من الخشب او الحجر او المعدن والعديد من المواد الاخرى . وبما ان الغشاء رقيق ومرن فهو يتشكل بشكل السطح الذى يلصق عليه .

ولكن معالجة الصورة الفوتوغرافية تتم بالطرق التقليدية كما يصلح هذا الورق لعمليات التكبير .

● حقيبة ضد اللصوص ●

اطلق السويديون على حقيبة اوراق صممت خصيصاً لحفظ الأوراق والوثائق الهامة اسم الاخطبوط . حيث انها تنثر على محتوياتها الثمينة نوعا من الحبر الخاص اذا ما حاول احد فتح هذه الحقيبة قسرا .

وهى لا تحتاج لأى حماية خاصة من حاملها اذ يكفى اغلاقها وإذا ما حدثت اى محاولة لتعطيل اجهزة الرصد المزودة بها فان ذلك يكفى لتشغيل رشاشة الحبر . اما اذا حاول اللص تعطيل نظام الامان الالكترونى المثبت داخلها بتعريض الحقيبة للحرارة أو البرودة فان البطارية الموجودة داخلها سوف تحتفظ بكمية كافية من الطاقة لنثر الحبر .

ولكن الحبر لا يتلف المستندات وانما يحدث علامة فى النقود بحيث لا يستطيع اللص تصريفها .

دليل القارئ الذكي



● لم اكن نائما ... لكنه الواقع والحلم
ديوان محمد الظاهر
نشر دار الكلمة للنشر ببيروت

منذ بداية الستينات ، والشـــعر الفلسطيني فى الاردن ، يرسم فى داب متواصل ، خطوط هويته الحاضرة الخاصة فى خريطة الشعر الفلسطيني ، داخـــل وخارج الارض المحتلة ، هذه الملامح التى عجلت ظلال نكسة حزيران ١٩٦٧ ، فى تفجيرها ، وطرحها بحدة بالغة القسوة .

محمد الظاهر ، صوت شعري شاب ، تفتح وعيه ، اوان انتفاضة شعبه ، معمدا بالفعل وبالحلم ، ولكنه حين افاق ذات يوم وجد نفسه فى الساحة وحيدا ، فاخذ يغني وانزوى بعض سنوات ليكتب .

قصائد الديوان ، تشيع جوا من البساطة القريبة الى النفس ، وإن قراءة سريعة لها ، تضع المرء على سر هـــذه الينابيع ، الا وهو : بساطتها المحببة ، وايحائيتها الهادفة فى مفرداتها وتراكيبها . يقول :

لا تتركوا الوقت يذبل فى صدرنا
ولا تزعجوا سرنا بالهتاف
انتموا للضفاف
من الماء للماء هذا دمي
فاسجدوا .. واشهدوا

شعر محمد الظاهر فى هذه المجموعة ، يحمل الكثير من صدى خصوصية التجربة الفلسطينية ، وتشكيلها كهم اساسى فى حياة الشاعر ، وتتجلى هذه الخصوصية فى أرقى اشكالها ، فى عودة هذا الشعر إلى موروثه الشعبى ، لأن كل نهضة قومية ، لابد ان تعود الى موروثها الشعبي ، تستبقى منه وتستلهم روحه ، فى إضاءة جوانب الواقع المظلمة ، من العـــذاب والفجائية التى لونت حيـــاة الشـــعب الفلسطيني ، وانعكس ذلك على الشعر .

رغم نثار الدم الذى يلون ابيات قصائد هذا الديوان ، فان للشاعر مطلبا واحدا ، هو : توحيد جسمه بهذا الدم الذى يعبر عن افقه ، ليعود يسحب على وتره هذا الهدوء الجياش فى جوهره فيقول :

دعيني اوحد اجزاء جسمي بهذا الدم العابر الآن افقي
دعيني اجدد عشقي
فمن غيرك الآن يعطي لحنجرتي صوتها
واوردتي دمها
وخارطتي حجمها
ويعيد التوازن للارض كي تستفيق لتكمل دورتها !

قصائد هذا الديوان محاولة لرسم الواقع وتجاوزه ، انها احتجاج ضد هذا الواقع ، وصراخ داخلي ، وايذان بالولادة الآتية ، فهو يقول :

يا وطني
يا وطن القتلة
من يلتقون بثوبك .. يرتدون عليك
تجار فى الليل
وزوار فى الفجر
وانا فى الفجر
وانا اتقيا برد الزمن
واعلن أن اللعب على الأوطان مذلة
واعلن ان الزمن الماضى مهزوم
والزمن الحاضر مهزوم
وشهود العصر الآتى اتون

● ● ●

● الخط العربي
تاليف محمد ظاهر الكردي
نشر الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ١٩٨٢

قضية الخط العربى ، ودراسة تاريخه ، تشير الى انه كائن يتصف بالحيوية والنمو وانه مر بتطورات ، حتى اكتسب شكله الحالي ، وان جذوره موغله فى الكيان العربى الثقافى ، وتتمثل هذه الحيوية والمرونة فى اشكاله المختلفة ، التى تلائم الاغراض الثقافية والفنية .

أولى العرب الخط عناية خاصة ، تتمثل فى بحث اصوله وبدايته ، وفى تجويده والتفنن فى رسمه ، وافرغـــوا الكثير من قابلياتهم الفنية فى تزيينه ، فلم يعد مجرد اداة للكتابة بل ايضا وسيلة للنقش والتزيين ، كما صارت الكتابات فى المساجد وعلى الأبنية من ابرز مظـــاهر الفن الاسلامي .

للخط العربي صلة وثيقة باللغــــة العربية من حيث اشكاله وتطوره ، كما انه وثيق الصلة بالتطور الثقافي عامة ، ومن هنا كان الخط العربى جزءا مهما من التراث الحى للامة العربية .

ولعمري فان هذا ما حدى الأستاذ العلامة محمد ظاهر الكردي بتاليف كتابه هذا « تاريخ الخط العربي وادابه » وهو كتاب تاريخي ، اجتماعي ، ادبي ، مزين بالصور الخطية ، والرسوم الفوتوغرافية ، ويقول فى مقدمة الكتاب :

« لما كان الخط من أوائل وسائل التقدم والعمران ، وشرف منزلته بين جميع الامم لا يحتاج الى برهان ، حتى عدوه من ادق الفنون الجميلة ، واحسن الاشـــكال الهندسية الجليلة ، احببت ان اضع كتابا اتصدى فيه لتاريخه ، وذكر تراجم من اشتهر من الخطاطين السابقين والمعاصرين وما ابرزته اناملهم من التحف والنوادر الفريدة ، وما يوجد من الآثار الخطية قبل الاسلام وبعده ، إلى غير ذلك من المباحث القيمة » .

يقع هذا الكتاب فى ٥٥٢ صفحة ، ولم يتم تقسيمه الى ابواب او فصول ، بل الى مواضيع ، وله فهرست مفصل ، يوصل الباحث الى الموضوع الذى يريده .

اما مواضيع الكتاب ، فهي جامعـــة وموسوعية ، بعيده عن التكلف والتعقيد ، ولم يسبق ان وضع كتاب للخط العربي بهذا القدر ، من المعلومات والبحـــوث ، وتجميله بصور مشاهير الخطاطين ، ومما زاد فى قيمته ، اشتماله على كثير من صور الآثار الخطية ، ورسوم الكتابات القديمة ، واشكال وانواع الخطوط فى عصرنا هذا ، وصور الخطاطين المشهورين .

إلى الكتب الجديدة ••

عرض وتقديم :
حسني شحادة

● التسرب في التعليم الابتدائي في دولة قطر
تاليف ابراهيم علي هاشم الساده
طبع عام ١٩٨٢

اصبح التعليم من اهم الاستراتيجيات القومية الكبرى فى حياة الشعوب المتقدمة والنامية على السواء ، لما له من اهمية فى الدور الذى يلعبه فى إحداث التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، لتحقيق الاهداف التى تنشدها الامة .

إن مستقبل العملية التربوية ، مرهون بالفكر الابداعى للمثقفين وما هذا الكتاب الذى اعرضه ، إلا انموذجاً جيداً لمعالجة مشكلة خطيرة تعانى منها اغلب نظم التعليم فى الدول النامية ، وتعمل على التغلب عليها ، الا وهى مشكلة تسرب التلاميذ ، التى تشكل العامل الاكبر فى إعاقة جهود هذه الدول لحل مشكلة الامية .

ومما يزيد هذا البحث اهمية ، ان المؤلف رجل واكب العملية التربوية فى جميع مراحلها ابتدائية واعدادية وثانوية ، تعليماً وتنظيماً وادارة ، فكان هذا الجهد جهداً ميدانياً فى الدرجة الاولى ، حيث وضع يده على الحقائق التى قلما يظفر بها المنظرون من ابراجهم العالية فجاء تعليق الاستاذ الدكتور محمد سيف الدين فهمى ، عميد كلية التربية بجامعة الازهر ، والمشرف على هذا البحث ، ترجمة حقيقية لجهد المؤلف ومدى تحقيق هدفه ، فيقول :

«تعتبر هذه الدراسة من الدراسات الرائدة فى هذا المجال ، وقد استطاع ــ المؤلف ــ بما توفر لديه من بيانات واحصاءات ، ومن خلال عمل ميدانى قام به لجمع بيانات لم يتوفر نشرها من قبل ان يقدم دراسة جادة لهذه المشكلة ، ارجو ان يستفاد بها فى تلمس سبل علاجها فى دولة قطر الشقيقة وفى مختلف الدول التى تتشابه ظروفها مع ظروف دولة قطر» .

يقع الكتاب فى حوالى مائتى صفحة ، ويتضمن ستة فصول ، ذكر فى الفصل الاول اهم الدراسات حول ظاهرة التسرب فى دولة قطر وفى دول الخليج العربية ، وفى الدول العربية عامة .



وفى الفصل الثانى القى المؤلف الضوء على تنظيم التعليم وإدارته فى دولة قطر ، مبتدئاً بنبذة تاريخية عن تطور التعليم ، والسلم التعليمى والتنظيم الادارى ، وتمويل التعليم فى قطر .

اما واقع التعليم الابتدائى فى قطر ، وتطوره الكمي والكيفي فقد عالجه المؤلف فى الفصل الثالث .

وفى الفصل الرابع عالج المؤلف حجم التسرب فى المرحلة الابتدائية فى دولة قطر والعوامل المؤثرة فيه ، سواء كانت اقتصادية او اجتماعية او ثقافية وتربوية .

الدراسة الميدانية لظاهرة التسرب هى الفصل الخامس من الكتاب حيث حدد اهداف الدراسة ، ومراحل اعداد اهداف الدراسة ، ومراحل اعداد الاستبيانات ووصف ادوات الدراسة المستخدمة ، وعينة الدراسة ، ونتائجها .

وقد خلص المؤلف فى الباب السادس ، الى النتائج التى توصل اليها من هذا البحث ، وصاغها فى مقترحات لعلاج ظاهرة التسرب فى المرحلة الابتدائية ، وهى مقترحات المديرين والمديرات ومقترحات المؤلف .

لقد دعم المؤلف «ابراهيم علي هاشم الساده» هذه الدراسة بالجداول والاحصائيات التى بلغت اثنين وخمسين جدولا ، وبالمراجع من كتب وتقارير ودوريات عربية واجنبية بلغت نيفاً وستين مرجعاً .

إن هذا المؤلف جدير بالدراسة والاهتمام لان المشكلة التى يعالجها مشكلة على قدر كبير من الاهمية بالنسبة للتنمية القومية ، والمؤلف لازال يعمل بجهد دائب ونشاط كبير ، فقد سجل هذا العام ١٩٨٢ رسالة لنيل درجة الدكتوراه فى الادارة والتخطيط التربوى من كلية التربية بجامعة الأزهر .

وإننى إذ ارجو له التوفيق الدائم ، اتمنى ان يحذو الباحثون التربويون هذا النهج ، لتحقق العملية التربوية اهدافها الكبرى ، ومراميها العظيمة فى خدمة الامة والمجتمع الانسانى .

•••

● الطريق الى بلحارث
تاليف جمال ناجي
نشر مطابع الدستور التجارية بعمان

هذه رواية اردنية جديدة ، لاديب جديد هو جمال ناجي ومع طراوتها فانها غرسة متطاولة ، يلفت الانتباه ، باخضرارهـــا المعافي ، وقوامها المنسق .

العمود الفقرى لهذه الرواية المتميزة هو السفر . السفر فى الأرض والتجربة ، وكل مسافر فيها ، تتقاطع طريقه مع طرق الآخرين ، ولا يسير اثنان فى درب واحده .

كل هذا يجرى فى بلدة « بلحارث » ، تتسلق الجبل ، كانها تسافر نحو قمته ، أو تضعف لتستحم فى مياه البحر الاحمر ، او تضيع فيه ، وبين المسافتين ، يلهث الناس فيها مسافرين فى كل اتجاه .

وجميع المسافرين فى هـــذه الرواية يدفعون الثمن او يقبضونه حسب تعاملهم مع « ظفره » ، او قربهم منها ، او بعدهم عنها ، اما الذين تعبوا ، وتاكدوا أن الهدف لا يستحق كل هذا العناء ، فقد تراجعوا بكثير من الخسارات .

وتبقى هذه الرواية إضافة نوعيـــة جديدة للرواية العربية فى الاردن .



بقلم: رؤوف توفيق



في مهرجان كان انهم يضحكون مع هذا الفيلم "مستشفى بريطانيا"



« ابعبه » المحقق التليفزيوني اثناء زيارة الوفد للمستشفى .. إنه يتخفى فى صورة مريض حتى يحصل على السبق !

رؤية شديدة السخرية لعالم مليء بالغباء والجنون

« الحياة .. نوع من الكوميديا ، لهؤلاء الذين يفكرون .. ونوع من المأساة ، لهؤلاء الذين يتعاملون بالمشاعر » .

أنها كلمات اوسكار وايلد .. وهى تحدد نوع الكوميديا فى فيلمى (مستشفى بريطانيا) .

« فالتصرفات المنافية للعقل ، لانسان هذه الأيام ، ونحن نتحرك للقرن الواحد والعشرين .. هى منتهى التناقض .. ومنتهى الخطورة .. لاتسمح لنا برفاهية العواطف أو الدموع .. ولكن عندما ننظر للانسانية بمنطق ـ وبلا غفران ـ نامل ان نحاول الانقاذ .. ومن يضحك قد يساهم فى هذا » !

الطبيب الجراح داخل المصعد ، ومعه مساعدته .. وفى الخلف اثنان من عمال النظافة ، احدهما المحقق التليفزيونى المتنكر .



الطبيب الجراح يرفع يديه محاولا اقناع المتظاهرين على باب المستشفى .

هكذا لخص المخرج الانجليزى الشهير « ليندساى اندرسون » فلسفته لآخر فيلم اخرجه بعنوان (مستشفى بريطانيا) .

والفيلم ـ بالفعل ـ يدعوك للضحك فى كل مشهد منه .. ولا تكف عن الضحك حتى بعد نهاية الفيلم .. إنه الضحك الذى يدفعك للتفكير والتامل .. وكأنما هذا المخرج الانجليزى الساخر يريد ان يؤكد لك وجهة نظره .. إن افضل طريقة لمواجهة احداث العالم المتضاربة ، العنيفة .. أن تضحك لها وعليها ..

وفيلم (مستشفى بريطانيا) .. عرض فى مهرجان كان السينمائى الاخير ، ممثلا لمخرجه الانجليزى ، وممثلا لانجلترا !!

والمثير تماما أن الفيلم يسخر تماما من الوضع الحالى لانجلترا .. وسهام السخرية تصيب العائلة الملكية .. كما تصيب الطبقة العاملة ونقابات العمال .. والاضرابات المتكررة .. والمظاهرات .. وتمتد السخرية الى أكثر ما تشتهر به انجلترا فى نظام العلاج والمستشفيات .. ويتوقف المخرج طويلا ليضحك من الأطباء والمرضى والممرضين .. وكأنما اراد ان يقدم الجانب الاخر من هذه الصور اللامعة !

وقد وصف كثير من النقاد الذين شاهدوا الفيلم فى مهرجان كان .. بانه « ملحمة هجاء » .

ومع ذلك .. فالفيلم إنجليزى .. ويمثل انجلترا فى المهرجان .. ومعنى هذا ان احدا لم يعترض على عرضه بحجة انه



يسيء الى سمعة البلد .. هذه الحجة التقليدية العاجزة التى تلجا اليها كثيرا اجهزة الرقابة الحكومية فى الدول المتخلفة

هل هذا نوع من الديموقراطية ؟ ام نوع من الحضارة ؟

مهما كان الأمر .. **إلا انه شيء يدعو** للدهشة والحسرة .. خصوصا من امثالنا الذين يعانون من تسلط اجهزة الرقابة فى بلادهم !

سطور الجريدة

وموضوع الفيلم كما يقول مخرجه «ليندساى اندرسون» ماخوذ عن حادثة حقيقية نشرت فى جريدة « ديلى ميرور » الانجليزية عندما اضرب طاقم الاطباء والمرضين عن العمل فى واحدة من اكبر مستشفيات انجلترا ، احتجاجا على اقسام العلاج باجر ، وهؤلاء المرضى « المخصوصين » والذين يحصلون على ميزات لاتتاح للمرضى بالمجان ..

وقع هذا الاضراب منذ خمس سنوات فى مستشفى « شيرنج كروس » بلندن .. وطالب موظفو المستشفى بطرد هؤلاء المرضى « المخصوصين » .

وظلت هذه الحادثة عالقة بذهن المخرج .. يطورها وينميها بخياله الخصب الساخر .. ويقول :

« لقد كانت هذه الحادثة تحمل عناصر الكوميديا والماساة .. ككل الحوادث والمواقف والمشاكل التى نتعرض لها فى حياتنا اليومية .. ومن هنا فكرت أن أصنع فيلما .. ليس فيلما عن مستشفى .. بل تلعب المستشفى فيه دورا رمزيا .. قد تكون بريطانيا او العالم كله .. ومن هنا تبلورت الفكرة .. وأصبح (مستشفى بريطانيا) فيلما عن بريطانيا ـ اذا أردت أن تصفه ـ ولكن ايضا عن كل الغباء والجنون فى عالمنا » !!

هذا النهار الطويل

وأحداث الفيلم كلها تدور فى نهار ذلك اليوم .. الذى تحتفل فيه هذه المستشفى الضخم بمرور خمسمائة عام على انشائها .. وايضا افتتاح القسم الجديد لعلم الجراحة المتقدمة حيث سيقدم هذا الطبيب العالم تجربته المثيرة التى ظل يعمل لها فى صمت وسرية شديدة .. وهذه التجربة العلمية تتلخص فى صنع انسان من تجميع اعضاء بشرية مختلفة واعادة زراعتها ولصقها (!!) .

وتكريما لهذه المناسبة .. قررت الملكة الأم فى بريطانيا .. أن تحضر مع بعض افراد الأسرة الملكية الى المستشفى !

ويبدأ الفيلم .. ودقات ساعة «بيج بن» تعلن السادسة صباحا .. والفناء الخارجى للمستشفى يموج بمظاهرة من عمال وموظفى المستشفى يحملون اللافتات المكتوب عليها « لا .. للمرضى المخصوصين » .. « لا .. للعلاج المخصوص » ..

موظفو المستشفى يقيمون المتاريس ويقفون على الباب الخارجى للمستشفى يمنعون دخول اى فرد .. وسيارة اسعاف مسرعة تطلق سارينتها المميزة .. وتحاول ان تخترق الحصار لتدخل الى المستشفى .. ولكن العمال يمنعونها من الدخول .. وسائق سيارة الاسعاف يتناقش معهم .. ويفتح باب السيارة .. لنرى انسانا عجوزا يصارع الموت .. ويبدو من ملابسه انه انسان فقير .. فيقرر العمال السماح لسيارة الإسعاف بالدخول ويتحرك الممرضون داخل السيارة بحمل العجوز على نقالة الى قسم الاستقبال بالمستشفى .. لنرى الاطباء مندمجين فى لعب الكوتشينة .. ولا احد منهم يحاول النظر للمريض .. او حتى السؤال عنه .. ويتخلص ممرضو عربة الاسعاف من هذه المهمة ، بالقاء المريض على نقالة اخرى والخروج بنقالتهم .. والمريض يتاوه ويئن فى الم شديد .. وممرضة تشعل سيجارتها فى لا مبالاة وهى تردد أن ميعاد عملها لم يبدأ بعد .. وينظر الاطباء الى ساعتهم .. وينصرفون .. بينما المريض وحده ملقى فى ردهة قسم الاستقبال .. يصارع الموت .. ينظر حوله .. فلا يجد احدا .. فيلفظ انفاسه الاخيرة .. ويموت !!

خلال هذه الدقائق السريعة الساخنة .. يحدد المخرج اسلوبه السينمائى الساخر ، ممهدا لشخصيات موضوعه ، والذين اختارهم بعناية شديدة ، أشبه ما تكون بشخصيات رسوم الكاريكاتير ..

الطبيب والمغامرة

أول شخصية .. هو ذلك الطبيب الجراح العالم الذى سيقدم مفاجاته العلمية بصنع انسان جديد (!!) انه رجل واثق جدا من نفسه .. يتحرك بخيلاء شديد .. خليط من الجنون والمعرفة .. (يلعب الدور الممثل الانجليزى جراهام كرودن وهو احد نجوم مسرح الأولد فيل وله رصيد كبير فى التليفزيون الانجليزى) .

انه يقتحم حصار المستشفى بسيارته الصغيرة .. غير مبال بطابور المضربين ولا نداءاتهم .. حتى انه يكاد يدهسهم تحت عجلات سيارته المسرعة .. ودون ان يكلف نفسه بالنظر إليهم او السؤال عما يحدث .. يركن سيارته فى مكان الانتظار كما اعتاد .. ويسرع الى داخل المستشفى .. ليستقل المصعد الى القسم الخاص به ، ترافقه سكرتيرته التى تتحرك اليا خلفه تنفذ له كل تعليماته .

يشاركه المصعد ، اثنان من عمال النظافة .. ينظر لهما بتافف شديد .. واحدا منهما ليس عامل نظافة بحق وحقيقى .. انما هو المحقق التليفزيونى الذى أراد ان يحقق سبقا تليفزيونيا فاختار ان يتنكر فى هذا الزى .. وقد اخفى داخل ثيابه كاميرا فيديو صغيرة الحجم تتصل اليكترونيا بعربة التليفزيون الرئيسية التى تقف مختبئة فى شارع جانبى .. !

داخل عربة التليفزيون .. اثنان من الفنيين .. شابان يبدان عملهما بالاقراص المخدرة وزجاجات البيرة .. ويتسليان بمتابعة برامج التليفزيون العادية من خلال جهاز تليفزيون خاص بهما ، ثبتاه فى مؤخرة العربة .. وأعطيا ظهريهما لجهاز الفيديو المتصل بزميلهما المحقق الذى يخوض مغامرة داخل المستشفى (يلعب دور المحقق التليفزيونى الممثل الانجليزى « مالكولم ماكدويل ») .

انه يحاول ان يتتبع الطبيب الجراح واللمسات الأخيرة التى يقوم بها لتصنيع الانسان الجديد ..

يتسلل المحقق التليفزيونى خلف النوافذ مصوبا كاميرته وينتقل الى داخل معمل الطبيب مستغلا علاقته الخاصة بالممرضة المساعدة للطبيب والتى تنقذه من محاولة اكتشاف امره .. فتضعه على نقالة وتغير ملابسه ليبدو كاحد المرضى .. ثم يتفتق ذهنها على ان تخبئه داخل الثلاجة الزجاجية التى يحتفظ بداخلها الطبيب باعضاء بشرية مقطوعة ومصنفة حسب نوعيتها !!

انه جو شديد الغرابة .. والجنون !!

المرضى الخصوصيون

خارج المستشفى .. فى احياء لندن هناك مجموعات ارهابية ـ غير معروفة انتماءتها ـ تفجر القنابل .. وصفارات البوليس تدوى .. ومطاردات ومصادمات عنف ..

والتليفزيون ينقل هذه الأحداث فى نشراته الاخبارية الصباحية .

وداخل المستشفى .. الموظفون والعمال يحاصرون ابواب المستشفى .. والاضراب يتحدد معالمه اكثر داخل قسم المطبخ الذى رفض تقديم وجبة الأفطار المعتادة لمرضى



بروفة لاستقبال الوفد الرسمي والاطمئنان على قواعد الاتيكيت .. إنها لقطة من الفيلم ! .

القسم المخصوص ..

وتتحرك الكاميرا لتستعرض نماذج المرضى بالقسم المخصوص .. انها اجنحة غاية فى الفخامة وليست غرف مستشفى ! الاثاث الفاخر والديكورات التى راعت كل ما يحتاجه النزلاء من رفاهية حتى زجاجات الشمبانيا والسرائر الوثيرة المبطنة من كل جانب والستائر المشغولة ومعدات المائدة الفضية .

ونزلاء هذا القسم يبدو عليهم الثراء الواضح .. ليسوا مرضى بالمعنى المعروف .. ولكن كانهم فى خلوة استجمام .

جنرال افريقى مطرود !

وفى احد الاجنحة نتعرف على هذا الجنرال الافريقى ، المطرود من بلاده بتهمة الديكتاتورية .. انه هنا بحجة العلاج .. ولكنه فى اتم صحة يحيطه بعض حرسه الخاص .. وفى الغرفة الملحقة بجناحه تقيم زوجته ــ أو احدى زوجاته ــ مع عدد كبير من اطفالهما .. يجلسون على الارض فى شبه دائرة .. وحبل الغسيل منشور داخل الغرفة وعليه ملابس مبتلة !! منتهى التهكم والجراة . !!

فعلاقة انجلترا بحلفائها تشوبها الحساسية الشديدة .. ولكن فى هذا الفيلم يسخرون بوضوح من هؤلاء الجنرالات والسياسيين المطرودين من بلادهم والذين تحتضنهم انجلترا تحت مسميات مختلفة .. منها العلاج !!

ويسخرون اكثر من هؤلاء الجنرالات والسياسيين من ناحية تخلف بلادهم وبدائية وهمجية تصرفاتهم وعاداتهم !!

اضراب المطبخ

وتجرى مفاوضات بين ادارة المستشفى ، وقسم المطبخ لاعداد الطعام لمرضى القسم المخصوص .. ولكن العاملين فى المطبخ اغلقوا معدات القسم وامسكوا بالمعالق والشوك والسكاكين يدقون بها على الأوانى فى ايقاع منتظم . ومنهم من وقف فوق المناضد والدواليب يضبطون الايقاع بالغناء . يرفضون العمل مالم تتحقق مطالبهم بزيادة رواتبهم وطرد المقيمين فى القسم المخصوص ..

وتضطر ادارة المستشفى الى تقديم حبة برتقال الى كل مريض بالمستشفى بديلا عن وجبة الطعام ..

وتوزع اطباق البرتقال بين مرضى المجان ومرضى القسم المخصوص .. الفرق الوحيد ان مرضى المجان داخل عنابرهم ، ومنهم من تسيل دماؤه ولا احد يعالجه .. اما مرضى القسم المخصوص فهم داخل اجنحتهم الفاخرة ، وحبة البرتقال تقدم لهم على صوان من الفضة يحملها جرسونات يرتدون القفازات البيضاء وينحنون فى ادب بالغ !!

وتستعد ادارة المستشفى لمواجهة استمرار اضراب المطبخ ، بالاتصال باحد المطاعم الفاخرة فى لندن لاعداد وجبات ساخنة للمرضى .. وتاتى عربة المطعم محملة بالوجبات المطلوبة .. ولكن عمال المستشفى يرفضون تفريغ العربة .. ويصرون على تنفيذ اضرابهم بالكامل ولا يقبلون أى محاولات لافساد تضامنهم .. ويهتف احد العمال بموقف العامل الانجليزى ، فتنبهه احدى العاملات ان المراة العاملة لها نفس الموقف .. فيصحح العامل هتافه تحية للعامل والعاملة الانجليزية ! .

ويتفتق ذهن احد رجال الادارة فى المستشفى على كسب ود ممثلى نقابة العمال من أفراد قسم المطبخ بان يهمس لهم بانه سيدرج اسماءهم فى كشف المستقبلين للأسرة الملكية التى ستزور المستشفى .. وهنا تلمع وجوه ممثلى نقابة العمال ويقررون من شدة السعادة القيام باقناع زملائهم بتاجيل الاضراب !!

وهكذا يقدم الفيلم نهاية الأغنية الحماسية التى يشترك فيها العمال !

وعصير المخ فى اكواب

والمحقق التليفزيونى المتنكر يسجل من مخبئه العمليات الجراحية التى يجريها هذا الطبيب الجراح فى محاولة لصنع انسان جديد .. نرى الجراح وهو يمسك بخرطوم الاوكسجين الذى يغذى احد مرضى القسم المجان ، ويخلعه بقسوة ، فيموت المريض ويأتى الجراح بمنشار كبير ليمزق جسد المريض ويختار منه ما يحتاجه من اعضاء بشرية !!

ثم نراه ــ هذا الطبيب الجراح ــ وهو يشرح لبعثة التليفزيون الرسمية من تليفزيون (ب . ب . س) كيف يصنع انسانه الجديد .. يتكلم بثقة شديدة .. ويختار البوزات المناسبة للتصوير .. وبالطبع لا احد يناقشه ولا يقاطعه .. ثم يمسك بمخ انسان ويضعه فى خلاط كهربائى ، ويدلق العصير فى اكواب ، ويشرب احداهما بنهم !!

ومصور تليفزيون (ب . ب . س) يسجل هذه اللقطات بحرص شديد .. والمحقق التليفزيونى المتنكر المختبىء داخل صندوق زجاجى يحاول ان يسجل وسط رعبه وخوفه كل ما يحدث .. بينما مساعديه فى عربة التليفزيون الخارجية .. قد غابا عن وعيهما بفعل الأقراص المخدرة وكميات البيرة التى شرباها .. ولم يعد يهمهما ما يفعله زميلهما داخل المستشفى !

الهتاف ضد الجنرال

والفيلم يمضى فى ايقاع سريع .. ينسج من هذه المشاهد الغريبة والمجنونة ، لوحة ساخرة لا تترك شيئا فى هذا البناء الانجليزى ، الا وتخرج منه مادة متفجرة للضحك .. ففى داخل غرفة مدير المستشفى ينعكس كل ما يحدث على تصرفاته .. فيبدو مرتبكا ، عديم الحيلة ، يتصرف بتناقض شديد وبخوف اكبر فموعد الزيارة الملكية يقترب !!

وهناك وفد من القصر الملكى وأحد كبار



رجال بوليس اسكوتلاند يارد يطمئنون على اجراءات استقبال الملكة الام .. والتزام افراد المستشفى بقواعد الاتيكيت اللازمة فى هذه المناسبة الهامة . !! وتجــرى اختبارات الاتيكيت وطريقة الانحناء للملكة .. بينما المظاهرات فى الخارج يشتد صوتها ، ويكتشفون من خلال نافذة غرفة المدير ان هناك مجموعة ضخمة من ابناء هذا البلد الافريقى يهتفون ضد الجنرال الهارب والمقيم فى المستشفى بحجة العلاج .. ويطالبون بتسليمه لهم ..

وينضم الى هؤلاء المتظــــــاهرين ، مجموعات من الشـــــــباب الانجليزى لهذه القضية ، واى قضية اخرى ، المهم ان يمارسوا الغضب والعنف !!

محاولة ساخرة

ومن اطرف مشاهد الفيلم .. هــــذا المشهد الذى يقرر فيه رجــــل بوليس اسكوتلاند يارد ان يتصل بالقصر الملكى ليلغى الزيارة فى هذا اليوم المضطرب .. فيمسك بجهاز التليفون ويدق نمرة القصر الملكى .. ويغلق الخط .. ويكرر نفس العملية مرة اخرى .. ليعلن فى النهاية بضيق شديد ان النمرة غلط فى كلتا المحاولتين !

وعنـــــدما يقترحون عليه ان يتصـــل بتليفون سيارة الملكة الام .. يعلن لهم ان تليفون السيارة معطل ! .

واخيرا يقترحون عليه ان يتصــــل برؤسائه لتجهيز طائرة هيلكوبتر لايقاف سيارة الملكة .. يرد ببساط شديدة .. وكيف تطير الهيلكوبتر لتهبط فوق السيارة فى شوارع لندن !

وهكذا يعجز بوليس اسكوتلاند يارد عن الاتصال بالملكة !!

ووسط هذا الارتباك .. يقرر مــــدير المستشفى ان يهادن المتظاهرين .. وان يعلن استسلامه لطلباتهم .. ويمزق الثوب الابيض لسكرتيرته ليصــــنع منه راية لاستسلام بيضاء ، يخرج بهــــا ليعلن للمتظاهرين الغاء القسم المخصوص فى المستشفى .. ويهتف المتظاهرون بالانتصار .. وفى هذه الاثناء تدلف سيارة اسعاف تدق اجراسها بشدة .. لتفتح ابوابها .. ويسرع الممرضون لحمل ركاب سيارة الاسعاف على النقالات والكراسى المتحركة .. لتكتشف ان هؤلاء الركاب هم الوفد الملكى ومن بينهم الملكة الام !!

الفزع فى كل جانب

بينما داخل المستشفى يسرع الطبيب الجراح فى استكمال تصنيع الانســـــــان الجديد .. لقد اكتشف الطبيب وجود المحقق التليفزيونى المتنكر ، داخل صندوق زجاجى فى معمله .. وببساطة شديدة ينهال على عنقه بالساطور ليفصل راسه عن جسده .. ويلصق الراس بالجسد الذى صنعه من اعضاء مختلفة ..

ويطلب الطبيب من الانسان الجديــد الذى صنعه ، ان يتكلم .. فلا يستجيب له .. وبعصبية شديدة يحاول الطبيب فتح فم هذا الانسان حتى يخرج لسانه ويتكلم .. فما كان من الفم الا ان ينطبق على يـــد الطبيب .. ويصرخ الطبيب من الالم .. يحاول الطبيب تخليص يده من بين هذه الاسنان الحادة ويجذب يده بكل قوته .. وتكون النتيجة هو تفكك اجزاء جسد هذا الانسان المصنوع .. الراس فى جانب والجسد فى جانب اخر يتحرك ويضرب فى كل اتجاه ويثير الفزع ويطبق على عنق مساعدة هذا الطبيب الجراح لخنقها !!

كيف ينتهى الفيلم

المظاهرات فى الخارج تطالب بتسليم الجنرال الافريقى الهارب .. ويخرج الجنرال مستسلما ، محمولا على هودج يمشى به حراسه الخصوصيون .. ومن ورائه متعلقاته ، ومن بينها زجـــــاجة شمبانيا !!

ويتحرك بقية طابور مرضى القســـــم المخصوص .. كل منهم بابهته ومتعلقاته المتميزة ..

ويكتشف المتظاهرون ان الملكة الام ، ووفدا ملكيا موجود حاليا داخل المستشفى .. فيشتد صراخهم وهتافهم .. وتزداد حركات العنف فى محاولة لاقتحــــام المستشفى .. ويسرع البوليس لتطـــويق المتظاهرين مستخدما العصى الغليظة وكعوب بنادقهم .. ويسقط الجرحى فى دمائهم .. ويشتعل الموقف .. ويستخدم المخرج موسيقى السلام الانجليزى على مشاهد العنف والضرب والدم .. فى مزج شديد السخرية ما بين الصورة التى نراها والموسيقى التى نسمعها !!

ويخرج للمتظاهرين ، الطبيب الجراح يخطب فيهم « هل تؤمنون بالمستقبل ؟ » . يصيح احدهم « نعم » .. يشير اليهم الطبيب يدعوهم للدخول .. « تعالوا معى نرى المستقبل يتحقق امامنا الان ، انه الميلاد الجديد .. بداية عصر رائع من العلم ! » .

ويسرع الجميع الى قاعة ضخمة .. يجلسون على المقاعد .. ويواجهـــون نموذجا هائلا لمخ الانسان صنعه هــــذا الطبيب الجراح بكل تفاصيل الاعصـــــاب والشرايين والذاكرة والنطق .

وبعد خطبة حماسية عن العــــــلم والمستقبل .. يبدأ فى تشغيل هــــذا المخ الذى صنعه .. وينبعث الصــــوت من السماعات الموزعة داخل القاعة ..انه صوت المخ .. ينطق بصوت متقطع ، متحشرج : « ماأسهل ان تصنع انسانا » .. ويتوقف الصوت عند الكلمة الاخيرة .. يردد‌هــــا اكثر من مرة .

لقد تعطل الجهاز .. وتحول الصوت الى ما يشبه الاسطوانة المشروخة ! .

وينتهى الفيلم ! .

أو بمعنى أدق تنتهى خدعة ذلك العلم .. والحلم المستحيل بالمستقبل .

فكيف نصنع المستقبل وسط كل هذه الفوضى والجنون والانهيارات الداخلية والخارجية ؟ .

وكيف نؤمن بعالم مجنون يستخدم كل اسلحة العنف والهمجية ليحقق معجزة المستقبل ؟ .

إن المخرج يضع كل سخريته .. ويركزها .. ويلخصها فى مشهد النهاية .

هل هو فوضوى

والمخرج «ليندساى اندرسون» يصنفه بعض النقاد داخل اطار الفوضوية .. حيث



المخرج « ليندساي اندرسون » .. قدم فيلما اخذه عن حادثة حقيقية .



المحقق التليفزيوني الذى اراد ان يحقق سبقا تليفزيونيا داخل المستشفى .. قام بالدور الممثل الانجليزي « مالكولم ماكدويل » .

كل شيء بالنسبة له عبث .. الثورة .. والعلم .. والحاضر والمستقبل !

وقد نوافق على هذا التصنيف .. وقد نرفضه .

ولكن المخرج «اندرسون» يقول عن نفسه : «اعتقد انني عاطفي بشدة .. وايضا مثالي بشدة بدرجة حساسة .. وربما احاول ان اضع التوازن بين هذا وذاك .. ببعض السخرية والتشكل» ! .

هذا المخرج الساخر

والمخرج «اندرسون» واحد من رواد حركة السينما الحرة بانجلترا في الخمسينات .. له دراسات نقدية هامة .. وقدم عدداً من الافلام التسجيلية والقصيرة استحق بعضها جوائز عالمية .. وتولى منصب مدير معهد الفيلم البريطاني .

اول افلامه الطويلة .. اخرجه فى عمر الاربعين .. كان هذا عام ٦٣ .. وكان الفيلم بعنوان «هذه الحياة الرياضية» .. وعرض الفيلم فى مهرجان كان .. وحصل ممثله ريتشارد هاريس على الجائزة الكبرى فى التمثيل .

وفاز هو بالجائزة الكبرى لمهرجان كان عام ٦٩ عن فيلمه «لو» الذى قدم فيه اكتشافه للممثل الموهوب «مالكولم ماكدويل» والذى استمر معه فى افلامه التالية حتى فيلمه الاخير «مستشفى بريطانيا» .. ونفس الحال مع كاتب السيناريو «دافيد شيروين» ومن اشهر افلامه «ياله من رجل محظوظ» علم ٧٢ .

والواضح هو نسبة افلامه القليلة .. فقد اخرج ستة افلام خلال عشرين عاما .. وإن كان له نشاط واضح فى الاخراج المسرحي والاخراج التليفزيوني .. واحيانا التمثيل .. والمونتاج ..

سالوه اخيراً عن السينما الانجليزية .. فقال : (فى انجلترا لا توجد عملية خلق فنية .. ولكن يوجد نقاد كثيرون .. ومن هنا وجدنا انفسنا مدفوعين الى ركن معزول ، نفكر فى انفسنا كاشخاص صغار لا يحققون الربح مثل مخرجي امريكا .. ولا يحققون الفن مثل بعض مخرجي فرنسا .. وفى الحقيقة عندنا مجموعة صغيرة من النقاد لا يؤثرون فى الملايين .. ولكنهم فى النهاية عندهم قدرة غريبة على خلق جوا من عدم الثقة) .

وعن مدى ارتباط السينما الانجليزية بالواقع .. يقول : «بريطانيا ترفض ان تواجه الحقيقة ...» !

وبالنسبة لفيلمه الاخير (مستشفى بريطانيا) والسخرية الشديدة من المجتمع الانجليزي .. قال بصراحة شديدة :

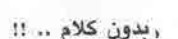
«الانجليز اصبحوا شديدي الحساسية .. انهم لا يحبون الآن ان يضحكوا على انفسهم .. وربما كانوا لا يحبون هذا منذ زمن طويل .. ما عدا أن يحيوا انفسهم .. وفى هذا الوقت بالذات ليس مجديا ان نهنىء الجنس البشرى على كل ما يحدث حولنا» !

إن عيبه الواضح .. انه شديد القسوة .. لاذع السخرية !

«رءوف توفيق»



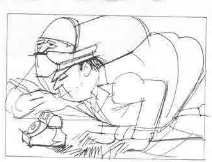
ضحكات الشهر مع



,بدون كلام .. !!



ـ كوكو واوا .. يعني بالعربي
دجاج فسدان .. !!



ـ .. واحد مات من الضحك لما عرف ان اسمه
بالعربي الفصيح .. هاتف .. وهو صامت .!!



بياع جرائد ـ .. الحق الملحق .. حل
مشكلة الشرق الأوسط .. !!

بدون كلام .. !!





(احداث لبنـــان)

ـ .. من هيروشيما لبيروت ..
ياقلبي لا تحزن .. !!



(نزلات البرد)

مسجون لمسجون : ماقدرش
اخرج .. لسه واخد دوش .. !!